تركية الفتاة

وثورة ١٩٠٨

تأليف

الدكتور ارنست أ. رامزور

ترجمة

الدكتور صالح أحمد العلي

قدم له وراجعه

الدكتور نقولا زياده

نشر بالاشتراك مع

مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر

بيروت – نيويورك

١٩٦٠

المؤلف : الدكتور اونست ا. رامزور

ولد الدكتور رامزور في كليفورنيـــة سنة ١٩١٥ ، وتلقى دراسته الاولى في مدارسها ثم التحق بجامعة كليفورنية فنال شهادتها سنة ١٩٣٥، وفي سنة ١٩٤٧ حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة برنستون.

عمـــل في التدريس في كلية روبرت (استانبول) وفي جامعة ايوا وفي جامعة جورج وشنطون في الولايات المتحدة .

وهو الآن من كبار موظفي وزارة الخـــارجية الاميركية وقـــد شغل مناصب هامـــة في كل من استانبول وبرمن وتورنتو ووشنطون وبيروت ، حيث يقيم الآن .

المترجم : الدكتورصالح احمد العلي

من مواليـــد الموصل . وقد تلقى علومه في دار المعلمين العاليـــة (بغداد) وكليـــة الآداب (القاهرة) ونال الدكتوراة من جامعة اوكسفورد . ويشغل حالياً منصب استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة بغداد .

من مؤلفاته : النظم الاقتصادية والاجتماعية في البصرة في القرن الاول للهجرة ، ومحاضرات في تاريخ العرب (الجزء الاول) ، فضـلا عن مقالات علمية كثيرة تتعلق بتاريخ القرن الهجري الاول .

المراجع: الدكتور نقولا زياده

يحمل شهادة الدكتوراة من جامعة لندن . عمل استاذاً في المــدارس الثانويــة في فلسطين وفي الكلية الرشيدية والكلية العربية ، ودرس في جامعة كمبردج . وهو الآن استاذ التاريخ العربي الحديث في الجامعة الاميركية في بيروت .

وضع عــدداً كبيراً من المؤلفات بالعربية والانكليزية . منهــا في الاولى : رواد الشرق العربي فيالعصور ألوسطى ، والرحالة العرب ، وصور من التاريخ العربي، وليبيا من الاحتلال الايطالي الى الاستقلال. وفي الانكليزية : سورية ولبنان ومصير شمال افريقية ، والسنوسية ، وسورية في زمن المماليك .

تصدير

بقلم ل . ف . توماس

ان ما كان يحدث في تركية في المرحلة الاولى من هذا القرن اثبت انه ذو اهمية مباشرة لا على العثمانيين المتأخرين ومن خلفهم في الجمهورية فحسب . فالحوادث التي ادت الى ثورات تركية الفتاة ونفوذ اعضاء تركية الفتاة ، كان لها أثرها ايضاً في البلقان وبين العرب وعلى الشعوب الأبعد منهم عن استانبول. ومع هذا فان هذا الموضوع الذي يعالجه الدكتور رامزور حتى ثورة سنة ١٩٠٨ ، لم يجد حتى الآن الا التفاتاً قليلاً ، نسبياً ، في اللغة الانكليزية .

وهذا الكتاب ، فضلاً عما تقدم ، سيلفت انظار القراء الذين يهتمون بالمسائل العامة والملحة في الوقت ذاته مثل : كيف استطاعت افكار القومية الغربية ان تدخل وترسي قواعدها في الاجزاء غير الغربية من العالم ؛ وكيف تجسدت هذه الافكار بمؤسسات سياسية جديدة ؛ وكيف ان الزعماء في هذه الاقاليم كانوا يتحايلون ، بدرجات متفاوتة من النجاح ، لكسب المعارضة المحلية لمؤازرتهم ، ولتثبيت انفسهم و« قضاياهم » على مسرح سياستهم المحلية وفي مجال علاقاتهم الدولية .

في أي مكان في آسية او افريقية ، حيث تنشط في ايامنا هذه حركات محلية في دعوة الى تحرير وطني او الى مناهضة الاستعمار ، لا يُعوز هذه الحركات قادة درسوا وعاشوا في الغرب ، كما فعل معظم القادة الذين تحدث عنهم الدكتور رامزور ، او على الاقل وقعوا تحت تأثير غربي قوي . والاشارة الى هذا ، لا

يعني بالطبع القول ان التاريخ اعاد نفسه في اية حادثة معينة ، ولا يعني ان هذا ممكن حدوثه . وانما مرادنا ان نثبت ان معرفة ما حدث هي مفتاح بالغ القيمة لفهم ما يحدث الان . ولهذا السبب فاننا نقول ان هذا الكتاب جـاء في الوقت المناسب وهو جدير بالترحيب .

جامعة برنستون ٤ ايلول ١٩٥٦ **ل.ف. توماس**

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب مر عليه وقت طويل وهو في دور التأليف ، كما انـــه كتبت اجزاء منه في أماكن مختلفة منذ ان بدأت به كرسالة للدكتوراة . وقد تدخلت عوامل كثيرة في تأخيره منها الحرب ، لكن الكتاب استفاد ايضاً بعض الشيء من تجوال المؤلف . فقد كان نائبـــاً للقنصل الاميركي في استانبول من ١٩٤٨ — ١٩٥٠ وبذلك اتيح له ان يتحدث الى نفر من الذين اشتركوا في ثورة سنة١٩٠٨.

وهذه النتيجة التي انتهى اليها الكتاب بعد هذه السنوات وهذا التأخـــير لا تزال بعيدة عن الكمال ولكن المؤلف مقتنع بانـــه لن يتاح له قط ان يصل الى الكمال المنشود . والكتاب على كل يملأ بعض الفراغ . وسيجلو النقاد وخاصة النقاد الاتراك عدداً من الاخطاء الناتجة من الحذف والاضافة ولكن المؤلف مطمئن الى ان النتائج التي وصل اليها هي على العموم مما يمكن ان يثبت لهذا النقد .

وثمة جماعة من اصدقاء المؤلف الاتراك الذين ولا شك يخالفونه في بعض مـــا وصل اليه من تفسير او تحليل وخاصة في ما يمس الشخصيات. على انه من المرجو ان يقتنعوا بان الآراء المعروضة كانت نتيجة للبحث الخالص وانها بعيدة عن الغرض بقدر ما يمكن ان يكون ذلك مستطاعاً من الوجهة الانسانية . والمؤلف يأمـــل الا يرقى شك الى تقديره لتركية والاتراك .

وليس من الممكن لاحد عندما يقدم على عمـــل مثل هذا الا ويرى نفسه في النهاية مديناً لعدد من الناس وفي مقدمة هؤلاء الذين يرى المؤلف نفسه مديناً له بدين خاص هو الدكتور روبرت ج كرنر الاستاذ بجامعة كاليفورنية الذي اقترح

الموضوع اصلا والذي أشرف عليه في بداءته سنة ١٩٣٩ . على ان دين المؤلف لهذا الاستاذ اكبر مما يمكن ان توضحه مثل هذه العبارة ذلك بانه تعلم من استاذه كل ما يمكن ان يتعلمه في نواح أخرى من المعرفة .

وقد كان الدكتور وليم ل.لانغر الاستاذ بجامعة هارفارد دوماً يبعث الحماسة في نفس المؤلف ويشجعه ويمد له يد المساعدة اثناء عمله في مكتبة وايدنر في ١٩٤٠ — ١٩٤١ . على ان دين المؤلف للمرحوم الدكتور جون كنغزلي بيرج من استانبول ، الذي جمع مادة كثيرة وبعث بها الى المؤلف في اوائل الحرب ، والمؤلف واثق من ان مثل هذه المادة لا يمكن الحصول عليها اليوم . ولما رجع المؤلف الى تركية في سنة ١٩٤٨ وجد في الدكتور بيرج معيناً لا ينضب للمساعدة والتشجيع . ولا شك ان العالم خسر بوفاة الدكتور بيرج سنة ١٩٥٢ عالماً كبيراً ورجلا ممتازاً .

وقد تكرم عدد من اصدقاء المؤلف الاتراك فقرأوا المخطوطة كلا او جزءاً في سنة ١٩٥٠ ومن هؤلاء خالدي اديب اديوار ، والمرحوم الدكتور عدنان اديوار ، والدكتور نهاد رشاد بلجر .

بين يدي المؤلف بضع رسائل كتبها اليه المرحوم رضا توفيق بك وهي رسائل يعتبرها كنزاً ثميناً ، كما ان المؤلف يشعر بكثير من الغبطة لانه استطاع ان يجتمع برضا توفيق بك ويتعرف اليه قبل وفاته سنة ١٩٥٠ .

وكان لي في اجتماعين مع الدكتور ارنست ياك من جامعة كولومبيا فائدة كبرى، على انهما تما في مكانين وزمانين متباعدين. وقد كان لدى الاستاذ مارشال ديل (الابن) من كلية بارد بعض ملاحظات مدونة عن الموضوع، فتفضل بوضعها تحت تصرف المؤلف .

وثمة مؤسسات يعترف المؤلف لها بالفضل . فجامعة كاليفورنية مكنته من الحصول على منح دراسية ومنح للسفر ، والمجلس الاميركي للجمعيات العلمية قدم له مساعدات كبيرة ، ووزارة الخارجية الاميركية عينته في عمله في استانبول

١٩٤٨ – ١٩٥٠ ، مع انه لم يكن واضحاً للقائمين على شؤونها كيف كان ينوي الافادة من وقت فراغه .

ومع ان الجميل المعترف به لكل هؤلاء – ولآخرين لم يذكروا – هو أمر هام ، فان المسؤولية فيما آلت اليه مساعداتهم تعود كلها على المؤلف . فكل الآراء المذكورة والنتائج التي توصل المؤلف اليها انما تعكس وجهة نظره وحده . ويود المؤلف ان يلفت النظر بشكل خاص الى امر هام وهو، مع انه من موظفي السلك الخارجي ، فان آراءه لا تعبر قط عن وجهة نظر وزارة الخارجية .

أ. أ. رامزور

الدكتور نقولا زياده

١

هذا الكتاب الذي نضع ترجمته العربية بين يدي القارىء اليوم، هو أحدث كتاب وضع عن « تركية الفتاة » ، وهو الى ذلك أتم دراسة للموضوع ظهرت باللغة الانكليزية . ونحن نعتقد ان في وضعه في متناول القارىء العربي فائدة كبيرة .

فثلث القرن (١٨٧٦ — ١٩٠٩) الذي عاشته الامبراطورية العثمانية — ولاياتها العربية والتركية والاوروبية -- وعبد الحميد سلطانها وخليفة المسلمين ، لم يكن فترة عادية في تاريخها . ذلك أن الاتصال بالغرب طوال القرن التاسع عشر ، وتطور التعليم العالي في العاصمة وغيرها من الولايات ، والحركات الإصلاحية التي خبرتها الجماعات التي كانت تتكون منها الامبراطورية ، والزعامة الواعية المتفتحة التي كانت بعض اجزاء الدولة قد عرفتها — كل اولئك توّج في سنة ١٨٧٦ بالدستور الذي انتزعه مدحت باشا وصحبه من عبد الحميد . وفكرة الدستور كانت قد ملكت على الفئات الواعية في الامبراطورية نفوسها . فالحكم المطلق الذي كان سلاطين آل عثمان — حتى في القرن التاسع عشر — يمارسونه ، والتصرف بشؤون الدولة هذا التصرف الحر ، كان ينبغي ان يوضع لهما حد . والدستور — اي القيد اللطيف الذي يغل يد السلطان — هو الذي

ينقذ البلد من الحكم المطلق ، ويعين مسؤولية الحكم والحكام ، ويؤدي الى مشاركة الشعب ، عن طريق نوابه ، في شؤون بلاده .

ومن ثم فان كل الآلام التي تعانيها البلاد ، والأسقام التي تنخر الجسم السياسي للدولة ، ستزول بسبب الدستور . وقد منح هذا – منحه السلطان عبد الحميد ، وتمت الانتخابات على أساسه .

لكن لم يكد الناس يفرغون من الإحتفاء بالدستور والانتخابات والبرلمان – بمبعوثانه وأعيانه – حتى فوجئوا بعبد الحميد يعلق الدستور ، ويؤجل جلسات البرلمان ، ويدعو اعضاءه الى العودة الى بلادهم ، بل وينفي البعض منهم الى مناطق نائية . وبعد سنوات تلصق تهمة بمدحت باشا ، فيحاكم ويحكم عليه وينفى الى الحجاز حيث يخنق .

كانت ضربة عبد الحميد شديدة ، وكان وقعها أليماً . ولكن أمعن في الأذى والايلام من الضربة نفسها كانت سيرة الادارة العثمانية في ايام عبد الحميد . فقد ضيّق على الناس الخناق ، وأحكمت عليهم المنافذ ، فحيل بينهم وبين العدل والأمن ، وأصبحوا يعيشون تحت رحمة حكام يندر بينهم من لا يريد رضى السلطان وحاشيته بأي ثمن ، وطوقتهم شبكة متينة من التجسس . وأطلق السلطان لنفسه العنان حكماً وتعسفاً . ولسنا ننكر على عبد الحميد عمله في سبيل الجامعة الاسلامية ، ومحاولاته العديدة لانقاذ الدولة والامبراطورية . فالرجل لم يكن قليل الاحتفال بهذه الرقعة الواسعة من الدنيا التي كانت تحت سلطانه ، ولكن عبد الحميد اختلطت عليه أمور كثيرة كونت في نفسه عقدة ان لم تكوّن عقداً. فالرجل الذكي القدير الشديد العنيف المستبد القوي الحريص على امبراطوريته وسلطته كان ايضاً يخشى على حياته . وحيطته وحذره امتزجتا ببطشه واستبداده، فنشأ من الامتزاج هذا الحكم الحميدي بكل مافيه من قسوة وظلم[1].

وكان كلما امعن العهد الحميدي في التشديد والظلم ، ازداد الناس شوقا الى الدستور ، وقويت رغبتهم في استرداده . فكان من الطبيعي اذن ان تقوم

---

(١) راجع الفصل الاول .

محاولات ترمي الى تحقيق هذه الاهداف . واذا كان عبد الحميـــد هو العقبة في الطريق ، فليطح به . فالبلد وسكانه ومصالحه وحياته اهم من سلطان – خليفة . ولم يكن عبد الحميد اول سلطان يدفع ثمن استبداده .

وكان صراع بين السلطان ورجاله من جهة ، والمطالبين بالحريـــة من جهة اخرى . ومع ان السلطان تغلب حينا وضرب حينا وقسا حينا ، فان المطالبين بالحرية بذلوا دماء ودموعا ، وتحملوا نفياً وتعذيباً وتشريداً ، ولقوا ضروبـاً كثيرة من الايلام ، ومع ذلك فقد انتصروا في النهايـــة . انتصروا فاستردوا الدستور وتركوا السلطان على عرشه ، فلما آنسوا منه رغبة في ردة ، وميلا الى نكسة ، انتزعوه عن العرش وطرحوه جانبا . وبذلك سدّد بعض مـا استحق عليه لشعبه .

على ان هذا الجهاد وهذه السنوات التي مرت على الامبراطورية كانت خطيرة في حياة البلاد وفي النتائج التي ترتبت عليها . ان اختبارات الزعماء والقـــادة تنوعت ، والتجارب التي مروا بها تعددت وجوها وسبلا ، وتبدلت القيادة غير مرة ، مراكز واشخاصا ووسائل ، وكثر اختلاط الزعماء بالغرب لمـــا كانت مراكزهم باريس وجنيف ، وتشعبت امامهم الطرق ، واختلفت الاهداف القريبة وان اتفقوا على الاهداف البعيدة . وهذا كله ترك في نفوس شعوب الامبراطورية اثرا كبيرا ، كما انه انتهى ، اذ حقق نفسه ، الى نهاية لم يكن يحبها الاصدقاء . فمن الجهة الواحدة خلقت الاحـداث التي تلت عودة الدستور (سنة ١٩٠٨) شيئا من الانقسام بين عرب الامبراطورية وتركها ، وهذا الخـلاف اخذ يشتد حتى ادى الى تنافر في وجهتي النظر . ومن الجهة الاخرى لعله مسؤول عن خسارات مادية للامبراطورية ، تلك الخسارات التي توالت عليهـــا والتي انتهت بالحرب العالمية الاولى .

٢

والكتاب الذي بين ايدينا يؤرخ لتركية الفتاة ، اي المنظمة التي قـــامت باكبر قسط واهم دور في تحقيق الرغبات التي كانت تجيش بها صدور النـاس –

الحرية والدستور والتخلص من ظلم عبد الحميد وجواسيسه .

وقد بدأت تركية الفتاة بالعمل في سنة ١٨٨٩ ، وانتهت منـــه باستعادة الدستور ١٩٠٨ (وخلع عبد الحميد ١٩٠٩) او بعبارة اصح سلمت القيادة بعد ذلك الى من يقوم بالحكم . وقد قسم المؤلف حياة تركية الفتاةالى ادوار ثلاثـــة اولها يمتد من سنة ١٨٨٩ الى ١٨٩٧ ، وكانت الغاية فيه خلع عبد الحميد ، وكان العمل داخل الامبراطورية وفي استانبول بشكــل خاص . بـــدأت الحركة في المدرسة الطبية العسكرية ، ونشرت بحيطة وحذر كبيرين بين عدد محدود من الطلاب في هذه المدرسة وما يشبهها وهذه المنظمة تسترت كثيرا وتنقلت فيازقة الحياة المعتمة لتتجنب تسلط الانوار ، كان اسمها « ترقي واتحاد » . وقد وسعت الجماعة دائرة نشاطها تدريجا ، فضمت اليها البعض من خارج المدارس العليـا . على ان الجماعة ، مع تجنبها النور ، لم تستطـــع ان تختفي كثيرا عن جواسيس السلطان الذي عرف بوجودها حول سنة ١٨٩٢ ، فدعا هذا بعض اعضائها الى مغادرة البلاد ، فذهب بعضهم الى باريس . ولكن الذين ظلوا في البلاد لوحقوا وقبض عليهم فنفي البعض وسجن الآخرون ، بحيث يمكن القول ان قد وضـع حد للعمل في تركية في سنة ١٨٩٧ .

وهنا يبدأ الدور الثاني فيحياة تركية الفتاة وهو الذي يمتد الى حول١٩٠٦. ومجال العمل في هذا الدور كان خـارج الامبراطوريـــة — في باريس وجنيف والقاهرة . وكان احمد رضا قد انتقل الى باريس قبل ذلك بقليل ، فكان هو قطب الرحى في القضية . الا انه حـدث بعد ذلـــك ان هرب (آخر سنة ١٨٩٩) الداماد محمود باشا (ختن السلطان) ومعه ابناه الشابان الاميران صبـاح الدين ولطف الله . وقد قدر للاول منهما ان يكون القطب الآخر الذي تـدور حوله رحى الجهاد ضد السلطان . وقد اختلف احمد رضا وصباح الدين في الوسائـل والطرق وحتى في بعض الاسس ، ولكنهما ظلا يعملان في سبيل الدستور ، ولم يتمكن السلطان من اغراء اي منهما (الفصل الثالث) . وفي هذه الفترة كثرت الصحف التي نشرها الكتاب الاتراك اما باللغة الفرنسية توضيحا لموقفهم امـام

الرأي العام الغربي ، او بالتركية تنويرا للرأي العــام التركي . وكانت الصحف ترسل الى تركية بواسطة دوائر البريد الاجنبية ، ويتوزعها الاعضاء فيما بينهم . ومن امهات الصحف التي نشرت بالتركية «مشورت» (باريس) و«ميزان» (القاهرة) و «عثمانلي» (جنيف) . وقد قدر الاستاذ ساطع الحصري عدد الصحف التي صدرت بالتركية في هذه الفترة خارج الامبراطورية العثمانية بنحو مئة ، كان نحو ثلثها في القاهرة .[1]

ويبدأ الدور الثالث في حياة تركية الفتــاة سنة ١٩٠٦ إذ تعود الى العمل داخل الامبراطورية ، مع انها لم تنقطع عن العمل في الخارج . ولكن يظهر ان الحذر وصعوبة الاتصال حالا دون التعــاون المشترك او التنسيق في الاعمــال . ومن ثم جاء العمل الداخـــلي الذي قام بالثورة ، وكأنه منفصل عن العمل الخارجي الذي كان قد مر عليه ما يزيد عن عشر سنوات .

في خريف سنة ١٩٠٦ قام مصطفى كمال مع فئة قليلة من الضباط لعل أهمهم يومها حاج مصطفى بك ، بانشاء جمعية « وطن » – وكان ذلك في دمشق . ومن دمشق انتشرت الحركة الى القدس ويافا ، وكان الاعضاء كلهم من ضبــاط الجيش الخــامس ، وهو الجيش الذي كانت المنطقة تحت نفوذه . وقــد اتضح للقائمــين بالعمل ان المنطقة ليست هي الارض الصالحة للقيام بالمهمة ، فرؤي انه من المفيد للحركة توجيه الاهتمام نحو سلانيك . وكان مصطفى كمال هو الشخص الذي تولى ذلك ، والجمعية التي قامت هناك سميت « وطن وحريت» . ولما نقل مصطفى كمال بعــد ذلك الى سلانيك ، كانت جمعية الحرية العثمانية وهي التي أصبحت جمعية الاتحاد والترقي فيما بعد قد أنشئت ، وقوامها ضباط الجيش الثالث وعلى يد هذه الجمعية تمت ثورة تموز (يوليو) ١٩٠٨ (الفصل الرابع) .

٣

وهكذا فقد قامت الثورة ، وأعــاد عبد الحميــد الدستور ، وانتشرت في انحاء الامبراطورية العثمانية موجة من الفرح كانت قوية عنيفة . فقد دفع الناس

(١) ساطع الحصري – البلاد العربية والدولة العثمانية (القاهرة ، ١٩٥٧) ص ٩٢ .

ثمن هذه الحرية غالياً ، ولذلك كان اندفاعهم في التعبير عنها قوياً . وقد نقل المؤلف عن وليم ميلر وصفه العام ، ولكننا نسمح لانفسنا بنقل عبارتين أخريين توضحان الشعور العام . يقول الاستاذ ساطع الحصري « ولذلك قوبل إعلان المشروطية (الدستور) بتأييد تام في جميع انحاء الممالك العثمانية ، وصار سبباً لإقامة المهرجانات الشعبية التي اشترك فيها المواطنون ، على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، واوضاعهم الاجتماعية في كل الجهات . حتى العصابات المسلحة التي كانت مختبئة في جبال ماكدونيا وغاباتها .. العصابات البلغارية واليونانية والعربية التي كانت لا تنقطع عن تربص الفرص لمهاجمة المخافر ، وإحراق القرى .. حتى تلك العصابات خرجت من معاقلها ومخابئها ، ونزلت الى مراكز الادارة تعلن تأييدها للعهد الجديد ، عهد الحرية والعدالة والمساواة ، حسب الشعار الذي اشتهر بين الناس » . ومما يجدر ذكره ان توفيق فكرت ، الشاعر التركي ، وضع نشيداً وطنياً لحنه وديع صبرا اللبناني ونقل النشيد الى العربية معروف الرصافي[١] .

وقد كتب احمد امين يالمان في ترجمته الذاتية يصف استانبول صباح ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٠٨ « ان الصحف التي ظهرت في ٢٥ تموز لم تكن سوى صرخة داوية من الفرح والسرور وكان أثر ذلك كبيراً . فالمدينة النائمة انتفضت وقد عرتها هزة الانفعال والحماسة ، فامتلأت الشوارع بالجماهير المرحة ، وهي تولي الخطابات الثوروية عنايتها واهتمامها ، وأخذ الناس من مختلف الأجناس والمذاهب يعانق واحدهم الآخر ويؤاخيه »[٢] .

وجاء في خطاب للمرحوم الدكتور صلاح الدين القاسمي القاه احتفاء بالمناسبة في دمشق :

« تحت سماء الحرية ، فوق ارض العدل ، نرى من الشعب تلك النفوس التي

(١) البلاد العربية ص ٩٥-٩٦ .

(2) Ahmed Emin Yalman, Turkey in my Time (Norman, Oklahoma, 1956) p. 23.

كانت مسجونة مظلومة ، مغلوبة على امرها ، تتلاقى بثغور باسمة وتتصافح يداً بيد مهنئاً بعضها بعضاً ... في كل زاوية من زوايا بلادنا المحبوبة ابتسامات براقة تطير ... هنا ضحك يخرق حجب السكوت ... وهنــاك قهقهات تتصاعد الى العلاء ... في الحفلات العامة ارواح يضرب صخبها الى عنان السماء منادية : « فلتحيى الحريــة والعدل والمساواة ... فلتحيى الأمة والوطن والدستور ... فليمح الاستبداد والاستعبــاد ... وليمت الحشو شر ميتة .. اماني تبرق على نواصي رجال الأمة .. آمال تزهو في صحاري القلوب » .

« نعم ، هذا حديث الأمة ، وهذا حالها اليوم !

« انفجرت علينا اول أمس سماء تركيا بشلالات الحرية ، كان الباعث على ذلك قوة ضغط عظيمة ضيقت الخناق على الأمة سنين واعواماً . فكانت الأمة بازاء هذا كمن ولد في الظــلام فقضى دور الشباب والفتوة في سرداب ضيق ، فخرج بغتة بوجه مصفر ، وجسم نحيل ، لانه لم ير حرارة الضياء من ذي قبل ، فأراد أن يفتح عينيه لأول وهلة فلم يستطع إلى ذلك سبيلا . غير انه لم يمض على ذلك أيام قلائل حتى أحمرت وجنتــاه ، واعتدل من قامته ما كان محدودباً ، واكسبه الضياء مواد كيماوية بها صار قوياً يقاوم ما استطاع .

« من أجل هذا أناشدكم الله والدستور ايها الاخوان ان نخلص للحرية بان لا نسيء استعمال هذا الدواء الناجع ، وان لا نضيع من هذه الدرر الثمينة التي منحناها شيئاً .

« وانه ليسوء الحرية كما يسوء العدل والدستور قوم لا شهامة لهم ولا مروءة ، وليس عندهم وازع ديني ولا أدبي ، ولا حق لهم بان يلفظوا من بين شفاههم كلمة الحرية المقدسة فضلاً عن أن يزعموا – وبئس ما يزعمون – انها ليست سوى هتك للاعراض وسلب للاموال ، وتجــاوز في الحدود ، وتعد على الحقوق ... اذا كانت هذه حريتك ايها الشعب فباطلة قوانين الدستور ، وعبثاً تتقدم ولو خطوة واحدة إلى الأمام ! وأحرِ بحرية كهذي ان تداس باقدام الاستبداد !... »[١]

(١) الدكتور صلاح الدين القاسمي (القاهرة ١٩٥٩) ص ٣٦ – ٣٨

لو اردنا أن نذهب في هذا السبيل ، ناقلين عن الصحف العربية وغيرها او من مذكرات الذين دونوا اخبارها ومشاهداتهم، لطال بنا المقام[1] .

ومع ان السرور كان عاما ، فان الادراك الواعي لمعنى هذا الذي تم لم يكن على درجة واحدة . ولم يكن ذلك سوى نتيجة طبيعية للاختبارات المتباينة التي كانت أجزاء الأمبراطورية قد مرت بها من قبل . والسرعة التي تمت بها التنظيمات لاحداث الانقلاب في سلانيك كان من أسبابه الوضع الخاص الذي كانت تتمتع به الولايات الثلاث (راجع الفصل الرابع) . ورد الفعل الذي اظهرته بيروت مثلاً يختلف بعض الاختلاف عما احست به المناطق الداخلية . وحتى الشعارات التي نادى بها الناس جنباً إلى جنب مع هتافهم للحرية ، اختلفت باختلاف البلدان .

يجدر بنا ان نذكر ان ثورة ١٩٠٨ تركت عبد الحميد على عرشه ، ولعل ما ذهب اليه المؤلف من ان تعلق الناس بالسلطان على انه خليفة غلّ ايدي جمعية « الاتحاد والترقي » فتركته حيث هو . لكن عبد الحميد لم يكن ليتمتع بذلك طويلا . فان حركة ٣١ آذار (مارس) سنة ١٩٠٩ الرجعية التي رمت الى القضاء على الدستور ثانية انتهت بخلع السلطان . وهكذا زال الرمز الاخير لثلث قرن من الاستبداد والطغيان . وانفتح امام الاتحاديين المجال واسعا للعمل المجدي في سبيل انعاش الامبراطورية واحيائها وتقويتها .

على ان الآمال التي علقت عليهم خاب الكثير منها . ولسنا هنا في معرض الحكم لهم او عليهم ، ولكن يجب ان نشير الى ناحية واحدة ذات علاقة مباشرة بالبحث وبتركية الفتاة وبالعرب في الامبراطورية وهي ان المساواة — وهي عنصر رئيسي من الدعوة بكاملها — لم توضع موضع التنفيذ على ايدي جمعية الاتحاد والترقي .

---

(١) راجع مثلاً Zeine N. Zeine; Arab Turkish Relations (Beirut, 1958)p. 23

والدكتور احمد قدري ، مذكراتي عن الثورة العربية (دمشق ١٩٥٦) ص ٦ .

جدير بنا ، وقد عرضنا الحركة هذا العرض الموجز ، ان نتساءل عن مدى الاسهام العربي في هذه الامور . واول ما يجب ان نذكره بهذه المناسبة هو ان مثل هذا الاسهام ، ان وجد ، فسيكون بطبيعة الحال محدودا من حيث الرقعة ومحدودا من حيث العدد . فثمة اجزاء كثيرة من الامبراطورية العثمانية لم تكن تدرك حتى معنى هذا الذي يمكن ان يجري . ولما كانت الكليات الطبية العسكرية هي المراكز الاولى لمثل هذه الحركة ، فلم يكن من المتيسر ان يتصل العرب بها ، اذ لم يكن منهم الا قلة ضئيلة جدا في مدارس استانبول في بادىء الامر على الاقل .

ولكن يظهر ان الامر اختلف قليلاً لما انتقلت حركة تركية الفتاة الى الخارج . فقد وجد الأتراك في باريس خليل غانم المسيحي البيروتي الذي كان عضواً في البرلمان العثماني الاول ، والذي ذهب الى جنيف وباريس بعد تأجيل ذلك البرلمان . وكان خليل غانم قد نشر صحيفة بالفرنسية في جنيف باسم الهلال ثم نشر ثانية مثلها في باريس باسم تركية الفتاة . وصار خليل زميلا وصديقاً لأحمد رضا ، لما وصل هذا الى باريس سنة ١٨٨٩ . ولكن عدد العرب في باريس وجنيف في العقدين الاخيرين من القرن الماضي لم يكن كبيراً ، ولذلك فالاتصال حتى هناك كان محدودا .

على انه يجب ان نذكر ان القاهرة كانت احدى المراكز الهامة التي كان احرار الاتراك يلجأون اليها، ومنهم البرنس صباح الدين . ولا شك انالكثيرين من رجال الصحافة والمشتغلين بالقضايا العامة كانوا يعرفون الكثير عنالاتجاهات التركية . ولكن الى اي حد كانوا متصلين بالمنظمة السرية النهائية ، فهذا امر يحتاج بعد الى مزيد من البحث . الا اننا نود ان نؤكد ان اعضاء المنظمة انفسهم كانوا حريصين على الكتمان والتستر ، ولذلك فلم يكن من المعقول ان تنتشر القضية بالقدر الذي يدعو الى الاسهام الفعلي من جانب جماعات او افراد كانوا بعيدين في الواقع عن قيادات الجيش ، وخاصة الجيش الثالث في سلانيك . وهنا

ندرك السبب في ان يتولى محمود شوكت (العراقي) قيادة الجيش الذي زحف من سلانيك واحتل استانبول في ١٩٠٩ . لقد كان شوكت في صميم المعركة !

ونود ان نورد هنا عبارة للامير مصطفى الشهابي يقول فيها « ومما حملهم على هذا الاعتقاد كونه كان يوجد في جمعية تركية الفتاة صاحبة هذه الثورة (ثورة ١٩٠٨) عدد غير قليل من الضباط والمدنيين العرب »[١] . ونحن ننقل هذا الرأي ، وان كنا نعتقد ان ثمة مبالغة في الجزم . والراجح من القليل الذي بين ايدينا ان الذين اخذوا على عاتقهم احياء تركية الفتاة في الامبراطورية العثمانية في خريف ١٩٠٦ بدأوا عملهم في دمشق ثم انتشر الامر في القدس وفي يافا ، ولكن لم يصل الى المدنيين ، والضباط لم يكن بينهم عرب . فالضباط العرب كانوا في غير هذه المناطق .

على ان استبداد عبد الحميد كان يشمل الامبراطورية بكاملها — اذا وصلت يداه اليها . والشعور بالارهاق والظلم لم يقتصر على الاتراك . والرغبة في الحرية اعتلجت في صدور الكثيرين من اهل الولايات العربية ، ومستوى العلم والمعرفة في بعض هذه الولايات كان لا يقل عن مستوى العلم والمعرفة في استانبول ان لم يفقه . واذن فليس من المعقول ان تمر هذه الاحداث دون ان يكون لها استجابة في بعض الجهات . ونود ان نؤكد هنا ان هذه الناحية من تاريخ هذه البلاد لم تتضح بعد . فقد اخذ بعض الذين تعرضوا للموضوع بما فيه من برق خلب ، ولم يهتدوا بعد الى اصول الامور وجذورها .

٥

ولعله من حسن الحظ ان بعض المذكرات واليوميات التي وضعها افراد من

---

(١) محاضرات عن القومية العربية (القاهرة ، ١٩٥٨) ص ٦٢ . راجع ايضا ص ٥١ — ٥٢ .

اما محمد كرد علي (خطط الشام ، الجزء الثالث ، دمشق ، ١٩٢٥ ص ١١٧) فيقول : « واهم جمعية ألفت لهذا الغرض جمعية الاتحاد والترقي تشعبت فروعها في انحاء السلطنة وقويت في بث دعوتها في الشام حوالي سنة ١٣١٤ وما برحت على ضم شملها وتكثير سواد القائلين بقولها » . راجع ايضا الجزء السادس ص ٤٢٢ .

الرعيل الاول او التراجم التي كتبت عن بعضهم اخذت تظهر في الاونة الاخيرة، الامر الذي قد يتيح للباحثين في المستقبل ان يجلوا غوامض هذه الفترة .

ففي كتاب القومية العربية للامير مصطفى الشهابي تفصيل عن حلقة الشيخ طاهر الجزائري والجمعية الخيرية التي انشئت في دمشق ؛ وحلقة الشيخ الجزائري حلقة أدبية علمية . ويقول الشهابي « ومن الطبيعي أن يتولد في هذه الحلقة الأدبية وخارجها شعور قوي بالوضع السيء الذي كانت عليه شعوب الدولة العثمانية عموماً ، والشعب العربي فيها خصوصاً . وقد نتج عن هذا الشعور قيام حلقة او جمعية سرية سياسية في دمشق مؤلفة من أعضاء عرب وأتراك هدفها السعي للقضاء على استبداد السلطان عبدالحميد وحكمه المطلق ، بجعل الحكم شورى في الدولة ، أي بنشر الدستور المعلق . وكان لأفراد هذه الجمعية إتصال سري برجال تركية الفتاة الذين قاموا فيما بعد بثورة سنة ١٩٠٨ »[١] .

والمكتبة العربية أضيف اليها مؤخراً واحد من هذه الكتب التي نعنيها ، اذ طبع في القاهرة (١٩٥٩) كتاب « الدكتور صلاح الدين القاسمي ١٣٠٥ — ١٣٣٤ ، آثاره : صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين ». وفي خطاب القاه الدكتور القاسمي في دمشق في مطلع ١٩١٠ (المحرم ١٣٢٨) ، جاء فيه عن جمعية النهضة العربية :

« بدأت الجمعية بادىء بدء صغيرة ، متبعة ناموس النشوء العام في ارتقائها ، فكانت ذرة حية فعالة ، تسعى في ان تلف حولها أبناء الأمة العربية جمعاء ، وان هذه الذرة كان مهدها الأول محيط القسطنطينية ، ومولدها ٧ ذي القعدة عام ١٣٢٤ هـ (٢٣ كانون الاول ١٩٠٦) حيث ردّ الفعل يهيىء للانسان اسباباً سريعة كبرى قلما يعرف لها لاول وهلة معنى ...

« فكان اولئك الاصدقاء الذين انصبغت رابطة صداقتهم بصبغة (جمعية) يجتمعون في غرفة احدهم ويقرؤون في ليلة من كل اسبوع درساً عربياً غايته

(١) محاضرات عن القومية العربية ص ٥١ — ٥٢ . راجع ايضاً هامش رقم ٢ ص ٥١ حيث يذكر اسماء بعض الاشخاص الذين كانوا اعضاء في هذه الحلقة .

احياء نفوسهم باحياء اللغة العربية ، لانهم كانوا يعلمون ان اللغة من أحكم الصلات بين البشر ، وإنها من أعظم عوامل النهوض والإرتقاء في حيــاة الامم العلمية والاجتماعية والسياسية .

«وكانوا بعد ان كثر عددهم يمشون على قانون عرفي سنّوه فيما بينهم سراً ، فكان يضع كل واحد من الاعضاء في كل ليلة قطرات قليلة من المال يقتصدونها من مداخيلهم .

« وبعد فان هذه الجمعية ما زالت تتقدم بهمة أعضائها ومثابرتهم ، حتى قويت لحمة الارتباط بينهم ، وعلى هـذه النسبة قويت آمالهم وميولهم ، فكانت اول حفلة أقامتها الجمعية هي من قبل المركز العام في منتزه الحديقة البصرية (مصيف في القسطنطينية مشهور) في ٥ جمادي الآخرة عام ١٣٢٥ هـ ١٦ تموز ١٩٠٧

« وقد ألقى محب الدين الخطيب – مؤسس هذه النهضة – خطابــاً عنوانه « واجباتنا » والأخ عارف الشهابي قصيدة عنوانها « نحن والأغيار » .

« كان لبعض أعضاء الجمعية أصدقاء في دمشق لهم عندها من الثقة ما يؤهلهم لان يلتحقوا بهم ويؤلفوا لهم فرعاً في الفيحاء . فبعث الاخ محب الدين الخطيب رسالتين في بريد واحد . الواحدة للأخ « صلاح الدين القاسمي » والثـانية للأخ « لطفي الحفار » ينبئهما عن تأليف الجمعية في القسطنطينية ، ويقترح عليهما ان يشتركا معهم ، وكان قد أشار الكاتب على كل منهما بان يري احدهما كتابه للآخر ، فاجتمع هذان معاً وتذاكرا مليا ، وقرّ رأيهما في الختـام على الالتحاق بالمركز الاول في القسطنطينية ، وقاما بتأسيس فرع لها مؤلف من خمسة أعضاء ، فكانوا يجتمعون ليلتين من كل اسبوع ، ويوفرون شيئاً من المال في صندوق صغير .

«لم يمض على ذلك إلا حقبة من الزمن لا تزيد على ثلاثة اشهر تقريباً حتى اجتمع أغلب أعضاء المركز في العطـلة المدرسية بالفرع المؤسس بدمشق . ومن ثم توحد الفرع والمركز وقرّ رأي الجمعية على جعل المركز العام في (دمشق) حـاضرة الشام ، وتعاقدوا جميعاً على خدمة المبادىء الأصليــة ، بعد ان توثقت بينهم عرى الاتحاد والوئام .

«وقد أقام الأخ صلاح الدين العظم في ٧ رجب عام ١٣٢٥ هـ (١٧ آب ١٩٠٧) مأدبة في ارض الوادي بدمشق ، في حفلة ضمت أغلب أعضاء الجمعية ، وقد ألقى الأخ رشدي الحكيم خطاباً في (التقدم الذاتي) ، والأخ ذكي الخطيب خطاباً في (الانسان والتربية) ، والأخ صلاح الدين القاسمي خطاباً عنوانه (العلم والاجتماع) ، والأخ لطفي الحفار في (اللغة العربية) ، والاخ محب الدين الخطيب عنوانه (الدين والاصلاح) ، وارفضّت الحفلة وقد عاهد بعضهم بعضاً على خدمة الأمة العربية وابنائها»[١].

وقد انتقلت جمعية النهضة العربية من التكتم والتستر الى وضح النهار بعد إعلان الدستور ، وتخلت عن السياسة ، بعد ان تم « القضاء على تلك الحكومة المطلقة بيد جمعية سياسية أخرى»[٢]. وقد وضعت الجمعية دستورها في ٦ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ (١٣ ربيع الاول ١٣٢٧) ثم أجرت انتخاباتها في ٨ نيسان – ابريل (١٥ ربيع الاول)[٣]. وقد تحول الى جمعية النهضة السورية بضغط من حكومة الاتحاد والترقي[٤].

٦

كانت النهضة العربيـة الحديثة قد أثارت في نفوس الكثيرين من العرب في الامبراطورية العثمانية ، وخاصة في لبنان وسورية وفلسطين ، نزعات قومية قوية ، ورغبة في الحرية والمساواة ، نقلها اليهم المشتغلون بالأدب والعلم والتاريخ من الغرب ، وقواها شعور بقيمة الحضارة العربية . ومن ثم فقد كان شعور العرب بنجاح الثورة ضد عبد الحميد ، على ما رأينا ، باعثاً قوياً لاحياء آمالهم في ان ينالوا حقوقهم في العهد الجديد . ومع ان العرب الذين اسهموا بتركية الفتاة كانوا قلة بحيث لم يكن لهم اثر في تسيير الحركة ، فان الكثيرين ممن كانوا يعرفون عنها كانوا ينتظرون نجاحها بفارغ الصبر . ومن هنا كانت هذه الموجة العارمة من السرور التي اجتاحتهم كما اجتاحت غيرهم من شعوب الامبراطورية العثمانية .

(١) الدكتور صلاح الدين القاسمي ص ٤ – ٦ . يرى الأمير مصطفى الشهابي (ص ٥٣ – ٥٤) ان هذه الجمعية نشأت أصلاً تحت تأثير حلقة الشيخ طاهر الجزائري .

(٢) الدكتور القاسمي ص٦ ، راجع ايضاً ص ١٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٩ ، راجع ايضاً ص ١٤ – ١٥ .

(٤) الشهابي ص ٧٢ هامش ٢ والقاسمي ص (يا) هامش ١ .

لكن ثورة ١٩٠٨ ، وما جاء بعدها في سنة ١٩٠٩ أظهر موقف الاتحاد والترقي على حقيقته ، وخيب آمال الكثيرين في الجمعية .

فقد انضحت أمور كثيرة في الفترة القصيرة التي تلت الثورة ، هي التي أزالت ما كان يغشى الابصار ، وفتحت العيون على الحالة الراهنة . ولعلّه من الخير ان نذكر أهم هذه الامور في هذه العجالة :

(١) بدا واضحاً ان جمعية الاتحاد والترقي حلت محل السلطان عبد الحميد في السيطرة على الامور سيطرة تامة ، والاستبداد في تسيير الدولة والتأثير في انتخابات سنة ١٩٠٨ بحيث يكون ذلك في مصلحتها ، وبحيث تكون النتائج مؤيدة لموقفها . ويظهر هذا بشكل خاص مما كتبه المراقبون لسير الامور في عاصمة السلطنة في سنة ١٩٠٩ [١] .

(٢) ظهر حالاً ان ثمة انقساماً بين الأتراك أنفسهم حول أمور أساسية تتعلق بسياسة الدولة وموقفها من الشعوب المكونة لها . فقد كان ثمة جماعة ، هي التي عرفت فيما بعد باسم « الحرية والائتلاف » (التي تولت الحكم لمدة قصيرة سنة ١٩١٢) تؤمن باللامركزية ، وهي الفكرة التي ورثتها من البرنس صباح الدين ومؤيديه . وهذه الجماعة كان يؤيدها، بطبيعة الحال ، اكثر سكان الولايات العربية والولايات الاوروبية التابعة للامبراطورية والارمن . وهذه الجماعة التركية كانت تنظر إلى القضية من وجهة عثمانية — او جامعة عثمانية اذا شئت . فقد كانت تحب ان يمنح غير الأتراك نوعاً من الحكم الذاتي ، وبذلك يحتفظ بهم ثروة وقوة للامبراطورية بدل من اثارتهم ضدها ، ورميهم في احضان حركات مناوئة داخلية وخارجية .

(٣) يقابل هذا ان جمعية الاتحاد والترقي كانت تميل الى المركزية الشديدة، وترى ان الحل الوحيد لمشكلة هذه الأقوام المختلفة ، عرباً كانوا أم غير عرب هو ان تأخذهم بالشدة والعنف والاستغلال . ومن هنا كان هذا التشدد

---

(١) راجع William Yale, The Near East (Ann Arbor , 1935) pp. 164 - 5 , 167 .

في استعمال اللغة التركية لا في الدوائر الرسمية وحسب ولكن في المدارس ايضاً، الأمر الذي اثار النقمة إلى حد كبير . وها نحن نسمح لانفسنا هنا أن ننقل عن الاستاذ ساطع الحصري رأيه في هذه القضية وتلك التي سبقتها . يقول الاستاذ الحصري « ولكن التشدد في المركزية ، في عهد المشروطيـة ، في دولة تتألف من قوميات عديدة ، مثل الدولة العثمانية ، كان لا بد ان يثير مشاكل كثيرة وخطيرة ، وتوالي هذه المشاكل كان لا بد ان يحمل الكثيرين من النواب الى المطالبة « باللامركزية » .

«ونستطيع ان نقول لذلك ان فكرة « اللامركزية »اقتحمت المجلس النيابي اقتحاماً ، ودخلت في منهـــاج حزب المعارضة الذي سمي باسم « حزب الحرية والائتلاف » .

« وأخذ نواب الأقاليم الـ « غـير تركية » ينفصلون شيئاً فشيئاً عن حزب الاتحاد والترقي ، وينضمون الى حزب الحرية والائتلاف .

« ومع هذا بقي حزب الاتحاد والترقي قابضاً على زمام الحـكم ، حتى اندلاع ثورة الالبان سنة ١٩١٢ ، قبيل حرب البلقان .

«ان الاحداث التي أعقبت ثورة الالبان ،أدت الى سقوط الحكومة الاتحادية والى انتقال مقاليد الحـكم الى حزب الحرية والائتلاف .

« والوزارة التي ألفهـــا الحزب المذكور ، أخذت تعد العدة لتطبيق مبدأ اللامركزية ودعت « المجـــالس العمومية في الولايات ، الى الاجـتماع ، لبحث حاجات الولاية ، وتقديم تقارير عما تراه من اصلاحات » .

« ولكن عمر هذه الوزارة لم يطل كثيراً : فان زعماء الاتحاد والترقي أقدموا على « ضربة حكومية » ناجحة ، أعادت إليهم زمام الحـكم مرة أخرى : انهـم باغتوا الوزارة ، خلال اجتماعها في الباب العالي ، قتلوا وزير الحربية مع مرافقه، فاضطروا رئيس الوزراء الى الاستقالة .

«والوزارة التي ألفوها بعد هذه الحادثة ،أصدرت الى الولايات المتحدة أمراً بابطـــال الخطوات التي كانت خطتهـا وزارة الحريـــة والائتلاف في سبيل

اللامركزية .

«وعادت بذلك فكرة المركزية الى الحكم والسلطان .

«ان هذا العمل سيولد رد فعل شديد في البلاد العربية ، وسيؤدي الى نتائج خطيرة »[1] .

(٤) وزاد الطين بلة ان سيطر في تلك الاثناء انتشار فكرة الجامعة الطورانية (او التورانية) وان كانت سيطرتها محدودة في بادىء الامر . ويمثل هذا الاتجاه في جمعية الاتحاد والترقي جمال باشا . وبعض الذين قبلوا بالفكرة الطورانية كانوا يرون وجوب انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية لتظل تركية بلداً تركياً بقومية تركية خالصة . لكن الاكثرية العظمى من دعاة السياسة الطورانية كانوا يقولون بالقومية التركية دون ان يروا ان للقوميات الاخرى حقوقاً ، ومن ثم كان استنكارهم للحركات القومية في البلاد العربية[2] .

(٥) في خريف سنة ١٩٠٨ أنشأ جماعة من الجالية العربية في عاصمة السلطنة « جمعية الاخاء العربي العثماني » التي كانت من غاياتها ان تعين جمعية الاتحاد والترقي على المحافظة على احكام الدستور ، وان تنهض بالعرب وتحافظ على حقوقهم ايضاً . ولكن هذه الجمعية أغلقت ابوابها في ربيع السنة التالية بعد خلع عبد الحميد . أغلقتها جمعية الاتحاد والترقي . ولعل السبب هو ما آنسته فيها من اتجاهات قومية عربية[3] .

---

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٢) ساطع الحصري ، نفس المصدر ، ص ١١٠ . الشهابي ص ٦٣ .

(٣) راجع عن الجمعية امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، الجزء الاول (القاهرة ١٩٣٤ ؟) ص ٧ — ٨ .

يقول الدكتور احمد قدري في مذكراته (ص ١٠) انه « لما كان معظم المنتسبين الى فروع جمعية الاخاء العربي في الولايات العربية من الرجعيين الذين آزروا حركة عصيان ٣١ آذار المشهورة لذلك فان الاتحاديين بعد ان قمعوا هذا العصيان المسلح ، اغلقوا فروع جمعية الاخاء فلم يعد لرجالها منفعة من استمرارها في العمل اذ اصبحت الحكومة ضدها فانحلت الجمعية » . وفي هذه العبارة امور كثيرة تدعو الى التساؤل . فمن ذلك القول بان الجمعية كان لها فروع في الولايات العربية ، والغالب ان هذا رأي جديد . والقول بان معظم المنتسبين الى الجمعية كانوا

(٦) اتضح لرجالات العرب بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٢ ان استمرار التعاون مع الاتحاديين مستحيل ، وانه يتوجب عليهم ان يتخذوا الخطوات اللازمة للدفاع عن حقوق بلادهم ، والحفاظ على مصالح جماعتهم . ومن هنا أخذت الجمعيات العربية المختلفة ، السرية منها والعلنية ، تعمل جاهدة في سبيل ذلك .

٧

كان المنتدى الأدبي من اعمال الجالية العربية في استانبول . وقد انشىء في خريف سنة ١٩٠٩ واستمر في عمله الى اوائل سنة ١٩١٥ ، اذ اغلقته الحكومة . وهذه المؤسسة كانت تعنى بالشؤون الادبية والثقافية ، وكان ناديها ملتقى القادمين الى العاصمة من انحاء العالم العربي ، وخاصة النواب الذين جاؤوا ليمثلوا بلادهم في البرلمان الثاني (برلمان ١٩٠٨) . على ان المنتدى لم يقصر عمله على الاستقبال والتحدث في شؤون الادب والثقافة ، بل كان معنياً اصلا بالناحية القومية . يقول الدكتور أحمد قدري عنه « وقد أدى هذا المنتدى للعرب خدمات جليلة فنشر الفكرة العربية ، وكان بمثابة موئل للطلاب العرب الذين يؤمون الاستانة . وبالنظر لكونه المؤسسة العربية ذات المكانة الوحيدة في الدولة العثمانية .... فقد بلغ هذا المنتدى مكانة رفيعة وخاصة ابان عقد الاتفاق بين زعماء العرب والاتحاديين عقب مؤتمر باريس »[١] .

من الرجعيين فيه تعميم ليس ما يبرره . يضاف الى ذلك ان الحركة المعروفة بحركة ٣١ آذار (مارس) لم تكن حركة رجعية تماما . فالدراسات الحديثة ترى ان هذه الحركة كانت تضم الكثيرين ممن نقموا على الاتحاديين سيطرتهم وغطرستهم واستبدادهم وارادوا ان يخلصوا البلاد من جورهم . هذا ينطبق على الاقل على جماعة الحرية والائتلاف الذين ،على ما يظهر ، كان لهم يد كبيرة في الحركة . راجع . William Yale, pp. 168 - 170

بخصوص موقف الاتحاديين من خصومهم راجع الدكتور صلاح الدين القاسمي ص ١٧٩ — ١٨٢ (وهي رسالة بعث بها المرحوم القاسمي من استانبول الى جريدة المقتبس ونشرت اصلا في العدد ١٩١ (٣١ تموز ١٩٠٩/١٤ رجب ١٣٢٧) .

(١) الدكتور احمد قدري ص ١١ . امين سعيد ، المصدر المذكور ، ص ٨ .

وقد كان للنادي مجلة تعبر عن اغراضه سميت باسم لسان العرب ثم جعل عنوانها المنتدى الادبي . « لقد كان هذا النادي مباءة العروبة في عاصمة الدولة، ففيه كان الطلاب الجدد يتلقنون ممن تقدموهم في الدراسة مبادىء القومية العربية ومراميها ، وفيه كانت تدرس وتناقش خطط الاتراك الاتحاديين الرامية الى تسويد القومية التركية والقضاء على القوميات السائدة في الدولة . وكانت اهداف النادي القومية تبرز على الملأ فيما كان يلقى فيه من محاضرات وخطب ، وما كان يقام فيه من حفلات ، وما كان ينشر في مجلته من بحوث ومقالات وقصائد واناشيد وطنية ، وما كان يدور فيه من احاديث ومناقشات في الشؤون العربية سواء بين بعض اعضائه وبعض ، او بينهم وبين زوار النادي الكثيرين من نواب وساسة وموظفين وجالية عربية مقيمة في العاصمة » (١) .

وقد كان اعضاء المنتدي الادبي الذين يعودون بعد الانتهاء من دراستهم العالية في استانبول الى بلادهم اثر كبير في بث رسالته وتوضيح موقف الاتراك الاتحاديين من قضايا العرب وغيرهم في الامبراطورية .

على ان العرب المقيمين في استانبول لم يكتفوا بالعمل العلني الذي شهده « الاخاء العربي العثماني » و « المنتدى العربي » ، بل عمدوا الى النشاط السياسي السري . ومن اجل ذلك انشأوا « القحطانية » ، وهي اول جمعية سرية اسست في عاصمة الدولة العثمانية ، وكان ذلك في سنة ١٩٠٩ . وكانت الجمعية سرية في تنظيمها ، سياسية في غاياتها ، ترمي الى ابعد مما رمى اليه حزب اللامركزية الادارية العثماني . فهذا الحزب ، الذي كان علنيا ، انشأه (١٩١٢) جماعة من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين من المستوطنين في مصر ، وكانوا يدعون الى نوع من الحكم الذاتي للولايات العربية ، ويعملون على نشر الفكرة نشرا صحيحا بين العرب في الرافدين وديار الشام ، كما كانوا يحاولون توضيح القضية للاتراك انفسهم بشتى الوسائل الممكنة . اما القحطانية فقد سارت في هذا الاتجاه الى

---

(١) الشهابي ، ص ٧٠ - ٧١ وايضا ص ٧٠ هامش ١ . لكن امين سعيد (المصدر المذكور ، ص ١٥) ينسب المجلتين الى جمعية العلم الاخضر .

مدى ابعد قليلا ، اذ كانت غايتها ان تتألف الدولة العثمانية من جزئين مستقلين استقلالا تاما في الامور الداخلية — الواحد عربي والآخر تركي . وتكون الدولة عربية — تركية في اطار عثماني ، على غرار امبراطورية النمسا والمجر . فيحمل السلطان الخليفة عندها تاجين — تاجا عربيا وآخر تركيا . ومع ان الجمعية القحطانية كانت حريصة في اختيار اعضائها ، فالظاهر ان هنـــاك من ضم ولم يكن يستحق ذلك ، فاظهر خبرها . وعندها رأى اصحاب الشأن فيهـا ان يتخلوا عن المنظمة ، فذابت بطبيعة الحال [١] . وقد انضم بعض اعضائها فيما بعد الى حزب العهد (او العهد) وجمعية العربية الفتاة (او الفتاة) [٢] .

ومع ان الفتاة سبقت العهد زمنياً ، فاننـــا نود ان نتحدث عن « العهد » أولاً ، لان هذه الجمعية ، كسابقتها القحطانية ، نشأت في عاصمة الدولة العثمانية ، وكان ذلك في سنة ١٩١٣ . وهـــذه الجمعية كانت تضم الضباط العرب ، وهنا تختلف عن القحطانية التي كان فيها من الضباط والمدنيين على السواء . ولم يختلف العهد عن القحطانية من حيث الغـــاية ، وفي الحصول على حقوق العرب ضمن إطار الدولة العثمانية . « وسرعان ما انضم الى العهـد لفيف من الضباط العرب من الاركان وغـير الاركان ، معظمهم عراقيون وشاميون ، وتأسس له فروع في المدن الكبرى من الشام والعراق ، ولم ينضم اليـه إلا قليل من المدنيين أكثرهم انتسبوا إلى فرع دمشق في زمن الحكومة العربية الفيصلية ... وضباط العهـد عموماً كانوا على درجات متفاوتة في ثقافتهم العامة ، وفي عمق تفكـيرهم ، وفي صلاحهم لان يكونوا رجال دولة او رجـال سياسة . ولكنهم كانوا سواسية في حماسهم الوطني وفي ثقافتهم العسكرية »[٣] .

وهذه الجمعية سرية في الاصل . وقد أقسم أعضاؤها على ان لا يبوحوا بشيء

---

(١) George Antonius, The Arab Awakening (New York, 1939) p. 111.

الا ان امين سعيد (المصدر المذكور ، ص ١٠) يقول انها عاشت حتى الحرب العظمى .

(٢) الشهابي ، ص ٧٠ .

(٣) الشهابي ص ٧٩ .

عنها وان يعملوا لإدراك أغراضها وهذا نص برنامجها :

١ – ان جمعية العهد جمعية سرية أنشئت في الاستانة وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب على ان تظل متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا .

٢ – ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان .

٣ – لما كانت الجمعية تعتقد ان الاستانة رأس الشرق وان الشرق لا يعيش اذا اقتطعتها دولة أجنبية فهي تعنى عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها .

٤ – لما كان الترك يؤلفون من ٦٠٠ سنة المخافر الامامية للشرق امام الغرب فعلى العرب ان يعملوا للحصول على ما يؤهلهم لان يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر .

٥ – على رجال العهد ان يفرغوا قصارى جهدهم في إنماء المزايا المحمودة وبث الدعوة للتمسك بالاخلاق الفاضلة ، فالامة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالاخلاق الصالحة القويمة .

ولقد أحدث إنشاء هذه الجمعية ضجة شديدة في دوائر الاستانة .. لانها ولدت في ظرف توترت فيه العلاقات بين الاتحاديين والشبيبة فلقيت تأييداً من الشبان والضباط العرب الذين التفوا حولها وأنشأوا لها فرعين في بغداد والموصل ، وهذا ما جعل الحكومة الاتحادية تخشاها وتحسب حسابها وتفرق رجالها قبل ان يشتد ساعدها .

ففي يوم ٢٤ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ عقد اجتماع خاص في دار وزارة الحربية بالاستانة حضره الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ومحافظ الاستانة العسكري احمد جمال باشا وذلك قبل ان يعين لوزارة البحرية ومدير الامن العام عزمي بك فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية خاصة وجمعية العهد عامة وقرروا المواد الآتية :

١ – إقصاء الضباط العرب المقيمين في الاستانة وعددهم كما ظهر من كشوف وزارة الحربية ٤٩٠ ضابطاً ينتمي ٣١٥ منهم للعهد، الى المناطق التركية ، وهي تراقية والاناضول فلا يعود في إمكانهم القيام بأي عمل يساعد على زيادة الجفاء بين العرب والترك .

٢ – تولية القيادة في البلدان العربية الى الضباط الترك وإقصاء الضباط العرب عنها والاستغناء عن خدمتهم فيها بقدر الامكان .

٣ – الاسراع في تنفيذ سياسة تتريك العناصر .

٤ – يعد احمد جمال باشا المنهاج اللازم لتتريك العناصر .

٥ – مقاومة الحركة الاصلاحية التي ظهرت في بيروت وباريس .

٦ – إلغاء الاحزاب العربية كلها وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية تشرف على الشؤون العربية وتدبر الخطط اللازمة لمقاومة دعاة الانفصال وترقب حركاتهم بدقة زائدة .

٧ – اقصاء العرب الذين يعملون ضد الترك من الاستانة واستمالة من يمكن استمالته منهم .

٨ – تعزيز نفوذ جمعية الاتحاد والترقي في البلاد العربية والاكثار من المنتسبين الى انديتها[١] .

أما الجمعيات التي اسست خارج عاصمة الدولة فهي حزب اللامركزية الذي مر بنا خبره ، وجمعية بيروت الاصلاحية وسنتحدث عنها فيما بعد ، وجمعية البصرة الاصلاحية وجمعية العربية الفتاة ، وهي التي نود ان نعرض لها الآن .

لعل هذه الجمعية ، التي عرفت باسم الفتاة اختصاراً او تستراً ،[٢] هي اقوى الجمعيات السرية التي انشئت قبل الحرب العالمية الاولى . وقد استطاعت ان تحافظ على سرية وجودها ، ومع تعرض اعضائها لانواع الضغط والعذاب فلم يعرف ان أحداً منهم باح باسرارها او وشى باحد من اعضائها . وقد بدأت

---

(١) امين سعيد ، المصدر المذكور ، ص ٤٦ – ٤٧ .
(٢) احمد قدري ، ص ١٢ .

الفكرة اصلا بين نفر من الطلاب العرب كانوا يدرسون في باريس وظهرت للوجود في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩ وكان اسمها اولاً « جمعية الناطقين بالضاد » . لكن هذا الاسم تغير الى العربية الفتاة في سنة ١٩١١ ، اذ انشىء اول هيئة ادارية لها [١] ومن هنا ذهب البعض الى ان انشاءها يعود الى سنة ١٩١١ . فالدكتور أحمد قدري ، يقول « وقد سافر عوني عبدالهادي ومحمد رستم لباريس لاكمال دراستهما ، فخابراني بخصوص مواصلة السير بجمعيتنا العربية التي كنا شرعنا بتأسيسها في الاستانة ، فاجبتهما بضرورة ذلك ، وبأنني على وشك اللحاق بهما . وهكذا تشكلت اول هيئة ادارية للفتاة سنة ١٩١١ وغايتها النهضة بالعرب وايصالهم إلى مصاف الامم الحية »[٢] .

وقد كتب المرحوم الدكتور احمد قدري عن الجمعية طويلاً ، وهو من الذين يعرفون الكثير عنها ، ونرى من واجبنا ان ننقل هنا بعض هذا الذي كتبه اتماماً للبحث . « وقد تحاشينا ذكر اسم الاستقلال في مضامين برنامج جمعيتنا ، وان كنا في السر نعمل ونسعى وراءه . اما سير اعمالنا فقد كان وفق خطة مرسومة منظمة . فكنا نعقد اجتماعاتنا في باريس بصورة سرية ، ونحتاط لمساعينا بالكتمان الشديد ، ونحرص ايما حرص على محاضر الجلسات ان يتسرب منها ما ينم على حقيقتنا . وكان من شروط العضو المنتمي الى جمعيتنا ان يكون كتوماً مخلصاً ، مؤمناً بالعقيدة القومية العربية ، مطيعاً لقرارات الاكثرية بدون قيد ولا شرط .

«واذا ما آنس احد الاعضاء في شخص عربي نزعة وطنية عربية نظير نزعتنا ، وجب عليه ان يقدم عنه تقريراً حتى اذا درس الدراسة الوافية ، واستوثقت الجمعية من أهليته ، أصدر القرار بقبول انتسابه مبدئياً ، ثم عهد الى شخصين هما

---

(١) راجع امين سعيد ص ٩ – ١٠ : Antonius p. III; Zeine, P. 8I.؛ الشهابي ، ص ٧٣ هامش ١ . ويرى الشهابي (ص ٧٣) « ان فكرة تأسيس جمعية قومية سرية غير الجمعية القحطانية انتقلت من اسطنبول الى دمشق ثم اختمرت في بيروت ، ثم تحققت في باريس في ١٤ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٩ » .
(٢) قدري ، ص ١١ .

مقدمه وأحد الاعضاء بدراسة كافة احواله وملابساته ، ونزعاته في مبادئه الوطنية ثم بصلابة اخلاقه . ومتى تمّ هذا كله دعي الى تأدية القسم امامها فقط وهو لا يعرف من اعضاء الجمعية غيرهما .

« وكان القسم الذي أشرت إليه يتلخص في الطاعة لقرارات الجمعية، والحرص على الكتمان الشديد، وبذل النفس والنفيس في سبيل إعلاء شأن الامة العربية وايصالها الى مصاف الامم الحية – كما قلنا من قبل – .

« لم تكن اعمال الجمعية في بادىء الامر لتتعدى نشر الدعاية الوطنية في الصحف وغيرها ، والتحري عن أعضاء جدد . ولما كنت وانا في باريس على اتصال دائم بأصدقائي في المنتدى الادبي باستانبول ، وهم سيف الدين الخطيب ورفيق رزوق سلوم ، ويوسف مخيبر ، فقد قدمت اسماءهم الى هيئة جمعية الفتاة الادارية ، فأحرزوا التزكية ، وقبلوا في عداد أعضائها وقد أقسموا اليمين امام السيد توفيق الناطور وهو في طريق عودته الى بيروت عن طريق استانبول وبذلك أصبحت أعمال المنتدى المذكور في استنبول مرتبطة بجمعية الفتاة بباريس .

« وخابرت كذلك رشيد الحسامي الذي كان موظفاً عدلياً في الكرك لينضم الينا . وبعد ان تمت مخابرته ومخابرة توفيق البساط والامير عارف الشهابي وعمر حمد ومحمد الشريقي ، وبعد دراسة مبادئهم ، ضموا الى حلقة اعضاء جمعيتنا . ولما كان صيف عام ١٩١٣ فاتحت توفيق السويدي في استنبول وانا عائد الى دمشق بالانضمام الينا وقدمت اسمه للمركز ، فقبل حسب الاصول المرعية . وعقب وصولي لدمشق أطلعت شكري القوتلي على قانوننا في دارنا بالقنوات ثم زكي وقبل بعد ان حلف اليمين حسب المعتاد .

« وانضم الينا ايضاً كثير من الاعضاء الجدد في العطل الصيفية ، أي في الاوقات التي نعود فيها الى بلادنا . وما مرت بنا فرصة سانحة من الدعاية لقضية وطننا وخدمته إلا اغتنمناها »[1].

(١) قدري ، ص ١٢ – ١٤ .

في سنة ١٩١٢ تولت الحكومة الائتلافيــة شؤون الدولة العثمانيــة ، فشجع ذلك المطالبين باللامركزية على العمل المنظم . فقامت « الجمعية الاصلاحية » في بيروت في اواخر سنة ١٩١٢ بدرس هــذه القضية دراسة مفصلة ، وكان ان وضعت في اوائل سنة ١٩١٣ لائحة تتناول وجهة نظرها وبرنامجهـــا ، وأساسه اللامركزية ، وخلاصتها الاعتراف بان تكون العربية لغة رسمية في دوائر الولاية الحكومية ، وان تعين العاصمــة رؤساء تلك الدوائر على ان يكونوا عارفين باللغة العربية ، اما سائر موظفي الولاية فيكونون من ابنائهــا ، وان يؤلف مجلس تمثيلي للولاية تكون العربية لغته ، ويكون له سلطة محلية واسعة منهـــا إقرار ميزانية الولاية التي يتألف دخلها من ضرائب حددت في اللائحة وبهذه الميزانية تتولى الولاية الاعمال الحكومية التي لهـــا صبغة محلية كالمعارف والزراعة والتجارة والاوقـــاف والصحة والاشغال العامة . امـــا المؤسسات التشريعية والحكومية الكبرى كالمجلس النيابي ومجلس الاعيان ومجلس الشورى والوزارات ، فتبقى كلها في العاصمة .

ومما جاء في اللائحة ايضاً ان يقضي ابناء الولاية الخدمة العسكرية فيها ، في غير ايام الحرب ، وان يكون في دوائر الولاية الحكوميـــة مستشارون من دول اجنبية توافق العاصمة على اختيارهم وعلى تعيينهم[٢] .

وقد تلقى الكثيرون هذه اللائحة بسرور عظيم ، وعقدت اجتماعات تأييدية لها في دمشق وحلب وعكا ونابلس وبغداد والبصرة . ولكن الاتحاديين عادوا في تلك الاثناء الى الحكم ، فاوقفوا اعمال الجمعية الاصلاحية . ففي ٨ نيسان (ابريل) ١٩١٣ دخل رجال الشرطة على الجمعيـــة وهي منعقدة واخبروا الاعضاء ان الحكومة قد رسمت بحلهـــا واغلاق مكاتبها (كانت هذه في بلدية بيروت) . وكان رد الفعل عند أهل بيروت شديداً فاقفلت المتاجر وظهرت وحواشيها مجللة بالسواد . وكان ثمة اضطرابات في المدن السورية تأييداً للجمعية الاصلاحية . اما الحكومة فقد منعت الصحف من الصدور ، كما ألقت القبض على

(٢) الشهابي ، ص ٨٣ .

بعض اعضاء الجمعية . ومع ان الحكومة عادت فأطلقت سراح هؤلاء ، ووسعت سلطات المجالس التمثيلية في الولاية ، فان ذلك كان أقل بكثير مما طلبته الجمعية ومما أمله الناس[1] .

وجدير بالذكر أنه بالإضافة الى هذه الجمعيات العلنية والسرية التي قامت في استانبول وباريس والقاهرة وبيروت وغيرها ، أسست جمعية أخرى في تونس سميت هي الأخرى « تونس الفتاة » على غرار « تركية الفتاة » و « العربية الفتاة » .

ولسنا هنا بمعرض التأريخ للحركة الوطنية في القطر التونسي ، ولكننا نود ان نقول ان رهطاً من التونسيين كانوا قد انتظموا في جمعيات وأندية تعمل على رفع شأن بلادهم علمياً واقتصادياً وسياسياً وعلى مقارعة الفرنسيين . فالحاضرة (١٨٨٨) والخلدونية (١٨٩٦) وقدماء الصادقية (١٩٠٥) وقدماء الزيتونة (١٩٠٧) إنما هي نماذج لهذه المحاولات .

وكان كثيرون من زعماء تونس السياسيين يترددون على استانبول ، كما كان آخرون يترددون على القاهرة ، وثمة من كان يزور البلدين . وقد لقي بعض الزعماء تشجيعاً من عبد الحميد الذي كان يهتم بالجامعة الإسلامية . على ان المهم هو ان حركة تركية الفتاة ، والثورة التي قامت بها على عبد الحميد والنجاح الذي أحرزته ، أثار الحماسة في نفوس بعض التونسيين ، فتقدم علي باش حامبه والشيخ عبد العزيز الثعالبي الى تأسيس حزب سياسي (١٩١٠) عرف فيما بعد باسم تونس الفتاة . وقد أخذت الجمعية على عاتقها توضيح مطالب التونسيين من فرنسة . وكانت هذه الجمعية شبه سرية . ولم يكتب للجمعية ان تعمر طويلاً ، فان حادثة مقبرة الجلاز (خريف ١٩١١) وإضراب الترام (١٩١٢) والمحاكات

---

(١) Antonius, p. 113-4 بتجد اخبار جمعية بيروت الاصلاحية مفصلة تفصيلا وافياً في امين سعيد ، المصدر المذكور ، ص ١٨ – ٢٤ ، ٥٣ – ٥٤ . وكذلك اخبار جمعية البصرة الاصلاحية والنادي الوطني العلمي في بغداد ص ٢٤ – ٢٥ .

التي تلتها أدت الى تشدد الحكومة الفرنسية في تطبيق العقوبات ، والقاء القبض على زعماء تونس الفتاة ونفي بعضهم خارج البلاد . وكان بين هؤلاء علي باش حامبه الذي ذهب الى تركية ، وعمل مع الاتحاديين في مناصب مختلفة . وظل الى آخر حياته يعمل في سبيل تونس (توفي ١٩١٨) .

٨

حركة تركية الفتاة كانت موجهة اصلا ضد عبد الحميد واستبداده ، وكان من اهدافها ان تعيد الدستور وتقيد السلطان . وقد بارك الحركة كثيرون من غير الاتراك ، بقطع النظر عما اذا كانوا قد اشتركوا فيها ام كانوا مجرد مراقبين . والنجاح الذي أصابته أدى الى عقد الآمال عليها . لكن العبء الذي القاه النجاح على كاهل الجمعية كان اكبر بكثير من مقدرتها ، والمشاكل التي جابهتها كانت كثيرة معقدة ، ولم يكن بالامكان ان تعد لكل منها حلولا مسبقة . وكان حرص الجمعية على المحافظة على الامبراطورية شديداً ، كما كان الشعور التركي يغلب على تصرف الذين تسلموا المقدرات فيما بعد . ومن هنا كان هذا الموقف العنيف الشديد الذي وقفه الاتحاديون من العرب وغير العرب خارج تركية نفسها .

ولكن هذا الموقف نفسه بعث في نفوس الكثيرين ممن كانوا قد علقوا الآمال على الاتحاديين شيئاً من الخيبة والمرارة . فترتب على هذا ان اتخذ العرب ، وهم الذين كانوا قد خبروا مثل تجربة الترك ، إحياء لأدبهم (وهو أغنى) ولتاريخهم (وهو أبعد مدى) وشعوراً بكيانهم ، موقفاً سداه الحفاظ على كيانهم ولحمته الحفاظ على الامبراطورية العثمانية . فطالبوا (١٩٠٩ — ١٩١٤) بأن يكونوا شركاء في هذه الرقعة الكبيرة ، على ان تكون المساواة اساس ذلك .

ولعل المؤتمر العربي الاول[١] الذي عقد في باريس في ١٨ حزيران (يونيو)

---

(١) امين سعيد ، المصدر المذكور ، ص ٢٥ — ٤٦ .

١٩١٣ دليل على ان الزعماء العرب البارزين على المسرح في ذلك الوقت كانوا بعد يرغبون في شراكة مساواة ، ولا يريدون انفصالاً تاماً . فالمؤتمر عالج القضايا على اساس برنامج الجمعية الاصلاحية في بيروت وما الى ذلك .

ومع ان الحكومة العثمانية لم تهتم باديء ذي بدء بالمؤتمر وجلساته ، فقد رأت ان تتفاهم مع من يمثل اتجاهاته . والمفاوضات التي تلت ذاك انتهت الى توقيع اتفاقية بين عبد الكريم الخليل « رئيس المنتدى الأدبي ومعتمد الشبيبة العربية » في عاصمة الدولة ، وطلعت ، وزير الداخلية (١٩١٣) وهذه الاتفاقية لم تكن تعبر عن آراء جميع الزعماء ، ولم تكن تمثل كل الأماني ، ولكنها كانت محاولة عملية للسير قدماً في سبيل حل المشاكل اما الاتفاقية فهي :

« صورة الاتفاقية المعقودة بين المركز العام للاتحاد والترقي وبين هيئة الشبيبة العربية :

المادة ١ — يكون التعليم الإبتدائي والإعدادي (أي الثانوي) باللغة العربية في جميع البلاد العربية . كما يكون التعليم العالي ايضاً بلغة الأكثرية . وإنما يكون تعليم اللغة العثمانية إجبارياً في المدارس الإعدادية .

المادة ٢ — يشترط في رؤساء المأمورين بوجه عام ان يكونوا واقفين على اللغة العربية . واما سائر المأمورين فسيعينون من قبل الولاية ، الا ان الحكام ومأمورين العدلية الذين يتولون اعمالهم بارادة سنية (أي بارادة ملكية) سيعينون من المركز . وأما الولاة فمستثنون من القيد السالف الذكر .

المادة ٣ — ان العقارات والمؤسسات الوقفية المشروط صرفها الى الجهات الخيرية المحلية ، ستترك الى مجالس الجماعات المحلية ، على ان تدار من قبلها وفق شروطها الخاصة .

المادة ٤ — الأمور النافعة ستترك الى الادارة المحلية .

المادة ٥ — ان الأفراد العسكريين سيؤدون خدماتهم العسكرية — في وقت السلم — داخل البلاد العربية ، في دوائر مناطق الجيش التي ينتسبون اليها . إلا

ان الجنود الذين لا بد من إرسالهم في الحالة الحاضرة الى الحجاز والعسير واليمن سيرسلون من جميع الولايات العثمانية ضمن نسبة معينة .

المادة ٦ – ان المقررات التي تتخذها مجالس المديريات العامة ضمن صلاحيتها القانونية ستكون نافذة على كل حال .

المادة ٧ – سيقبل كمبدأ أساسي ، ان يكون في الوزارة ثلاثة من العرب على الأقل ، كما انه سيكون في الدوائر المركزية عدد مماثل لذلك من العرب بصفة مستشارين او معاونين . وسيعتبر من الأسس المقررة : ان يكون في كل من لجان المأمورين، وشورى الدولة – ومجلس المشيخة الإسلامية ، ومجالس سائر الدوائر المركزية اثنان او ثلاثة من العرب ، كما يكون في كل وزارة اربعة او خمسة موظفين من درجات مختلفة ايضاً من العرب .

المادة ٨ – سيكون في الحالة الحاضرة خمس ولاة وعشرة متصرفين من العرب . كما انه ستزال المغدوريات التي قد تكون لحقت بالموظفين في الدوائر الملكية والعدلية والعلمية الذين لم يرفعوا بالنسبة الى سائرو زملائهم ، واما فيما بعد فسيكون تعيين الموظفين وترفيعهم وتأديبهم وفق قانون خاص .

المادة ٩ – سيعين في مجلس الاعيان من العرب بنسبة اثنين عن كل ولاية عربية .

المادة ١٠ – سيعين في كل ولاية ، مفتشين متخصصين من الاجانب في الدوائر والمصالح التي تحتاج الى ذلك . وستقرر صلاحيات هؤلاء المفتشين وواجباتهم بنظام خاص ، يكفل الحصول على الفوائد الانضباطية والاصلاحية المطلوبة والمنتظرة منهم .

المادة ١١ – النقص الموجود حاليا في ميزانيات الدوائر التي تركت ادارتها الى الولايات ،سيسد عن طريق اضافة الموارد الكافية لميزانية الولاية .وسيخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفات الى الادارات المحلية ، على ان تصرف لامور

٩

كل ما يمكن ان يقال في الخاتمة أن حركة تركية الفتاة وثورتها أطلقت طاقات كبيرة من عقالها ، بين العرب وبين الاتراك وفي تركية اوروبة . أما في هذه فقد انتهى الامر بان خرجت بلغارية والبوسنة والهرسك وجزيرة كريت من الامبراطورية نهائياً . وأما في المحيط العربي فقد اشتد الوعي القومي وحاول التعبير عن نفسه قولاً وفعلاً ، وطالب العرب بحقوقهم ضمن الإطـــار الامبراطوري ، كما أخذ

---

(١) ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية (ط. ثانية القاهرة ١٩٥٥) ص ١٩٠ – ١٩٢ . والاتفاقية مكتوبة اصلا بالتركية ، والمنقول عن الاستاذ الحصري هو ترجمته .

نود ان نلفت نظر القارىء الى المظان التالية للحصول على التفاصيل المتعلقة بالجمعيات والحركات العامة :

(ا) امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، الجزء الاول (القاهرة ، ١٩٣٤؟) ص٦ – ٥٨ .

(ب) المؤتمر العربي الاول (القاهرة ، ١٩١٣) وفيه تفاصيل المؤتمر المنعقد في باريس في تلك السنة .

(ج) ساطع الحصري – محاضرات في نشوءالفكرة القومية (ط . ثانية ، القاهرة ، ١٩٥٥) ص ١٥٣ – ١٩٤ .

(د) ساطع الحصري – البلاد العربية والدولة العثمانية (القاهرة،١٩٥٧)ص ٩٠ – ١٢٣ .

(ه) الدكتور احمد قدري – مذكراتي عن الثورة العربية (دمشق ، ١٩٥٦)

(و) George Antonius, The Arab Awakening (New York,1939) C. VI (pp. 101-125) .

(ز) Zeine N. Zeine, Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism (Beirut, 1958) .

(ح) British Documents on the Origins of the War, ed. G.P. Gooch and H.W.V. Temperley (1926 - 38) Vol. X, Part 11, PP . 823 - 8.

البعض يحاول الانفصال عن الدولة العثمانية اعتقاداً منهم ان الاتحاديين ، على ما بدا من تصرفهم ، لم يكونوا يخلصون النية نحو العرب. والذي يمكن قوله هو ان الثورة العربية الكبرى في سنة ١٩١٦ إنما كانت نتيجة للانطلاقة الاولى في عاصمة الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨ .

بيروت – الجامعة الاميركية

حزيران ١٩٦٠ نقولا زياده

الفصل الأول

مقدمة

الاطار التاريخي

ان ثورة تركية الفتاة في سنة ١٩٠٨ كانت ثمرة عدة عقود من النشاط الذي قامت به جماعة صغيرة من الاحرار او شبه الاحرار ، الذين كانوا ، بتأثير الاراء والافكار الغربية ، قد توصلوا تدريجيا الى الاستنتاج بان الامبراطورية العثمانية آيلة الى الزوال ما لم تتخذ خطوات حاسمة لوقف التردي الذي كان يستشري . ويمكن ارجاع هذه الحركة الى عهد السلطان المبذر المتبذل عبد العزيز (١٨٦١–١٨٧٦) الذي جمد الاصلاحات التي قام بها سلفه عبد المجيد (١٨٣٩–١٨٦١) ، ولم يهتم الا بالانغماس في شهواته الخاصة . غير ان الامبراطورية العثمانية في عهد عبد العزيز بدأت تحس بأثر المدنية الغربية المتزايد ، اذ ان اوروبة الغربية أخذت منذ حرب القرم يتزايد ادراكها للمسألة الشرقية وملابساتها .

لقد أخذت الطبقة المثقفة التركية تتحرك مع الانتشار السريع للافكار الغربية . فالادب التركي الذي لم يكن رائعا بذاته ، بدأ يصدف عن المؤثرات التي جعلته تقليدا متحجراً للادب الفارسي ، والتفت يرحب بالمؤثرات التي كانت ستجعله ، موقتا على الاقل ، تقليدا جامدا للادب الفرنسي ، وبذلك اتصل

رجال الادب التركي بثقافة جديدة مختلفة تماما اثارت خيالاتهم وامدت أفكارهم بكثير من الغذاء . ولا ريب في انهم لم يفهموا الكثير مما اصبحوا يتعرضون له، نظرا لانه لم يكن في اساس تكوينهم ما يعدهم لذلك . ولذلك كان الكثير من الافكار التي صاروا يعبرون عنها في التركية ، غير مهضومة جيدا ، بل وحتى المفردات اللغوية التي استعملوها لم يستوعبوها . ولكن المهم هو انهم بدأوا يستعملون كلمات مثل « الوطن » و « الدستور » و « البارلمان » وكلها تبدو غريبة ونشازا في الامبراطورية العثمانية الطريحة على فراش الموت ، والمتعددة القوميات . وقد ساءت الحالة لدرجة ان وجد هؤلاء انفسهم مضطرين الى التعبير عن ارائهم من أوضاع خارج الامبراطورية .

وهكذا ففي العقد السابع من القرن الماضي اصبح الاعضاء الاول لتركية الفتاة مناظر مألوفة في شوارع باريس ولندن ، وفي حوالي سنة ١٨٦٤ انشئت في لندن (حريت) [١] وهي أول مجلة لتركية الفتاة ، باشراف رفعت بك ، وتأسست جالية من تركية الفتاة وكانت تضم ابرز المدافعين عن الاتجاه الحديث في الادب التركي من أمثال كمال بك (نامق كمال) وضيا باشا ، وآخرين من أمثال مصطفى فاضل باشا ، أخي اسماعيل خديوي مصر ، ونوري بك ورشاد بك ، وعلي سوافي الذي فقد حياته فيما بعد في محاولة فاشلة لانقاذ السلطان المعزول مراد الرابع من القصر الذي اعتقله فيه عبد الحميد [٢] .

ان هذه الحركة الاولى لتركية الفتاة ذات البداية الادبية بالدرجة الاولى ، سرعان ما جرت معها معاني سياسية ، اذ أن زعماءها ، بتأثير المؤسسات والعادات الاوروبية الغربية ، أخذوا يطالبون بالتحرر من طغيان السلاطين الاتراك ، وبادخال الحكومة الدستورية في الامبراطورية العثمانية . فقد كان هناك رأي واسع الانتشار بان اخذ الامبراطورية بالاشكال الاوروبية الغربية ، سيتلوه تلقائيا قيام دولة قوية حديثة . كما ان تفكيرهم اخذ ينم عن علامات للقومية . لقد رأوا ، كالاجيال التالية من تركية الفتاة ، في الاصلاح وسيلة لتقوية امبراطورية محتضرة لا غاية بذاته . وكانوا يأملون من اقتباس المؤسسات

الغربية اكتساب قوة تمكن الامبراطورية من صد اعتداءات الغرب .

ثم أنهم كانوا كخلفائهم، مستعدين للترحيب بتعاون الاقليات في الامبراطورية .

غير ان ادراكهم ان الاقليات هم شركاء متكافئون ، لم يزد عن ادراك ثوريو سنة ١٩٠٨ ؛ لقد كان مخططهم تقوية الامبراطورية العثمانية، وهذا يتضمن استمرار السيادة التركية .

ان نشاط اعضاء تركية الفتاة السياسي في أيام عبدالعزيز ، اقتصر الى حد كبير على اصدار الصحف التي كانت ترسل الى الامبراطورية بواسطة دوائر البريد الأجنبية التي كانت تتمتع بحقوق خاصة داخل الدولة . وقد افرغ رجال الادب، امثال نامق كال وشناسي افندي، افكارهم في مؤلفاتهم الأدبية الخاصة ، ولكنها اقتصرت على دائرة محدودة فحسب ، غير ان عملهم كانت له أهمية في التأثير على من جاء بعدهم . فالرواية الميلودرامية التي وضعها نامق كال (وطن ياهوت سلستريا) ظهرت لاول مرة في سنة ١٨٧٣ ، ولكنها انتشرت بدرجة هائلة ، على اثر منع السلطان عبدالحميد لها ، بين الطلاب في المدارس العسكرية حيث كانوا يهربون نسخها تحت سمع المدرسين وبصرهم .

لا يمكن ان نقدر بالضبط مدى تأثير افكار اوروبة الغربية في تركية ابان اية فترة معينة من الوقت ، ويكفي ان نقول ان عملية تغلغل هذه الافكار استمرت متئدة في سيرها طوال عهد عبدالعزيز، وان دائرة الأحرار الترك كانت تتسع باستمرار . ثم جاء عزل عبدالعزيز اخيراً ، ولكن لا بيد تركية الفتاة (او العثمانيين الجدد) بل لان فئة من الموظفين الاتراك ، عسكريين ومدنيين ، ادركت بان تطرفات عبدالعزيز كادت تؤدي بتكوين الامبراطورية الاقتصادي الى شفا الانهيار . وأبرز شخصية في حركة عزل عبدالعزيز في سنة ١٨٧٦ هو مدحت باشا ، وهو موظف تركي قدير جداً ، بدأ اسمه يبرز حوالي سنة ١٨٦٠ كموظف في ولايات تركية الاوروبية اولاً ثم في بغداد . وقد ادت سياسته المستنيرة في النهاية الى الأخذ بنظام جديد كلياً لادارة الولايات ، غير ان هذا النظام لم يترك اثراً قط ، ولكن الذنب في هذا لا يقع عليه .

لقد انزعج السلطان بعض الشيء بسبب مثل هذه القوة ، فاستدعى ، بعد شيء من التردد ، مدحت باشا الى القسطنطينية سنة ١٨٧٣ ليصبح صدراً اعظم . وكان عبد العزيز بحاجة إلى المال فظن ان مدحت باشا قد يستطيع ان يجتلب له من البلاد مالاً اكثر . غير ان مدحت باشا حال وصوله العاصمة واجهته ضرورة اختيار أحد طريقين : فاما أن يغمض عينيه عن الفساد والرشوة المستشرية في الحكومة كما فعل اسلافه من قبل ، او يحاول « تنظيف الدار » كما فعل في الولايات وقد اختار الطريق الثاني فانصرف الى فحص مالية الحكومة وبلاط السلطان .

ان عمل مدحت ولد انقساماً في الحكومة ، فبدأ يتبلور حزبان : الصدر الأعظم الجديد ، من جهة ، تسانده معظم العناصر المستنيرة في الامبراطورية ، ومن جهة اخرى وقف حزب من الرجعية يرأسه محمود نديم باشا[٤] الصدر الاعظم السابق الذي حل مدحت محله . غير ان هذا الوضع لم يدم طويلاً ، لان عبد العزيز ، الذي كان يحتاج إلى المال لا إلى التحقيقات ، قرر ان مدحت باشا يسبب على وجه العموم بلبلة كبيرة جداً ، فارسله إلى سلانيك ليعود والياً من جديد .

وفي سنتي ١٨٧٥ — ١٨٧٦ كانت الامبراطورية تواجه اضطرابات خطيرة جداً اذ ان الآمال القومية الصربية والبلغارية ، وقد رافقتها رداءة المحاصيل الزراعية وسوء الحكم التركي ، ادت إلى ثورة علنية ، كما ان الحكومة العثمانية اضطرت الى اعلان افلاسها كنتيجة مباشرة لبذخ السلطان . وقد جلب العامل الاول تهديداً بالتدخل الاوروبي لحماية الصرب والبلغار . أما العامل الثاني فقد أدى في سنة ١٨٨١ الى انشاء المؤسسة الدولية المعروفة باسم ادارة الديون العثمانية العامة[٥] .

أصبح مدحت باشا وغيره يشعرون بوجوب انتزاع حكومة الامبراطورية العثمانية من يد عبد العزيز ، قبل ان يحل بالامبراطورية العثمانية إما الانهيار أو التمزيق بين القوى الأجنبية . لقد كان مدحت دستورياً متيناً في عقيدته لانه الى حد ما ، كما يقول السر هاري لوك[٦] ، كان رجل دولة داهية وواقعياً بحيث

يعم ان هذه الدولة الآخذة بالزوال السريع لن ينقذها مما تتربص لها به روسية بسهفة إلا الإصلاحات الداخلية الجذرية التي تقوم بها بذاتها .

وفي ربيع السنة التاليـــة كان مدحت باشا قد جمع من الاتباع مـا يكفي تمكينه من خلع عبد العزيز . ولقد قام العثمانيون الجدد ، او اتباع تركية فتاة في ذلك الزمن ، بدور ضئيل في مـــا كان في الحقيقة ثورة قصر خططها مدحت باشا وضابط او ضابطان من ذوي الرتب العاليـة في الجيش ، بالرغم من ن ضيا باشا وهو احد اعضاء الجمعية ، كان مساهماً في ذلك الانقلاب .

ثم تسلم العرش على أثر ذلك ، السلطان مراد الخامس ، ابن عبد المجيد وابن أخي عبدالعزيز. غير أنه كان من سوء حظ الامبراطورية العثمانية لمستقبلها ، ان مراد ، شأن كافة أولياء العهود العثمانيين ، كان قد عاش تحت مراقبة تامة إبان عهود أسلافه وشُجِّع على إدمان الخمر ، فأصبح مضطرب العقل . ويبدو ان سلسلة الاحداث التي أدت الى تسلمه العرش قد أرعبته ، فلمـا مات عبد العزيز في بعـــد في ظروف لا تزال محـــاطة بهالة غريبة من الغموض ، فقد مراد رابع قواه العقليـة على مـا يظهر[٧] فعزل بدوره عن العرش ، وظلت لحزب الاصلاح اليد العليا ، حيث كان مصمماً على ان يأتي بسلطان يقر منهـاجه . ان عهــد مراد القصير دام من ايار (مايس) الى آب (اوغسطس) ١٨٧٦ ، ثم أعقبه أخوه عبد الحميد الثاني الذي أصبح اسمه مرادفاً للشر والطغيان .

وقد بدا ان مدحت باشا ومؤيديه وجدوا في الاخير سلطاناً قد يتعاون معهم لإحياء الامبراطورية المتهاوية ، وقد بدت أحداث الاشهر الاولى من حكم السلطان الجديد تتجه لتأييد معتقدهم . وأخذ الوضع في البلقان يسوء تدريجياً الى درجة أصبحت معه روسية على وشك التدخل العسكري ، فاضطر الاتراك الى قبول الهدنة في البلقان ، وصممت الدول الاوروبية على فرض الاصلاحات على الحكومة التركية ، وانعقد في القسطنطينيـــة مؤتمر من السفراء غرضه إعداد منهاج للاصلاحات ، ولكن في ١٦ كانون الثـاني (ديسمبر) ١٨٧٦ قطع عليهم عبد الحميد اعمالهم بوضع دستور للامبراطورية العثمانية ، ثم أخبر السفراء بأدب

أنه قد اتضح ان عملهم لم تعد له ضرورة، ثم دعي البرلمان . وبدت الامبراطورية العثمانية سائرة على النهج الذي سنه لها حزب الاصلاح .

إلا ان مدحت باشا أخطأ في حكمه على السلطان ، ففي ٥ شباط (فبراير) ١٨٧٧ عزل مدحت من منصبه دون ضجة ثم نفي ، لان عبد الحميد لم يكن مستعداً للاحتفاظ بالرجل الذي خلع سلطانين . وفي ٢٤ نيسان (أبريل) أعلنت روسية الحرب على تركية للمرة الرابعة خلال القرن التاسع عشر، بعد ان فقدت الامل في الحصول على الاصلاحات المنشودة بالطرق السلمية ، وقد كانت تتحين دائماً الفرص لتحقيق مطامحها التاريخية في القسطنطينية . وفي السنة التالي أجل أول برلمان في تاريخ الدولة العثمانية ، ولم يعد الى الاجتماع حتى سنة ١٩٠٨ . لقد خضع السلطان الجديد لمستشاريه الاحرار الى ان شعر بالطمأنينة على عرشه لدرجة تكفي للاستغناء عنهم . لقد كانت الحرب الروسية نعمة من الله ، لانها يسرت له عذراً لتأجيل البرلمان .

لم تعمل الحرب إلا القليل لحل المشاكل التي كانت سبب إثارتها ، إذ لم تكن انكلترة ولا النمسة والمجر مستعدتين للسماح للروس بالتمتع بثمار انتصارهم ، ولذلك الغى مؤتمر برلين في صيف سنة ١٨٧٨ معاهدة سان ستيفانو التي فرضتها روسية على السلطان .

وقد أعدت سلسلة من المقررات للتوفيق بين المصالح تهدف الى الاحتفاظ بالوضع الراهن فاضطرت روسية ان تفيد على حساب رومانية، وأعيدت البوسنة والهرسك الى الادارة النمساوية ، وأخذت بريطانية العظمى على عاتقها مسؤولية قبرص ، اما البلغار والصرب فقد ارتضوا بانصاف الحلول لآمالهم القومية .

أما فيما يتعلق بعبد الحميد ، فانه أمن اغراضه ، وتخلص من الوضع السيء على نحو ما كان يؤمل ، فأصبح يشعر أنه قوي لدرجة تمكنه من الاستمرار في طريق الحكم المطلق ، وقد استطاع ان يفعل ذلك حتى سنة ١٩٠٨ .

لقد ترك عبد الحميد في البداية انطباعاً جيداً في بلاده وفي الخارج ، وظل

عدة سنوات لا يلقى من شعوبه أية معارضة لحكمه ، كما ان المراقبين الاجانب أجمعوا تقريباً على الثناء على السلطان الجديد. فقد كتب دزرائيلي الى سالسبوري « ان السلطان الجديد ، تنعقد عليه الآمال حقاً ، أفهل يصبح كسليمان العظيم ؟ » [٨] بل حتى في العقد الاخير من القرن التاسع عشر كان بمقدور كاتبة ان تقول عنه « ان جده النادر ، واقتصاده الفريد ، وأهدافه العتيدة ، وشجاعته المعنوية ، قد أكسبته احترام رعاياه وتقدير الاجانب الذين يزورون عاصمته » [٩] .

غير ان هذه المدائح وقفت فجأة بسبب المذابح الارمنية التي حدثت في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . ذلك ان الارمن ، شأن القوميات الاخرى التي ضمتها الامبراطورية العثمانية ، بدأ ينمو فيهم الشعور القومي ، فهرب عدد منهم وبدأوا يستثيرون الهمم لانشاء دولة قومية ارمنية ، وتكونت جمعيات ثورية في داخل الامبراطورية . وبعد عدد من التحرشات الصغرى نسبياً ، نظم الثورويون الارمن انتفاضة واسعة في سنة ١٨٩٤ ، وكانوا يدركون تماماً ان الاتراك سيقابلون ذلك بتدابير حاسمة ، ولكنهم كانوا مستعدين للتضحية بشعبهم لقاء لفت انظار الدول الاوروبية الى رغباتهم .

لقد اتخذ الاتراك الموقف الطبيعي من حيث انهم كانوا يعالجون ثورة داخلية ، فقمعوها بسرعة ، غير انهم اندفعوا في الامر فقتل ما بين العشرة الى العشرين الف ارمني على يد الجيوش الكردية غير النظامية ، والتي كانت منظمة الى حد ما كالقوزاق الروس .

وفي سنة ١٨٩٦ استولت عصابة من الارهابيين الارمن على البنك العثماني في حي غلطة في القسطنطينية ، وقتلت خلال ذلك عددا من الاشخاص . وكانت هذه العصابة مستعدة لقتل كل من كان في البنك والتحصن فيه كيما تلفت اليها الانظار في الخارج . ورغبة في حقن الدماء اتاحت الحكومة التركية فرصة الهروب لهؤلاء الارهابيين الذين كانت شجاعتهم قد خانتهم ، ولكن في خلال اليومين التاليين ذبحت الغوغاء في القسطنطينية ما بين الخمسة والستة الاف ارمني.

وقد تمت هذه المذابح على اسس دقيقة في الاختيار ، اذ لم تمس اية من الاقليات الاخرى ، واشاحت الحكومة بوجهها عنها .

تلك هي المظاهر الرئيسية فقط للحالة التي استمرت بضع سنوات . ان القسوة التي عومل بها الارمن لا يمكن ان تغتفر ، غير أنه من الصعب ايضا غفران التصميم الهادىء الذي قدم فيه الثورويون الارمن عمداً الافا من ابناء شعبهم في سبيل محاولة غير مجدية لتحقيق اغراضهم ، فكثير ممن مات لم يكن حتى يدرك ما كان يحدث (١٠) .

وعلى اي حال فسرعان ما اصبح صيت عبد الحميد في الخارج يختلف تماما عن صيته عند بداية حكمه . فقد تكهرب الرأي العام في انكلترة وامريكة خاصة ضد الاتراك ، واستخدمت ضد السلطان آذى ما يمكن من النعوت ، وفي سنة ١٨٩٧ كتب ريتشارد ديفي في كتابه « السلطان ورعاياه » (١) :

« قبل حوالي سنة كان السلطان عبد الحميد يبدو كأنه يناضل باخلاص ضد محن قاسية ، وانه يعمل خير ما يمكن لشعبه ، غير ان الاحداث الاخيرة تتطلب تغيير الرأي ، لان الخير الذي عمله غرق في لجة دماء عدد لا يحصى من القتلى من الرجال والنساء والاطفال ، وفي الضوء المكفهر لهذه المناظر المرعبة صار له شكل العنكبوت الكريه وقد وقع في اسار شبكة حريرية لحريمه الخاص ، وحكم عليه بان يتقمص اخبث ما في اسلافه ، الذين تستثير اسماؤهم ذكريات مرعبة من السفك والنهب والسلب » .

والواقع ان الرأي الخارجي تأخر كثيراً في تبديل نظرته ، اما الارواح الحرة التركية فقد ادركت من قبل طبيعة عبد الحميد الحقيقية ، اذ ان السلطان في السنوات التي تلت الحرب مع روسية ، عمل كل ما في طاقته لاغلاق حدود الامبراطورية اغلاقاً تاماً بوجه المؤثرات الاوروبية الغربية . وقد جيء بمدحت باشا الى القسطنطينية وحوكم بتهمة قتل عبد العزيز واثبتت عليه الجريمة فحكم عليه بالاعدام ، ثم اجل تنفيذ الحكم نتيجة تدخل السفراء الاجانب ، ولكنه خنق فيما بعد عندما كان منفيا في الجزيرة العربية . وفي نفس الوقت انتقل عبد

الحميد الى قصره الشهير يلدز المحاط بالاسوار العالية والقائم على مرتفعات تطل على البوسفور واستقر هناك بقية ايام حكمه ، لا يهتم الا بمشكلة الاحتفاظ بالعرش لنفسه ، فكرس كل حكمه لهذه الغاية . فنظام التجسس المزعج الذي جعل كل فرد جاسوسا على جاره ، وسياسة نفي كل من لا يتفق معه ، وافساح المجال لخدمه للاثراء على حساب المصلحة العامة كي يبقوا مخلصين ؛ وبالاختصار كل النظام الحميدي ، لم يكن له الا هدف واحد هو الحفاظ على السلطان لنفسه .

لقد وصف عبد الحميد بانه رجل ذو مهارة رائعة في ضرب القوى المتعارضة الداخلية والخارجية ببعضها البعض . وقد كتب الكثير عن مهارته مثلاً في تجميد خطط الدول الاوروبية ، بالقيام بالمكائد ، كيما تقف كل دولة بوجه الاخرى . غير ان هذه النظرة الى السلطان هي من نسيج الخيال شأن الأساطير التي لا عداد لها والتي انتشرت عن حياته الخاصة . فالواقع ان المصالح المتعارضة للدول الاوروبية كانت قائمة موجودة ، ولم تكن بريطانية بحاجة الى ان يستثيرها عبد الحميد بوجه المطامح الروسية في المضايق . كما ان عبدالحميد نفسه كان مجموعة من المتناقضات لدرجة انه لم يثبت قط على اية سياسة معينة ، فقد كان مثلاً اشد ميلاً إلى اتباع مقترحات منجمه أبو الهدى ، من تنفيذ قراراته الخاصة[١٢] .

ان العالم المجري ارمينيوس فامبيري الذي عرف عبدالحميد كاحسن ما عرفه اوروبي ترك لنا الصورة التالية عن سيد يلدز الغريب :

« لم أصادف قط كالسلطان عبد الحميد رجلاً لصفات خلقه البارزة مثل هذا التناقض والتطرف والاختلال . فالخير والشر ، والسخاء والدناءة ، والجبن والشجاعة ، والدهاء والجهل ، والاعتدال والتطرف ، وعدد كثير جداً من الصفات المتناقضة نجدها في اعماله وأقواله . واذا كانت لأخلاقه صفة سائدة فهي جبنه وتقلبه المستمر والخوف من الخطأ في السير ، الامور التي تركت لطخة ثابتة طبعت كافة اعماله . وهذه الصفة السيئة وهي الاثر القتال لتربية الحريم ، ادت إلى تجميد أحسن نواياه ، وإلى تبليد قابلياته الفكرية التي لولا هذا لكانت

رائعة والتي جعلت حكمه طالعاً سيئاً لبلاده »[١٣] .

ان الروح التي انتجت الحركة الاولى لتركية الفتاة لم تمت ، غير ان عبدالحميد منذ العقد الاول من حكمه لم تقلقه اية حركة منظمة ضده او ضد سياسته[١٤] . وقد بدا في فترة من الزمن ان عبدالحميد سيستخدم السلطة المطلقة التي في يديه لمصلحة البلاد وعلى هذه الأسس سامحه الاحرار لالغـائه الحكومة الدستورية ، فاظهروا بذلك انهم قوميون اكثر منهم أحراراً ، ولكن المعارضة عادت تنمو من جديد ، لما بدأت تتحقق من ان عبد الحميد لم يهتم إلا بنفسه ، وان حكمه كان أقرب الى ان يكون اعادة لاحلك أيام الامبراطورية القديمة ، منه الى ان يكون خطوة تقدمية إلى الأمام . وبظهور هذه الروح الجديدة للمقاومة بذرت بذور الثورة التي قامت بها تركية الفتاة سنة ١٩٠٨ ، لذلك يمكن تتبع الخيط من حوالي سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٩٠٨ بالرغم من الانتكاسات والخيانات وخيبات الامـل .

الفصل الثاني

الدور الأول - ميلاد لجنة الاتحاد والترقي
حركة تركية الفتاة في تركية والخارج
انهيار لجنة الاتحاد والترقي سنة ١٨٩٧

في سنة ١٨٨٩ شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الامبراطورية في استانبول منظمـــة ثورية هدفها الواضح عزل عبد الحميد الثاني ، سلطان الامبراطورية العثمانيـــة والخليفة او الرئيس الروحي للاسلام الذي يعترف به كثير من مسلمي العالم[١] .

لقد كان « المكتب الطبي العسكري » آنذاك في مكان متوسط بـين طوب قابو سراي ، وهو السراي الذي يقيم فيه السلاطـــين العثمانيون ، وبين محطة سركجـــه التي كان قد دخلها في السنة السابقة اول قطار قـادم من باريس ، والواقع ان معظم الافـكار الغربية أخذت تنفذ الى الدولة العثمانية من باريس .

ان تكوين هذه الجماعة الذي يحدد البداية الحقيقية لحركة تركية الفتاة ضد عبد الحميد ، كان يكمن خلفه ويدفعه رجل ألباني اسمه ابراهـيم تيمو أو أدهم كما كان يدعى احيانـــاً . لقد قضى تيمو في هذه المدرسة بضع سنوات طالباً ، فتوفرت له فرصة كافية للتعرف الى عدد من النفوس المتآلفة معه ، وخـاصة في السنة السابقة لاعلان الطلاب الاضراب ضد ادارة المدرسة[٢] .وقد طلب القصر

وفي ايار (مايس) سنة ١٨٨٩ باحث تيمو ثلاثة من زملائه الطلاب الذين كان يعرف آراءهم ، وهم اسحق سكوتي وشركس محمد رشيد وعبدالله جودت ، واقترح عليهم ان يشكلوا جمعية وطنية سرية[٣] . وقد أصبح هؤلاء الطلاب الاربعة نواة منظمة سرعان ما جذبت اليها طلاباً آخرين ، وبعد أمد قصير انضم الى هذه الجمعية الرباعية الاصلية رجال امثال شرف الدين مغمومي وكريتلي شفيق وجودت عثمان وكريم سيباطي ومكلي صبري ، وسلانيكلي ناظم[٤] ، وقد قام هذا ببعض الاعمال المزعجة إبان ثورة سنة ١٩٠٨ . وكان ، كطلعت باشا ، أحد القلائل الذين سدوا الثغرة بين الجماعة الاولى وجمعية الاتحاد والترقي التالية .

كان تنظيم الجمعية على طراز جمعية الكاربوناري الايطالية التي تشكلت في القسم الاول من القرن التاسع عشر ، ففي العطلة الصيفية للسنة السابقة لتشكيل الجمعية توقف تيمو في برنديزي لما كان في طريقه الى بلاده البانية ، وزار خلال إقامته في برنديزي ونابولي محفلاً ماسونياً برفقة احد اصدقائه ، وتعلم شيئاً كافياً عن دور الكاربوناري في التاريخ الايطالي . وقد تأثر بتنظيماتها فيما بعد لما قرر ان ينشىء في تركية جمعية سرية تشبهها[٥] .

ان هذه الجمعية الاولى لتركية الفتاة والتي كانت تدعى « الترقي والاتحاد » لا « الاتحاد والترقي » ، وهذا هو الاسم الذي اشتهرت به فيما بعد[٦] كان اثر الكاربوناري فيها واضحاً من حيث ان المفروض في اعضائها ان يعرفوا بعضهم بعضاً بارقام كسرية ، وتتكون هذه الارقام الكسرية من ترقيم كل خلية جديدة في المنظمة ثم باعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة ، فكان رقم الخلية او الفرع هو المقام ورقم العضو البسط ، ولتوضيح ذلك نقول ان العضو الخامس في الخلية السابعة كان يدخل في قائمة الجمعية برقم « ٥ / ٧ » . وكان

رقم ابراهيم تيمو منشىء الحركة « ١/١ »[٧] .

عقد المتآمرون الشبان اجتماعاتهم الاولى بمنتهى الجدية ، وصاروا يطلقون فيما بعد على كل اجتماع اسماً خاصاً ، فالاجتماع الاول اطلق عليه « اجتماع الاربعة (دورتلر اجتماعي) » والاجتماعات القليلة التي تلتهااطلق عليها « اجتماعات قاعة المطالعة الخشبية » (حطب قراء تنس اجتماعلري)[٨] ، ثم اجتمع الأعضاء بعد الاجتماع الاول بشهر او شهرين في مقهى خارج باب ادرنة القائم في اسوار الاستانة القديمة . وقد كان ثمة اثنا عشر عضواً حضروا هذا « الاجتماع تحت شجرة التين » (انكرالتي اجتماعي) ، وهذا هو اول اجتماع رسمي للجمعية الجديدة .أما الاجتماعات الاولى فكانت مجرد مؤتمرات سريعة وخاطفة بين الدروس . ويروي تيمو[٩] ان هذا الاجتماع حضره ، فيما عداه ، الاشخاص التالون : اسحق سكوتي وشرف الدين مغمومي وعبدالله جودت وشركس محمد رشيد واساف درويش وهرسكلي (من الهرسك) علي رشدي (الذي يصفه تيمو بأنه « موظف كبير ») ومحرم غيريد وهو مدرس في المدرسة الطبية ، وثلاثة آخرون نسي تيمو اسماءهم[١٠] .

لقد بدأ هؤلاء الاثنى عشر شخصاً عملهم بانتخاب الهيئة الادارية، ثم وضعوا منهاجاً لم يرَ اي منهم انه جدير بنقله لنا . وقد انتخب علي رشدي رئيساً ، نظراً لسنه ومقامه ، كما انتخب شرف الدين أميناً للسر واساف درويش أميناً للصندوق . أما تيمو ، وهو المنشىء الحقيقي للحركة ، فلم ينتخب لاحدى الوظائف ، ولكنه احتفظ برقمه في الجمعية (١/١)[١١] .

اما الاعضاء الذين حضروا الاجتماعات التالية لهذا الاجتماع فكان منهم كوسوالي ابراهيم افندي ونجيب دراغا وشطين بك وموظف في البريد يدعى طلعت وهو الذي اصبح بعد ذلك عضواً في « ثلاثي مزعج » حكم تركية بضع سنوات فيما بعد . لقد انتشرت الحركة في المدرسة الطبية الحربية بسرعة ، ثم امتدت الى المدارس العالية الحكومية الاخرى في الاستانة ، كالكلية العسكرية (حربية مكتبي) ومدرسة البيطرة (بيطرية) والكلية الملكية (ملكية)

وهي معهد لتدريب موظفي الحكومة ، وكلية البحرية ومدرسة المدفعية والهندسة (طوبجي ومهندسخانة) [١٢].

ويخطر على البال سؤال وهو لماذا ارتفع علم الثورة على عبد الحميد بين طلاب الحربية ؟ ان تفسير هذا سهل : فأولاً ان تأثير الغرب كان يحسه الشبان بالدرجة الاولى ، لانهم لم ينطبعوا بميسم آبائهم ، وثانياً لم يكن بامكان هذا الجيل الحساس الحصول على تعليم كاف في اي مكان في البلاد غير المدارس الحربية . فجامعة استانبول لم تنشأ الا في سنة ١٩٠٠ وكانت آنذاك الوحيدة في البلاد[١٣] ، ولم يتح لها في عهد عبد الحميد من الحرية الا قدر ضئيل ، الأمر الذي جعل التدريس فيها جامداً ومقصوراً على المواضيع التي تسمح بها الرقابة .

أما المدارس الاخرى الوحيدة التي يمكن ان تسمى مؤسسات للتعليم العالي فهي المدارس الدينية ، واقل ما يقال عنها انها كانت تعطي تعليماً ذا جانب واحد ولذلك احتفظت المدارس العسكرية بمستوى عال نسبياً لتلائم التقاليد العسكرية العثمانية ، واصبحت تحوي التناقض كله مثل عقب اخيلوس بالنسبة للسلطان الذي كان كل همه منصرفاً لحماية نفسه ، ومن المحتمل انه لم يكن واضحاً حتى للسلطان نفسه مما او ممن يريد حماية نفسه ، غير انه سمح للاجانب بالمجيء وتنظيم جيشه ، وبذلك عرض طلابه في المدارس الحربية الى تأثيرات الغرب ، تلك التأثيرات التي ابعدها بقوة عن امبراطوريته في جميع النواحي الممكن اقصاؤها عنها[١٤] .

لم تتوفر لابناء الاسر المتوسطة من الامبراطورية العثمانية مجالات كثيرة للمستقبل ، فلم يكن امامهم بشكل عام الا اختيار أحد وظائف الدولة ، لذلك كانوا ينخرطون في سلك الجيش او يدخلون في الوظائف المدنية في الحكومة . وقد نجم عن هذا ان الطبقة المثقفة من الشبان في الامبراطورية كانت توجد في المدارس الآنفة الذكر ، وان الاربعة الاول كانوا خير ممثلين لهذه الجماعة . فعبد الله جودت مثلا تخرج في الطبية في سنة ١٨٩٤ . ثم بادر الى نشر كتب طبية أكسبته بعض الشهرة في ذلك الميدان[١٥] ، كما اصبح معروفاً كمترجم ،

إذ دأب على ترجمة كتب الى التركية من الآداب الفرنسية والايطالية والانكليزية والالمانية والفارسية، ومن اعظم اسهاماته هي ترجمته لعدة روايات من شكسبير الى اللغة التركية [١٦] .

لقد تأدب كافة الثوريين الشبان بأدب الشعراء القوميين المعترف بهم أمثال نامق كمال وشناسي وضياء باشا ، وكان اسحق سكوتي جيد الاطلاع بصورة خاصة على ما كتبه نامق كمال فنشر افكاره بحماس بالغ . غير ان المرء يستنتج ان هذه الافكار كانت منتشرة آنذاك. فان احد الاتراك الذين انضموا الى الجمعية في سنة ١٨٩٥ لاحظ انه حتى عندما كان في المدرسة الثانوية كان الطلاب قد اعتادوا على الاجتماع في حديقة المدرسة لبحث الكتاب الممنوعين والمواضيع الخطرة الأخرى كخلع مراد [١٧] .

وبعد فترة من الزمن قصيرة نسبياً — ربما في سنة ١٨٩٢ رغم اننا لا نستطيع ان نعين التاريخ بالضبط — اتصل امر الجمعية بعبد الحميد [١٨] ، ويروي الدكتور مختار اوزدن ، وروايته عن هذه الفترة مفصلة ، ان ثلاثة طلاب ضعاف النفس قدموا للقصر تقريراً يبينون فيه ان « افكار الحرية » كانت تدور بطلاقة في المدرسة الطبية الحربية [١٩] . وعلى اي حال اتخذ السلطان تدابير حازمة ، فعزل علي صائب باشا آمر المدرسة من منصبه ، وعهد بالامر الى زكي باشا ، مدير المدارس الحربية ، وطلب اليه ان يقضي على المؤامرة . وقد جرى التحقيق مع عدد من الطلبة غير انه لم يوقف منهم في النهاية الا عدداً ضئيلاً ، من ضمنهم عبد الله جودت، وكرتلي شفيق وشرف الدين مغمومي. ثم تلا ذلك القاء القبض على حوالي اربعة عشر آخرين، على اثر احتجاجهم على حبس زملائهم الطلبة [٢٠]. والظاهر ان هذه الصفحة الاولى من المؤامرة لم ينظر اليها بعين الجد ، لاننا نعلم ان عبد الله جودت سمح له باكمال دراسته وانه عاود عمله ضد السلطان .

وفي الوقت ذاته استمرت الجمعية في النمو ، ثم دخلت صفحة جديدة من وجودها لما اخذت تفتش عن مؤيدين من خارج المدارس . لقد قررت الجمعية في الدور الاول من نشاطها قصر العضوية على طلبة مدارس الحكومة في

القسطنطينية ، رغم انها اعترفت بأنه قد تنتشر بعض الافكار بين الشبان من اقرباء الاعضاء ، أما الان فقد بدا ان الوقت قد حان لتوسيعها بين سكان العاصمة. وقد يبدو انها ستجد ميادين خصبة خاصة في المدارس الدينية التي كانت موجودة قرب معظم المساجد الكبرى حيث كان (السوفتا) او طلبة الدين ، كثيرين [٢١] ، غير ان السوفتا رغم انهم كثيراً ما كانوا مصدر قلق للحكومة ، الا انهم لم يكونوا مادة طيبة لحركة تركية الفتاة . والواقع ان السوفتا كانوا العمود الفقري للثورة الرجعية الفاشلة سنة ١٩٠٩ .

ومن المستحيل ايضاً ان نعطي التاريخ المضبوط لبداية برنامج التوسع . ولا نستطيع الا القول بأنه في السنتين او الثلاث سنوات التي سبقت سنة ١٨٩٦ انضم الى الجمعية عدد من الشخصيات البارزة ، وان قيادتها بدأت تنتقل الى ايديهم . ومن ابرز هذه الشخصيات حاجي احمد افندي [٢٢]، وهو موظف مدني في دائرة حسابات الحربية ، وكذلك شيخ من الدراويش اسمه نائلي افندي [٢٣]. وكان كلاهما من ذوي النفوذ والتدخل في كثير من اوساط القسطنطينية ، وسرعان ما كسبت الجمعية ، بفضل توجيهاتها ، كثيراً من الاتباع بين العناصر الاكثر ثقافة في المدينة. ومن المحتمل ان عدداً من مؤيديها جاؤوا من بقايا الجماعة الاولى لتركية الفتاة « يني عثمانليلر » (العثمانيون الجدد) التي تعود الى ايام عبد العزيز ، لانه يقال عن الشيخ نائلي انه كان احد مؤسسي تلك الجماعة [٢٤] .

وقد انتقلت قيادة الجمعية من المدرسة الطبية العسكرية الى يد مكلي صبري الذي عمل بصورة خاصة مع حاجي احمد لنشر افكار المنظمة. وقد استمر العمل في المدارس ايضاً ، الا ان عدداً من الطلبة القدامى الذين صاروا موضع شبهة ، وجدوا من الخير لهم الآن ان يغادروا البلاد . وفي سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٥ ، اخذ هؤلاء الاعضاء يهربون باستمرار الى اوروبة حيث تركز معظمهم في باريس . وقد ذهب القادرون على السفر لغرضين ، احدهما الهروب من انتقام السلطان، والثاني لاكمال دراستهم. ومن هذه الزمرة سلانيكلي ناظم الذي استطاع ان يكمل تحصيله في الطب في فرنسة ، في الوقت الذي كان مستمراً في كفاحه

ضد عبد الحميد .

وفي باريس وجد المتآمرون الشبان ان جماعة صغيرة من الاحرار الاتراك قد جتمعت بالفعل ، ومنها خليل غانم ، وهو مسيحي من بيروت كان نائباً عن سورية في البرلمان التركي سنة ١٨٧٨ ، ثم هرب الى اوروبة بعد ان عطل عبد الحميد ذلك البرلمان ، حيث انشأ في باريس صحيفة بالفرنسية سماها « تركية الفتاة » (La Jeune Turquie) ، وكان قبل ذلك قد انشأ في جنيف صحيفة اخرى اسمها « الهلال » ولما لم تكف واردات هذه المشاريع للسير بها ، فانه كتب لعدد من المنشورات وخاصة جريدة المناظرات (Journal des Dèbats)، الى ان انحازت تلك الجريدة الى «جانب حكومة السلطان والى هيئة مالية» [٢٥].

وفي سنة ١٨٨٩ انضم الى جماعة باريس احمد رضا الذي قدر له فيما بعد ان يصبح اشهر رجال تركية الفتاة في اوروبة . لقد كانت امه نمساوية [٢٦] ، اما ابوه فكان يعرف باسم « انكليزي علي بك » نظراً لميوله للانكليز وحبه لهم . لقد تثقف احمد رضا ثقافة حرة حصل على بعضها في فرنسة وكان يتقن الفرنسية تكلماً وكتابة . اما من حيث المظهر فكان ابعد ما يكون عن تصور الاوروبيين للاتراك ، فقد كان طويلا نحيفاً ، ذا لحية متقنة التصفيف ، وله ملامح قاسية تشير بعض الشيء الى صرامة خلقه . ولم يرتب احد قط في صدق هدفه ومثاليته وامانته التي لا تقبل الهوادة ، كل هذا جعله غير محبوب من زملائه اعضاء تركية الفتاة ، حيث انه كان متصلباً لا يلين في معتقداته ، وكان مثل ذلك من الامور التي تؤثر في كيانه الشخصي [٢٧] .

كل هذه المعتقدات كانت قد ادت باحمد رضا في نهاية الامر لان يتخلى عن وظيفته كمدير للتعليم العام في ولاية هداقندكار (بروسه) ويقود حملة ضد حكومة عبد الحميد من نقطة ملائمة خارج الامبراطورية . وبعد ان وصل سلانيكلي ناظم الى باريس بفترة وجيزة ، اتصل باحمد رضا واقترح عليه ان يكون مديراً للصحيفة التي اصبحت فيما بعد اللسان الرسمي للجمعية . وبذلك اصبح احمد رضا متصلا بالمنظمة وبدأ فيما بعد ، اي في اواخر سنة ١٨٩٥ ، بالتعاون مع خليل

غانم وعدد من المنفيين الآخرين، باصدار صحيفة «مشورت»[٢٨] التي كانت تصدر مرتين في الشهر ، وكانت تطبع باللغة التركية فقط ، لانها كانت تستهدف القراء في داخل الامبراطورية . غير ان احمد رضا اخذ على نفسه اضافة ملحق بالفرنسية [٢٩] . وكانت فلسفة اوغست كومت قد جذبت اليها احمد رضا ، فاصبح شخصية مألوفة في دوائر الفلسفة الوضعية ، في باريس ، كما صار يسهم احياناً في مجلة الغرب (Revue Occidentale) وهي التي كان ينشرها الوضعيون الفرنسيون . ومن الطريف ان نلاحظ المقال الذي قدمت فيه تلك المجلة خبر تأسيس « مشورت » الى قرائها :

« نلفت انظار قرائنا الى ظهور المجلة الجديدة (مشورت) ، وهي لسان حال تركية الفتاة ، وقد طبعت باللغة العربية (كذا) ، مع ملحق فرنسي ، بادارة السيد احمد رضا .

« ان (مشورت) مؤرخة بتواريخ الوضعيين وتصدر مرتين في الشهر حاملة شعارنا «النظام والترقي» »[٣٠] .

وبهذا يمكن ان نلاحظ ان « مشورت » كانت الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي كما ان احمد رضا كان يعتبرها منذ البداية ملكاً شخصياً له الى حد كبير ، اذ لم يكن اي من رفقائه ، ما عدا خليل غانم ، من اتباع كومت . وقد رفض رضا ان يتنازل عن اي شيء من آرائه الشخصية في سبيل تآلف عام في الحزب، وكان هذا احد الاسباب الرئيسية للخلاف الذي سرعان ما بدأ يظهر في الجمعية ، غير ان هذه الصفة نفسها دفعته باعتزاز الى الثبات ابان فترة استسلم فيه كل من كان حوله الى ملاطفات السلطان [٣١] .

وبتاريخ « ٢٧ فريدريك ١٠٧ »(٣ كانون الاول– ديسمبر – ١٨٩٥) [٣٢] نشرت « مشورت » اهداف الجمعية وقدمتها الى قرائها . ولما كان هذا البيان هو اول عرض كامل لآراء المنظمة ، لذلك يجدر بنا ان ننشره هنا كاملا . لقد كان عنوان المقال « منهاجنا » ونصه كما يلي :

« ان لجنة الاتحاد والترقي العثمانية انشأت في باريس صحيفة « مشورت »،

رغبة منها في اظهار وجودها، نظراً لان الطباعة مقيدة في تركية كما هو معروف.

« والملحق الفرنسي سيجعل القراء الاجانب على اتصال دائم بميول حزب تركية الفتاة ورغباته .

« والمنهاج التالي يفسر بوضوح كبير الاتجاه الذي رسمناه لانفسنا ، والهدف الذي نبغي الوصول اليه .

« لقد تأكدنا بانفسنا من تعاون شخصيات معينة رغبتها القومية هي ان ترى عودة وتجدد الروابط السابقة من الانسجام والصداقة الطيبة مع العثمانيين .

« اننا نرغب في العمل لا لخلع الاسرة الحاكمة التي نعتبرها ضرورية لحفظ النظام السليم ، ولكن لنشر فكرة التقدم التي نريد لها نصراً سليماً . ولما كان شعارنا هو « النظام والترقي » فاننا نراع من الامتيازات التي تحصل بالعنف.

« اننا نطالب بالاصلاحات ، ولا نقصرها على هذه الولاية او تلك ، بل نطلبها للامبراطورية كافة ، لا لمصلحة قومية واحدة ، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهوداً او نصارى او مسلمين .

« اننا نريد ان نتقدم في مضمار المدنية ، ولكننا نعلن بعزم اننا لا نريد ان نتقدم الا بالطريق الذي فيه تدعيم العنصر العثماني واحترام ظروف وجوده الخاصة .

« اننا مصممون على رعاية اصالة حضارتنا الشرقية ، ولهذا السبب لا نأخذ من الغرب الا النتائج العامة لتطوره العلمي ، والا الاشياء التي يمكن هضمها حقاً وهي ضرورية لتوجيه الشعب في سيره نحو الحرية .

« ان في اوروبة رجالاً لهم قلوب ، وهم منزهون عن التعصب ولا يريدون الا الخير العام للغرب والشرق ، واننا نأمل من هؤلاء المساندة المعنوية .

« اننا نعارض احلال التدخل المباشر للدول الغربية محل السلطة العثمانية ، وهذا ليس ناجماً عن التعصب لان المسألة الدينية عندنا امر خاص — ولكنه منبعث من العاطفة المشروعة للكرامة المدنية والقومية » [٣٣] .

ومن الواضح ان هذا المنهاج هو عمل احمد رضا اكثر منه عمل الجمعية عموماً .

لقد كان متفقاً مع رفقائه على نقطة اساسية ، هي ضرورة « عثمنة » سكان الامبراطورية ، وقد ظلت هذه النقطة الاساس الذي لايتزعزع في منهاج أعضاء تركية الفتاة المتأخرين ، رغم الآراء المعارضة من بعض العناصر [٣٤] . والواقع ان رضا كان يتحدث عن نفسه فقط لما قال « ان شعارنا هو (النظام والترقي) واننا نواع من الامتيازات التي يحصل عليها بالعنف » ففي اللحظة التي كان يكتب فيها ، كانت الجمعية تدبر انقلاباً في القسطنطينية . وقد أصبح من الضروري الآن ان نوجه اهتمامنا ثانية الى تطور الجمعية في داخل الامبراطورية .

ففي القسطنطينية كانت الحركة تنتشر بسرعة ، الأمر الذي كان ، بين حين وآخر ، يثير ارتياب الحكومة بحيث يحملها على القيام ببعض الاعتقالات ، غير ان جماعة المتآمرين ظلت امداً من الزمن لا تمس . واخيراً في سنة ١٨٩٥ اوقف عدد من الاعضاء الاصليين للجمعية بما فيهم عبد الله جودت واسحق سكوتي وشرف الدين مغمومي وكريم سيباطي ، ثم نفوا . فاما سكوتي وتشروكسولو احمد بك ، وهو مدرس في المدرسة الحربية ، فقد نفيا الى رودس ، غير انهما استطاعا ان يهربا ويذهبا الى باريس [٣٥] . واما عبد الله جودت فقد ارسل الى طرابلس الغرب ، غير انه استطاع ان يعبر الحدود الى تونس ، ثم انتهى به المطاف الى فرنسة في صيف سنة ١٨٩٧ [٣٦] . اما ابراهيم تيمو فقد خرج من البلاد قبل ان يقبض عليه ، وذهب الى رومانية حيث نظم فرعاً للجمعية ونشر صحيفة لتركية الفتاة [٣٧] .

ويبدو ان هذه الاعتقالات عجلت فيها ثلاثة عوامل عامة . اولها ان (مشورت) بدأت تظهر في تركية عن طريق دوائر البريد الاجنبية التي كانت تتمتع بامتيازات خاصة داخل الدولة . وكان اعضاء تركية الفتاة يستخدمونها بكثرة آنذاك وفيما بعد [٣٨] وقد لفت انتشار هذه الصحيفة في داخل الامبراطورية نظر السلطان لوجود نوع من جمعية ثوروية . وثانياً ان اعضاء المنظمة ازدادوا لدرجة « اصبحت معها كل استانبول عارفة بوجود جمعية » [٣٩] ، رغم عجز اي كان عن تعيين هويات اعضائها او محل اجتماعاتهم ، حتى ان النساء

ـ يتنقلن روايات مبالغ فيها لا حصر لها عن خطط الجماعة ، مما ادى الى ان ـ نقصر باعارة هذه الشائعات بعض الاهمية .

ـ خيرا فان رجلاً يدعى مراد بك ، وهو معلم تاريخ في الملكية ، او الكلية ـية ، وكان قد ضمه الشيخ نائلي الى الجمعية [٤٠] ، اختار هذا الوقت بالذات ـ ضع قائمة بالاصلاحات التي اعتبرها ضرورية للامبراطورية ، ثم قدمها الى ـ ـر من تلقاء ذاته . وقد ارتأى ، كاحمد رضا ، انه من الانسب له ان ينتقل ـ مكان ناء امين فاختار مصر [٤١] حيث انشأ ، بأمر من الجمعية ، صحيفة ضد ـ حميد اطلق عليها اسم « ميزان » وقد اقتبس هذا الاسم من جريدة كان ـ نفسه يحررها في القسطنطينية . وهكذا ظهر قائد فكري آخر لدى تركية ـ ، فاهتاجت الحكومة لهذا التهجم على كرامتها والقت القبض على جميع ـدقاء مراد المعروفين .

ـ يكن مراد بك تركياً في الاصل ، لأنه من مواليد داغستان في القوقاس ، ومن المحتمل انه تعلم في سان بطرسبورج [٤٢] ، ولما كان في سن الشباب عرج على ـسطنطينية ، لانه كان يشعر ان مجالاته فيها اوسع باعتباره مسلماً ، ولعله وجد ـ حكومة روسية القيصرية في القوقاس لا تطاق ، او لعله اضطر الى الهرب من موطنه الذي ولد فيه . وقد استخدمه مجلس الديون العامة بعض الوقت ثم عين في المدرسة الملكية . وكان جم النشاط في ميدان الأدب ، ومن مؤلفاته ـ ريخ عام في ستة مجلدات ، اتبعه بمجلد عن التاريخ العثماني . وقد اكسبته هذه ـؤلفات بعض الشهرة ، فحاول ان يجرب سبيلا آخر حيث الف رواية تشبه ـ تكون سيرة حياته وعنوانها (ترفاندامي يوكسا ترفامي) ومعناها تقريباً « الفاكهة الاولى ام الفاكهة المحرمة » [٤٣] ، وبالاضافة الى ذلك وجد متسعاً من الوقت لتحرير صحيفة « ميزان » . وقد سبب له هذا النشاط نزاعاً مع السلطان حيناً بعد حين .

لقد استطاع مراد ان يظفر بكثير من الاتباع في المنظمة ، وذلك بفضل كتاباته وخاصة « ترفاندامي يوكسا ترفامي » الذي كانت نغمته وطنية الى حد

ما ، وبفضل عمله بالجمعية ايضاً ومن جهة ثانية فان منهاج الاصلاحات التي طلبها مراد من السلطان لم يكن لها اثر كبير في اذاعة صيته، لان مقترحاته كانت تبدو ضحلة بحيث لا تستحق اية اهمية (٤٤) . ومع هذا فقد غادر البلاد مصحوباً ببركة الجمعية وصلوات اعضائها ودعائهم له بان يكون له يد كبرى في العمل على نسف عبد الحميد .

وفي الوقت نفسه فقد زادت الاعتقالات التي قامت بها الحكومة اصرار الثورويين وتصميمهم . ويبدو ان القصر خفف بعض شدته بعد تلك الاعتقالات الاخيرة فتبع هذا ان ازدادت الجمعية ثقة بنفسها . وكما لاحظ فضلي تونغ (٤٥) « فنحن ، على سبيل المثال، واثقون، من ان جميع كبار موظفي البلاد المعروفين بحسن السمعة والشرف ، كانوا في الجمعية » . بل حتى قيل ان مراد كان قد أثار اهتمام الفريق المشهور احمد مختار باشا الذي شغل منصب المندوب السامي للسلطان في مصر من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٩٠٦ ، بالجمعية ، وكان كل عدد من صحيفة ميزان يصل البلاد (تركية) يردد صدى الاخبار المنتظرة بان « فاتح الثغرات » الشهير كان يتقدم من سورية الى القسطنطينية على رأس الجيش الخامس (٤٦) .

كان للجمعية نشرتان تدخلان تركية من الخارج عن طريق دوائر البريد الاجنبية ،وكانت صحيفة ميزان تتمتع بشعبية اوسع بكثير مما لزميلتها. واحمد رضا و « مشورت » كان لها سمعة سيئة ، نظراً لان موقف رضا الصلب كان يؤدي الى فقدان الاصدقاء اكثر مما يؤدي الى زيادتهم ، كما ان اصراره على استعمال « النظام والترقي » بدل « الاتحاد والترقي » الى جانب تظاهراته « الوضعية » والفعاليات الاخرى ، كل هذه كادت تؤدي الى الخطر الحقيقي وهو الصاق تهمة الالحاد بالجمعية . ومثل هذه الاتهامات يمكن ان تكون سلاحاً مرعباً بيد عبد الحميد ، الخليفة السلطان. والحق ان احمد رضا بدأ في النهاية يدرك خطورة هذا الامر ، فحذف شعار الوضعيين بعد العدد الثاني والثلاثين من مشورت (٤٧) . غير انه بالرغم من ان كثيراً مما كانت تنشره «مشورت» كان يرسل من القسطنطينية، فان احمد رضا استمر يتجاهل تعليمات الجمعية او كان يخضعها لافكاره الخاصة كلما اراد.

ان هاتين الخاصتين لاحمد رضا اي ميوله « الوضعية » واساليبه المتطرفة ، جعلت اعضاء تركية الفتاة في منفاهم في صخب دائم ، فعارف بك اوغلو ، وهو احد اعضاء تركية الفتاة في جنيف ، كتب الى ابراهيم تيمو في ٢٧ حزيران (يونيه) ١٨٩٦ يعبر عن اهتمامه بأمر استخدام التقويم الوضعي في القسم الأعلى من « مشورت » . وقد جاء في رسالته « انني اخشى انه اذا نشرت استانبول هذا بين الرأي العام الذي لا يزال جاهلا، فقد يزول العطف الضئيل الذي نحظى به الآن ، ولن يتسنى لنا بعدها انجاز اي شيء » . وفضلا عن ذلك فقد لاحظ « اذا كنا نلتذ بالخضوع الى ارادة شخص واحد ، فالاجدر بنا ان نخضع لارادة اسرة ترجع الى ستمائة سنة في القدم ، وما دمنا قد رفضنا حكمهم ، فلماذا اذاً نخضع لارادة احمد رضا » [٤٨] .

وبينما كان الاتراك في المنفى يتشاحنون بهذا الشكل ، كانت المؤامرة لخلع عبد الحميد تزداد قوة في القسطنطينية دون ان يدري بها فرعا باريس وجنيف على الارجح .

ويبدو ان حاجي احمد افندي اصبح رئيساً للجنة المركزية في الجمعية في القسطنطينية سنة ١٨٩٦ ، وكانت تتبع توجيهاته عدة جماعات اخرى ، ومن ضمنها جماعة يرئسها الشيخ نائلي وتتألف بصورة رئيسية من العلماء والقضاة ، وجماعة أخرى في وزارة الحربية برئاسة المقدم شفيق بك . ولعله من لمعقول ن تكون مختلف لجان الطلبة قد تقبلت في هذا الوقت قيادة حاجي احمد [٤٩].

ان الانقلاب الذي اعدته الجمعية كان مقرراً تنفيذه في آب (اغسطس) ١٨٩٦ ، ولا نستطيع ان نقطع برأي في سبب اختيار هذا التاريخ ، رغم ان هناك سبباً واحداً واضحاً الى حد ما. فقد ظلت الجمعية عدة سنوات ولها هدف بارز وهو خلع السلطان الحاكم ، والمفروض انها قد وضعت خطة للضرب حالما تستطيع العمل ، غير ان الاعتقالات التي كانت تحدث بين حين وآخر عرقلت اعمال الجمعية ، ولكن صار لها الآن في القسطنطينية من الاعضاء ما يكفي لتحقيق هدفها ، ولا شك ان بعض الدوافع جاءت من القضية الارمنية التي

بلغت اوجها في ذلك الشهر اي في آب (اغسطس) ١٨٩٦ .

غير انه ينبغي الا نستنتج من ذلك ان اعضاء تركية الفتاة سنة ١٨٩٦ كانوا يعطفون على آمال الجمعيات الثوروية الارمنية اكثر من عطف اعضائها في سنة ١٩٠٨ ، إذ انه من البديهي ان القوميين لا يعطفون على الرغبات المماثلة للقوميات الاخرى . وامر آخر هو ان لجنة الاتحاد والترقي كانت تميل الى تأييد جانب السلطان ضد اية محاولة لتفكيك الرابطة العثمانية . ومن الطبيعي ان هناك من راعته تطرفات عبد الحميد ، غير ان القضية الارمنية كانت تعني بالنسبة الى معظمهم ان بلادهم اخذت تلفت انتباهاً كبيراً بغيضاً من قبل الدول الاوروبية، وان هذا قد يهدد بخطر التدخل في شؤون الامبراطورية العثمانية [٥٠]. ومما يؤيد مثل هذا الاحتمال بوضوح هو اللجنة الدولية التي اجتمعت في ربيع وصيف سنة ١٨٩٦ لدراسة القضية الارمنية واقتراح الاصلاحات . ثم ان الخوف من ان عبد الحميد قد يفقد كريت لا بد انه كان باعثاً ايضاً بنفس الاتجاه .

ان المتآمرين ، توسيعاً لخططهم ، ادخلوا في حسابهم مساعدة كاظم باشا قائد الفرقة الاولى في القسطنطينية . فقد استطاع حاجي احمد ان يكسب كاظم باشا، فاودع اليه امر تنفيذ الانقلاب ، والظاهر ان الخطة كانت تهدف احتلال الباب العالي عند اجتماع مجلس الوزراء ، ثم في نفس الوقت يقبض على ولي العهد رشاد افندي . ثم تستحصل فتوى من شيخ الاسلام [٥١] بخلع عبد الحميد وينصب مكانه مراد الخامس الذي خلع من قبل واذا اثبت مراد عجزه عن تحمل المسؤولية ، فيعين مكانه اخو عبد الحميد ، رشاد، الذي يتلوه في خط التعاقب الوراثي [٥٢] .

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان المؤامرة قد اصبح لها في هذا الوقت مثل هذا الانتشار الواسع ، وانه قد انضم اليها مثل هذا العدد الكبير من ذوي المقام العالي، فلا بد انها كانت ستحقق اهدافها لولا ان الانقلاب المرسوم اكتشف قبيل امكان تنفيذه ، وما دام اي تبدل في حكومة الامبراطورية العثمانية في سنة ١٨٩٦ كان لا بد ان يؤدي الى ما هو افضل ، فان المؤرخ سيأسف لان المؤامرة افتضحت في مساء اليوم الذي كان ينتظر تنفيذها فيه .

والواقع ان المؤامرة افتضحت بمحض الصدفة نتيجة حادثة تذكرنا بالروايات الهزلية رغم ان نتائجها على المشتركين فيها كانت بعيدة جداً عن الهزل . ذلك ان نادر بك وهو ناظر مدرسة تدعى نمونه ترقي (اي مثال الرقي) وكان عضواً في الجمعية ذهب الى مطعم طوقاتليان في استانبول ليقوم باحتفال سابق لاوانه بالحوادث التي كان مرتباً لها ان تحدث في اليوم التالي . وقد صادف هناك شخصاً اسمه مظهر بك ، وهو مدرس في مدرسة نادر بك واباه -(ابا مظهر) زلفلو [٥٣] اسماعيل باشا ، الذي كان مفتشاً عاماً للمدارس العسكرية . ويبدو ان نادر بك تجاوز حدود قابلياته في احتساء الخمر ، فكان اول ما قاله للباشا « باشم بلسن يارن نيلر اولجاق » وترجمتها « آه لو علم الباشا ما سيحدث غداً » . وقد أثارت هذه الجملة حب الاستطلاع في اسماعيل باشا واستطاع ان يقنع نادر بك بسرد القصة كاملة ، بعد ان أظهر عطفه عليها وتأييده لها (وربما باحتفاظه بكاس صاحبه ملآنة) . وبعد ان حصل اسماعيل باشا على المعلومات حملها حالا الى القصر ولم تنقض الليلة الا وكان كل المشتركين بالمؤامرة قد القي القبض عليهم [٥٤] .

وادى هذا الى نفي المتآمرين الى اجزاء نائية من الامبراطورية ، وقد شملت قائمة المنفيين الزعماء جميعهم : كاظم باشا وحاجي احمد وشيخ نائلي مع اخويه حقي بك وعيني بك وثمانية عشر آخرين من افراد اسرته والشيخ عبد القادر [٥٥] وعشرين من افراد اسرته ، ومكلي صبري وزهدي بك رئيس ديوان المحاسبة وكال بك المدعي العام لمجلس الدولة ، وعدد آخر كبير [٥٦] وضعوا جميعاً على ظهر سفينة ووزعوا على المناطق التي عينت لمنفاهم . اما الذين كانوا يعتبرون اخطر العناصر فقد ارسلوا الى ليبية . وهكذا اقام الشيخ نائلي واقاربه في اماكن كحمص وبنغازي ، بينما اجبر حاجي احمد على الاقامة في فزان ، اما مكلي صبري فقد ارسل الى الموصل ، غير انه استطاع بعد بضع سنوات الهرب ثم استقر في باريس [٥٧] . اما المقدم شفيق بك فقد ذهب الى عكا ولكنه استطاع الهرب بسرعة وذهب الى باريس حيث اصبح احد الزعماء في الحزب .

واما كاظم باشا فقد طرد مهانا وعين حاكما على شقودره في البانية ، وهو

عقاب خفيف على ضابط انكشفت محاولته لخلع سلطانه[٥٨] . اما المتآمرون الصغار فقد تشتتوا في الولايات الشرقية من الامبراطورية وعلى ساحل الاناضول.

من الصعب ان نفهم المنطق في سياسة عبد الحميد في انزال عقوبة النفي ، فقد ادين المشتركون في مؤامرة ١٨٩٦ كلهم بالخيانة قانونياً ، ولا بد انه لا يصعب على رجل شديد كعبد الحميد ان ينفذ فيهم حكم الاعدام، ولعله كان قد ادرك بالطبع ان المذابح الارمنية اثارت الكثير من الانتباه ، غير انه ظل يتابع هذه السياسة طوال مدة حكمه . وقد استطاع بعض هؤلاء المبعدين الهرب كما رأينا ، كما ان آخرين مما لا يحصر عددهم طالت بهم الحياة فظلوا ينشرون افكارهم في البلاد . وهكذا فبينما كان السلطان يجتث اخطر نقطة موبوءة من املاكه نجد انه في الوقت نفسه كان ينشر الداء في مناطق اوسع بكثير. لقد توفي بعض المبعدين في المناطق النائية ، وقتل عدد قليل منهم – عمداً وهم في المنفى ، كما قتل مدحت باشا في منفاه من قبل . غير ان سياسة السلطان – او فقدان السياسة عنده – ينبغي ان تعتبر الى حد كبير احد العوامل التي ساعدت على التعجيل بسقوطه[٥٩].

أما نادر بك فسواء كان مغفلاً او سافلاً فلم يعامل على نحو ما عومل الآخرون ، بل أجازه السلطان وقلده أوسمة ، على ما يروي فيش ، وعاش منكس الرأس بالخزي والعار ، لا يستطيع رفض التقديرات التي لم يرغب فيها[٦٠] .

ان الجمعية في القسطنطينية أصابتها بالطبع رجة شديدة من جراء اعتقال زعمائها ونفيهم ، غير أنه لم يفكر احد في ترك العمل ، وقد مرت فترة لم يكن بالإمكان القيام بنشاط جدي ، نظراً لان القصر أصبح مهتاجاً وازدادت يقظة جواسيس السلطان بحيث بدا من الحماقة القيام بأي عمل ما لم يهدأ الهياج .

ومع هذا ظلت الجمعية حية ، فكانت منشورات تركية الفتاة ، وخاصة (ميزان) تجد طريقها الى البلاد، وعادت الى اعضاء تركية الفتاة في داخل الامبراطورية الثقة بسبب من اقوال مراد بك،الذي اصبح عندهم الزعيم الحقيقي

للحركة . لقد قضى حاجي احمد وزملاؤه ، ولكنهم قضوا كرجال شجعان ، فوقع العبء الآن على اكتاف مراد . وهكذا فمع انه لم يعد الاصدقاء يتجرأون على الوقوف في طرقات القسطنطينية وقضاء يومهم فيها خشية من ملاحقات جواسيس السلطان ، فان اعضاء الجمعية بالرغم من ذلك استمدوا شجاعة من استمرار العمل خارج الامبراطورية ، فكانت الايدي تتناقل صحيفة «ميزان» ، وبدأت المناشير الثوروية تظهر في الطرقات العامة وعلى ابواب المساجد (٦١) .

وفي خريف سنة ١٨٩٦ كان معظم من قبض عليهم من زعماء تركية الفتاة في اوروبة حيث تركزوا بصورة خاصة في باريس وجنيف ، ومن هذه النقاط المنيعة اطلقوا سيلاً مستمراً من القدح والطعن جعل عبد الحميد يتميز غيظاً . لقد كان متأثراً جداً من « مشورت » التي استمر يحاربها بعنف منذ بداية تأسيسها حتى ذلك الوقت ، وبعد ان بدأ رضا حملاته بأمد قصير ، اقنع السلطان الحكومة الفرنسية التي كان يرئسها آنذاك ليون بورجوا ، بان تغلق « مشورت » وتطرد مديرها من فرنسة . على ان ذلك لم يفت من عضد رضا الذي بدأ العمل في سويسرة ، بينما قامت الصحافة الفرنسية بالاجماع تدافع عن الحرية ، بما في ذلك حق اعضاء تركية الفتاة في قول ما يريدون . وكان كليمانصو وآخرون في طليعة الذين يطالبون بقوة باعادة النظر في القرار ، وقد رضخت الحكومة امام كل هذا الضغط ، ورفعت حظرها عن كل شيء ما عدا ان توزع في فرنسة صحيفة « مشورت » المطبوعة في باريس باللغة التركية (٦٢) .

وظل السلطان هائجاً ، فلاحق الجريدة في سويسرة ، ولما خابت وسائله المختلفة في انتزاع هذه الشوكة القائمة في جانبه ، اضطر الى شراء المطبعة التي كانت تطبع « مشورت » . وقد قابل احمد رضا هذا العمل باصدار الصحيفة مطبوعة على الحجر ، ثم نقلها الى بلجيكة ، وفي الوقت نفسه اخذ ينشر ملحقاً مكوناً من ثماني صفحات (١٥ نيسان — ابريل — ١٨٩٦) ليس فيه سوى مقالات من الصحف الفرنسية تساند اعضاء تركية الفتاة في حربهم للسلطان ، الامر الذي ملأ قلوب الاعضاء في الامبراطورية حبوراً . وفي تموز (يولية) سنة ١٨٩٧

عاود السلطان الهجوم على احمد رضا وزملائه ، وذلك بدفع السفارة التركية في باريس الى إقامة الدعوى على محرري « مشورت » بتهمة إساءة السمعة . وقد استدعى المتهمون الى محكمة السين التاسعة ، وبعد ان سمعت المحكمة في ١٥ آب (اغسطس) دفاعاً القاه كليمانصو ، اصدرت حكمها بصالح المدعين ، ولكنه كان في الوقت نفسه كصفعة بوجه السلطان . لقد صيغ القرار بالشكل الآتي :

« المحكمة

« لما كان هويلون ، بوصفه محرراً مسؤولا عن صحيفة « مشورت » ، قد نشر في باريس لثلاثة أشهر على الاقل المقالات المذكورة في الامر الصادر عن قاضي التحقيق .

« ولما كانت هذه المقالات تحوي تهجمات على شخص السلطان الذي وصف بانه مخادع سفاك ، وسوط عذاب من الله على الناس ، وملك متعطش للدماء ، ومستبد سفاك وطاغية متفسخ ، وعار على المسلمين ، وذئب يرعى غنماً ، وسلطان احمر . الخ ..

« ولما كان خليل غانم واحمد رضا بك في الظروف نفسها من الزمن والمكان قد جعلا نفسيهما شريكين في الاسهام في الاهانات المذكورة اعلاه بان قدما لهويلون هذه المقالات التي كتباها لتنشر في صحيفة مشورت .

« غير انه نظراً لما يتمتع به المتهمان من الشرف وبسبب ما يكنه احمد رضا وخليل غانم من العواطف الطيبة لفرنسة والثاني منهما متجنس بالجنسية الفرنسية ، وعطفاً على المشاعر والآلام التي اثارتها فيهم مذابح ارمينية والتي كانت القوة الدافعة بهما الى كتابة المقالات الاتهامية ، وبالاشارة الى الحملة العنيفة للصحافة الفرنسية ضد السلطان ، والمناقشات العنيفة في مجلس النواب ، عند حدوث تلك الاحداث . كل هذه من شأنها ان تغفر للمتهمين تطرفات قلمهما ، وتدعو المحكمة الى التسامح .

« لهذه الاسباب

« يحكم على كل من المتهمين بستة عشر فرنك تعويضاً .

« ويوقف التنفيذ ... الخ (القاضي بيرينجر) »[٦٣] .

لقد كان بين زعماء تركية الفتاة الذين اجتمعوا في جنيف وباريس في نهاية سنة ١٨٩٦ اسحق سكوتي وشرف الدين مغمومي وسلانيكلي ناظم وطونالي حلمي وابراهيم تيمو ومدحت شكري وعلي زهدي وتشوروكسولو احمد وآخرون غيرهم . وفي سنة ١٨٩٦ بدأت الحكومة المصرية تظهر عدم ارتياحها لنشاط تركية الفتاة ، فأمرت اللجنة الادارية للجمعية مراد بك بنقل أعماله الى اوروبة[٦٤] ، حيث أصبح فيها حالاً زعيماً للفريق المناهض لرضا في داخل الجمعية ، ونجح في ضم معظم الاعضاء الى جانبه .

لقد اشرنا من قبل الى ان احمد رضا لم يكن محبوباً من زملائه ، والواقع ان موقفه تجاه معظم الاهداف الأساسية للجمعية كان يشبه موقف معظم أعضاء تركية الفتاة الآخرين ، غير انه كان يختلف بشدة عن الباقين من ناحية واحدة مهمة : وهي انه كان تطورياً أكثر منه ثورياً ، اي ان احمد رضا كان مثله مثل المتعاونين معه ، يرغب في زوال عبد الحميد من الميدان ، ويتمنى « عثمنة » سكان الامبراطورية التركية . ويطالب بإعادة دستور سنة ١٨٧٦ التركي ، غير انه ابى ان يقر استعمال العنف في تحقيق هذه الغايات ، وذلك لتعلقه التام بالعقائد « الوضعية » التي تؤكد على التطور المنظم. فتمسكه « بالخط الحزبي» الكومتي ، ورفضه اخذ الاوامر من اللجنة ، اديا الى هذا التنافر بينه وبين الآخرين .

اما مراد بك فكان ، بعكس احمد رضا ، محبوبا جدا ، وكانت مجهوداته الادبية قد اكسبته عدداً كبيرا من الاتباع في الجمعية ، ومما جاء في مصلحته ايضا انه كان من دعاة الجامعة الاسلامية .فقد كانت اسمى غاياته ان يرى كافة المسلمين وقد انقذتهم الخلافة من الحكم الاجنبي،ثم ان يرى هذا العمل وقد توّجه تأسيس امبراطورية اسلامية كبرى[٦٥] . وقد كان يحلم دائما ان يوجه السلطان المعظم نحو هذا الهدف . ومع ان كثيرا من اعضاء تركية الفتاة كانوا يفخرون

بكونهم احرار التفكير ، الا ان كلام مراد القوي كان يذكي حماستهم ، ان لم يكن لاي سبب آخر فلان السلطة في اية امبراطورية كالتي تخيلها مراد ستكون بالطبع من حصة الاتراك نظرا لكثرة من كان يقر للسلاطين العثمانيين ادعاءهم بمنصب الخلافة . لذلك كان منهاجه يلقى تأييدا على اسس قومية ودينية معا .

وبنتيجة كل هذه العوامل اصبح مراد بطل الجمعية ،ثم انتخب ،بعد وصوله من مصر بامد قصير ، رئيسا لفرع جنيف (٦٦) للجنة الاتحاد والترقي ، وكان يتلوه في القيادة تشوروكسولو احمد. واستمرت صحيفتا «ميزان» و«مشورت» تنطقان باسم الجمعية ، وكانت اولاهما في جنيف اما الثانية ففي باريس، وكانت كلتاهما ، نظريا على الاقل ، تحت سيطرة اللجنة في القسطنطينية ، يضاف الى ذلك ان كافة المقالات كانت خاضعة لفحص اللجنة الفرعية الاوروبية حيث كان احمد رضا فيها الآن مرؤوسا لمراد .

وبعد وصول مراد الى اوروبة بامد قصير ، زار الخديوي باريس ، وكان يرافقه الدكتور اسماعيل ابراهيم رئيس جماعة تركية الفتاة في مصر ، ويروي اسماعيل ابراهيم ، الذي يحتمل انه ارتبط بالجمعية منذ اوائل عهدها في المدرسة الطبية العسكرية في القسطنطينية ، ان الخديوي كان في هذه الفترة يعطف كثيرا على حركة تركية الفتاة (٦٧) . غير انه تردد في تأييدها علنا ، واصر على ان يكون الاتصال باحمد رضا ومراد عن طريق اسماعيل ابراهيم فقط .

لم يحتج الخديوي وقتاً طويلاً قبل ان يتكون عنده مقت لاحمد رضا اذ كان الخديوي لا يستسيغ اراءه «الوضعية». غير ان مراد هو الذي نفره تماماً اذ شن عليه هجوماً عنيفاً لما رفض الخديوي استقباله في جناحه الخاص في الفندق . وقد أدى هذا الى ان ينفض عباس حلمي يديه من كل الحركة ، لا بل سمح لوكلاء السلطان ان ينسفوا ما كان قد بقي من الجمعية في مصر . وقد خرج اسماعيل ابراهيم نفسه من الجمعية حانقاً بسبب سلوك مراد (٦٨) .

وفي أيار (مايو) ١٨٩٧ انتقل المركز الرئيسي لقيادة الجمعية من

القسطنطينية الى جنيف [٦٩] ، وفي الوقت نفسه اشتد النزاع بين الحزبين في المنظمة . ففي ١٥ أيار (مايو) نشرت « مشورت » الاعلان التالي « تتشرف لجنة الاتحاد والترقي باخبار قراء « مشورت » ان رئيسها السيد مراد بك ومديرها السيد احمد بك تشوروكسولو سيذهبان الى جنيف ليمضيا فصل الصيف هناك . » [٧٠] وفي العدد التالي اعلنت الصحيفة ان مراد قد استقال ، وان أحمد رضا قد اقصي عن لجنة الاتحاد والترقي [٧١] . غير ان رضا استمر في تحرير الطبعة التركية من « مشورت » ولكن صار بجانبه مجلس اشراف يعمل بمثابة لجنة رقابة .

ظل احمد رضا مستمراً في عمله ، لأنه بالرغم من أخطائه لم يكن بالرجل الذي يكف عن كفاحه ضد عبد الحميد . ولكنه لم يستسلم بخنوع لهذه الاهانة ، ففي مقابلة نشرت في صحيفة الوطن (La Patrie) في ٤ تموز (يولية) ١٨٩٧ أقر بظهور انقسام في الجمعية [٧٢] وأشار الى ان لهذا صلة بدفاعه عن حقوق غير المسلمين من سكان الامبراطورية العثمانية . وقد ادى هذا الى رد شديد في اعمدة « ميزان » وكان لهذا الرد ما يبرره : اذ ان جميع اعضاء تركية الفتاة ، بغض النظر عن التحزب ، يستطيعون القول بانهم طالبوا باعادة دستور سنة ١٨٧٦ وضماناته لحرية المعتقد الديني ، وهذا لا يعني انهم كانوا يعطفون على كفاح أية جماعة من الاقليات في الامبراطورية ، اذا كان كفاحها في سبيل التعبير القومي . إلا ان كتابات رضا آنذاك كانت تظهرهم بمثل هذا الموقف تماماً في هذه القضية . وفي حزيران (يونيه) سنة ١٨٩٧ نشر مراد بك كتيباً يضع بين أيدينا تلخيصاً صالحاً لافكار تركية الفتاة في هذه الفترة [٧٣] . فقد كان اعضاء تركية الفتاة في المنفى يشعرون دائماً بدافع قوي ليوضحوا للعالم ان الترك ليسوا وحوشاً مفترسة مرعبة كما تصورهم الآراء العامة غالباً . لذلك يظهر مراد في هذا الكتيب ، وبالشكل الذي يرضي به نفسه على الاقل ، انه يمكن ارجاع جميع الشرور في الامبراطورية العثمانية الى مصدرين رئيسيين هما : (الاول) عبد الحميد الذي يقول عنه « لم يعد هذا سلطاناً ، بل شيطاناً يحكم » ،

(والثاني) (Ce nest plus un Sultan, mais satan qui règne) [٧٤] ، الدول الكبرى . وهو ينكر بشدة التبعة التي تحمل الدين الاسلامي المسؤولية لما آلت اليه حال الامبراطورية . لذلك جعل عنوان أحد فصوله « الاسلام حر في الاصل والتعصب ليس نتيجة طبيعية للاسلام » .

وخير ما يمثل وجهة نظر تركية الفتاة هو التحليل التالي عن مشكلة الاقليات :

« ليست مشكلة النصارى في تركية ثمرة نضجت في تربـــة الامبراطورية العثمانية ، بل ان هذه المشكلة ولدت في دوائر وزارات الخارجية .

« ومن المصادفات الغريبة ! ان يبدأ نصارى الشرق يقاسون المتاعب منـذ ظهور هذا الاختراع البارع **والانساني** » [٧٥] !

وقد خص مراد قدراً كبيراً من كتابه لبحث أحوال الارمن ، وموقفـــه هنا هو أيضاً على العموم موقف الجمعية نفسه . فبعد أن يرى في وجود المندوبين الارمن « المدعين » في مؤتمر برلين « أمراً لا يغتفر » ، يعلن بصورة عامة :

« من المؤكد أن أية مسألة ارمنية **ينبغي الا تثار ولا يمكن ان تثار** خارج اطار قضية الاصلاحات العامة في تركية ، لسبب وجيه هو أنه لا يوجـد أي اساس واحد لاقامة دولة ، ولو مصطنعة ، للارمن » [٧٦]

ثم يشير مراد إلى ان اللجان الأرمنية المعترف بها قد رفضت اقتراحه للتعاون مع الأرمن في سبيل مصلحة « الوطن » المشترك ولذلك فانهم « بهذا الرفض ذاته اظهروا ان آمالهم تختلف تماماً عن مصلحة تركية ، اي عن الوطن المشترك اليوم – وطبعاً – غداً ايضاً . انهم يريدون بسذاجة حقة – أن يقيموا ارمينية جديدة من انقاض الامبراطورية العثمانيـــة الحالية ، وهذه الفكرة المثبتة والمشروع الاخرق يدفعانهم إلى قرارات اجرامية وأعمال غايتها الوحيـــدة هي اثارة مشاعر المسلمين ، وهم أساتذة مبرزون في فن الخداع ، وتصرفهم الاخرق الخـــالي من الأدب هو الذي نشأت عنه ، « الارمنية » Armenianism وهو الذي يساعدهم على هذا الغرض بشكل رائع » [٧٧] .

ان مثل هذه الملاحظات لا يمكن أن تساعد على تقوية العلاقات الأخوية مع الارمن ، والحق ان مثل هذه العواطف التي عبر عنهـا مراد قد سدت الطريق بوجه اي احتمال للاتصال مع الجمعيات الارمنية الثوروية ابان الجهاد الذي شنوه متفرقين ضد عدوهم المشترك عبدالحميد .

ينهي مراد كتيبه بتلخيص آرائه في الفقرات التالية :

« ١ – ليس الدين الاسلامي السبب المباشر لضعف الامبراطورية العثمانية ، كما انه ليس عقبة بوجه استعادة حياتها .

« ٢ – ان الشعب هو شبـاب ذو حيوية واعتدال واخلاص ، غير ان جريمتهم هي طاعتهم العمياء لسلطات سيئة السمعة ، وبمـا ان طاعتهم هذه قد أصبحت مقدسة بسبب ظروف منوعة ، فلا يصح ان يعتبر هذا ذنبهم .

« ٣ – ان الاسرة الحاكمة قد انحطت وتحللت بسبب مفاسد السراي ، غير انها لم تفقد كل قوتها . فان القيام بتنقيتها على النحو الذي يدعو اليه منهـــاج حزب الاصلاحات ، سيعيد اليها الصفات التي اثارت الاعجـــاب من قبل . ان وجودها على رأس الامبراطوريـــة ضروري ، وبدونها لا يقوم كيان للقوة التركية .

« ٤ – يتطلب الجهاز الحكومي تبديلاً اساسياً ، وقد جاء سوء سمعة الحاكمين بالدرجة الاولى من جهلهم ، وبالدرجة الثانية من سياسة عبد الحميد . لقـد كون الموظفون في الوظائف العامة طبقـة جامدة معزولة ، فمن الضروري اعلان سقوطها ثم اصلاحها عن طريق التعاون .

« ٥ – ان الحكومة بعد اعادة تكوينها ، ينبغي ان يكون لها سند دستوري صامد يمكنها من حماية القانون ضد تجاوزات القصر الاعتباطية ، وسيكون هذا السند المفتاح لحل المشكلة العثمانية . والواقع ان بين الموظفين الآن أناس مستنيرون وأمناء وقادرون على اقامة حكومة صحيحة ، وبمقدور المرونة الشرقية ان تحقق المعجزات ، متى قبل المبدأ بان **الحكومة تتطلب ان يكون الشخص** اميناً ومتحمساً .

« ٦ – وبسبب العون الكبير وحرية الصحافة النسبية ، فان الشرور القائمة الآن يمكن مقاومتها ، ويمكن للحياة العادية والتنفس الطبيعي ، وهما الامران اللذان سلبهما القصر من المجتمع ، ان يردا اليه ، وسيتعلم العالم الاسلامي ان اطاعة السلطة القائمة فضيلة ، وفضيلة كبرى لا يمكن ان تكون قانوناً لا استثناء له .

« ٧ – لقد أصبح الاتراك الآن مستعدين للحكم الدستوري ، ويمكن اعتبار التمثيل النسبي في دستور مدحت فكرة ملهمة طيبة .

« ٨ – ما دام السلطان عبد الحميد في الحكم ، فان العالم العثماني واوروبة لن يأملا بالظفر منه باي شيء سوى الاضطرابات ، والاضطرابات المتزايدة والاضطرابات المستمرة »[٧٨] .

ويتجلى مما ذكرنا آنفاً مدى الجدب في افكار تركية الفتاة ، إذ لا نجد مطلقاً أي اعتراف بالمشاكل الاساسية التي تواجه الامبراطورية العثمانية ، ولا أي تقدير للقوى التي تعمل في العالم الحديث . لقد اعتبر عبد الحميد وحده سبباً لمعظم الشرور السائدة في الامبراطورية ، اما العلاج الذي اقترح فهو البساطة نفسها : نح السلطان (ولكن لا الاسرة) واعد من جديد دستور مدحت باشا الذي لم يدم طويلاً . اما الاسلام فينبغي ان يظل الاساس في الدولة، واما الاسرة الحاكمة فهي ضرورية لحفظ وحدة الامبراطورية . أما القوميات التي تتكون منها الامبراطورية ، فاذا ناضلت لتحقيق كيانها القومي ، تتهم بالخيانة ولا يقدم لها بديل ذلك ، اي تحقيق كيانها القومي ، سوى شيء هزيل وهو ان تصبح « عثمانية » وهذا يعني استمرار النظام الذي هو قائم ايام عبد الحميد .

ان هذا النوع من التفكير هو مزيج غريب من قومية بدائية واستعمار ، وما يمكن وصفه بالاستعمار الديني . أما القومية التركية فنجد طلائعها في مقاومة تدخل الدول الاوروبية وفي الخوف من خسارة اجزاء من الامبراطورية . ومع هذا فقد كان موقف اعضاء تركية الفتاة تجاه الارمن وبقية الرعايا ، هو موقف

استعماري من أساسه . ولمثل هذا الخليط من الافكار سابقة تاريخية قديمة ، وخير مثل على ذلك هو المجريون بقوميتهم المنيفة واحتقارهم للقوميات الأخرى التي يحكمونها . وقد اضاف الترك الاسلام . وهكذا أصبحت مشاكل الامبراطورية لا يمكن التغلب عليها .

ان هذا الاتجاه الذي يظهر في رسالة مراد ينبغي الا يثير الدهشة ، لان تركية كانت تعيش آنذاك بما يشبه فجر العصور الوسطى . وما كان لنا ان نؤمل منها ان تنتج بين عشية وضحاها ، رجالاً قادرين على ان يدركوا حالاً طبيعة مرض « الرجل المريض في اوروبة » . فرجال تركية الفتاة ، شأن كثير من رعاياهم السابقين في البلقان، تلفتوا حولهم وتوصلوا إلى نتيجة ان اهم ما في دول اوروبة الحديثة هو الحكومة البرلمانية . فالحل المنطقي لمشاكلهم الخاصة يقتصر على الملكية الدستورية المحددة السلطات ،ومن الصعب ان نلومهم او مناصريهم على استنتاجهم ،شأنهم في ذلك شأن معاصريهم بان كل ما ينبغي للمرء عمله هو ان يضع الهيكل العام ويترك للماكنة ان تعنى بكل شيء آخر .

ومن ابرز النتائج التي يمكن استخلاصها من كتاب مراد هو ان كل كلمة فيه كان يمكن ان يكتبها أحمد رضا ، لان آراءهما متشابهة في الحقيقة[٧٩] . اي ان الافكار التي أبداهـا مراد لا تتعارض في اية نقطة هامة مع افكار رضا التي تتجلى في كتاباته ، آنذاك وفيما بعد . أما اسباب الانقسام بين اعضاء تركية الفتاة فقد بحثناه من قبل ، ويكفي ان نعيد القول هنا بان الانقسام لم يحدث نتيجة اي اختلاف أساسي على أهداف الجمعية .

بينما كان اعضاء تركية الفتاة في اوروبة منشغلين بالصراع المميت ، كانت الجمعية في داخل الامبراطورية تستفيق من اثر الضربة القوية التي وجهت لها عندما انكشف الانقلاب الذي كانت تعده ، فان عدداً من الشبان البارزين في المدارس العسكرية ممن لم تفتر عزيمتهم ، ظلوا فيها يثابرون على محاربة حكومة عبدالحميد ، وقد اجتمع عدد من الطلاب في « الحربية » ، ومنهم رجال أمثال فضلي تونغ وماهر سعيد وكريتلي عبد الحليم ، وكتبوا الى تشوروكسولو

احمد بك ، الذي كان يعلمهم الفرنسية قبل هربه من البلاد ، وسألوه عما يستطيعون عمله لخدمة القضية ، ونجحوا في ارسال الكتاب إلى خارج البلاد بواسطة احدى دوائر البريد الأجنبية ثم ظلوا ينتظرون الجواب بفارغ الصبر .

وقد أجاب تشوروكسولو احمد بعد فترة قصيرة ، فامتدح حماس هؤلاء الشباب لوطنيتهم وعزمهم ، وخولهم باسم لجنة الاتحاد والترقي تكوين فرع صار يعرف باسم « لجنة سليمان باشا » تخليداً لاسم رجل وطني قديم ، كما عرفهم بوجود جماعة اخرى هي « لجنة حسين عوني » في الصف الذي كان اعلى من صفهم في الكلية العسكرية ، وألح عليهم في العمل مع هذه الجماعة من أجل القضية المشتركة [٨٠] .

لقد ظلت المنظمة حية في بعض المدارس الاخرى ايضا . فمدرسة الطب العسكرية كانت لا تزال تمد الجمعية باعضاء متحمسين ، رغم كل ما اعترضها من عقبات ، كما كان في مدرسة المدفعية نشاط ايضا . [٨١]

غير ان حماس ماهر سعيد وفضلي تونغ وزملائهما ادى الى موجة اخرى من الاعتقالات . ان بعض اعضاء اللجنة الجديدة ، التي تأسست نتيجة المراسلة مع اوروبة ، قد قلقوا لان بعض اجزاء من رسالة تشوروكسولو احمد قد سودت بحيث لم يمكن قراءتها . غير ان فريقا آخر كانوا مندفعين لدرجة لم يعيروا الامر اية اهمية ، واستمروا في مراسلاتهم ، وبعد ذلك بامد قصير اثارت الجماعة المخاوف ، فزج اعضاؤها في السجن في طاش قشلة [٨٢] ، وهي الثكنات القائمة التي كانت تعقد فيها المحكمة العرفية الدائمة جلساتها فتحكم حسب سجلاتها الضحايا التي يسوقها اليها الحظ السيء ، وكان المسجونون يقضون هناك شهوراً صعبة ينتظرون دورهم . وفي ذلك الوقت اكتشفوا ان الرجل الذي كان يقوم لهم بدور الرسول الى دائرة البريد الاجنبية ، وهو تاجر بالعمولة اسمه بترو ، كان يجني ارباحاً طائلة من اخذ رسائلهم الى الحكومة لنسخها قبل ان يودعها البريد او يأتي بها الى اعضاء اللجنة . [٨٣] ولا بد ان نذكر انهم لم يتجاسروا على الذهاب بانفسهم الى دوائر البريد نظرا لان جواسيس السلطان كانوا يراقبون

بإستمرار الداخلين الى تلك الدوائر والخارجين منها .

اتخذت عدة تدابير للقضاء على التذمر في المدارس آنذاك. ففي الوقت نفسه اخرج من « الحربية » صفان ، أما المدرسة الطبية العسكرية ، فقد نقلت الى حيدر باشا عبر البوسفور[٨٤] . ولكن الجمعية لم تتحطم ، وبدت وكأنه لا يمكن تحطيمها لانها صمدت بوجه الضربات المتتالية ، وتلاحمت صفوفها بتصميم قوي ، وبدأت من جديد تبني قوتها منتظرة اللحظة التي تستطيع ان توجه فيها ضربتها الى عبد الحميد .

وبينما كانت بقايا المنظمة مشغولة بتضميد جراحها بعد الضربة الاخيرة ، جاءتها أقوى ضربة من دون سابق انذار . فقد اوقف اعضاء تركية الفتاة في اوروبة كفاحهم ضد عبد الحميد فجأة ، باستثناء واحد او اثنين من الشخصيات البارزة . بل ان بعضهم توجه ، يقودهم معبود الجمعية مراد بك ، الى ضفاف البوسفور ليقبلوا أقدام الرجل الذي كانت اقوالهم المهينة ضده قد بلغت غايتها قبل ذلك بايام قليلة . والواقع ان الجمعية في القسطنطينية لم تستفق قط من هذه الضربة غير المتصورة ، ولم يستطع بعدها أي شخص في عهد عبدالحميد استجماع الشجاعة الكافية للتكتل في تلك المدينة . وارجئت معارضة الاتراك لعبدالحميد في كافة ارجاء الامبراطورية العثمانية لبضع سنوات . أما الرجال القابعون في طاش قشلة فقد أخبروا بالانباء ، وعرضت عليهم اعلانات الانتصار المنشورة في الصحف ، فلم يستطيعوا إلا إحناء رؤوسهم خجلاً من رفاقهم الاول ، وذهبوا إلى محلات نفيهم بقلوب كسيرة[٨٥] .

ان معظم الفضل ، اذا صح استعمال هذه الكلمة لمثل هذه الأحوال ، في انهيار حركة تركية الفتاة في سنة ١٨٩٧ ينبغي ارجاعه إلى أحمد جلال الدين باشا ، وهو قوقازي كان السلطان يوليه ثقة خاصة حتى اطلقت عليه الاشاعات لقباً غير رسمي هو « رئيس جواسيس السلطان » [٨٦]. لقد بذل السلطان حتى ذلك الوقت كل جهد لتقييد اعضاء تركية الفتاة الذين يعيشون في الخارج . وقد حاول ، كما رأينا ،أن يعمل بالطرق الرسمية لما كانت هذه تلائم اغراضه، او حين

كان يعلم ان الظروف ستجعل الحكومة الاجنبيــة تعيره اذناً صاغية ، فكانت الاوامر تصدر باستمرار الى سفيره في باريس منير بك (الذي منح فيما بعـــد لقب باشا) بسحق خصوم السلطان بهذا الشكل . وهناك دلائل ايضاً على ان جواسيس السلطان وجدوا لهم طريقاً الى لجنة الاتحـــاد والترقي لبذر بذور الشقاق والانقسام ، غير ان كل هذا لم يأت باية ثمرة الى ان ارسل احمـد جلال باشا إلى اوروبة .

ان الانقسام بين مراد وأحمد رضا ساعد السلطان كثيراً ، ولاشك انه سهل مهمة جلال الدين . غير ان جلال الدين اكتشف بطريقة ما ان مراد بك رغم عنف هجماته على السلطان ، كان أضعف حلقة في السلسلة واهمهـا وانه اذا اخضع مراد ، فالراجح ان مريديه سوف يتبعونه .

حقا ان الجمعية لم تلق اسلحتها ، اي مطبوعاتها ، الا بعد ان حصلت على ضمانات من جلال الدين باشا بان السلطان سيتنازل عن بعض الاشياء ، ويدخـــل الاصلاحات ، لذلك اطلقوا على كل هذه الترتيبات اسم « هدنة » ، واحتفـــظ أعضاء تركية الفتاة بحق العودة الى القتال في حالة عدم تنفيذ شروطهم . وقـد يكون حقاً أيضاً ان معظم الذين وافقوا على الهدنة كانوا مخلصين في اعتقادهم بان ما يعملونه صحيح ، ولكن ينبغي ان يتحملوا اللوم لارتكابهم غلطة أساسية في حكمهم ، الأمر الذي اخر قضيتهم بضع سنين . يقابل هذا اننا يجب ان نعترف بالفضل الأكبر لرجال أمثال احمد رضا وخليل غانم الذين مهما كانت اخطاؤهم ، فانهم على الأقل كان لهم من الحكمة الكافية ما جعلهم يدركون ان لا قيمة لوعود عبد الحميد .

لقد اظهر احمد جلال الدين باشا مهارة في مناقشته مع مراد بك ، فقد اشار الى ان للسلطاناحساساً دقيقاً بالكرامة ، وان اعضاء تركية الفتاة لا ينتظرون تحقيق اهدافهم اذا استمروا سائرين في السبيل الذي كانوا يسلكونه! ثم استطاع ان يقنع مراد بان السلطان ادرك اخيراً ان عليــه القيام ببعض الاصلاحات ، غير انه نظراً لمقامه فلا يمكنه القيام بذلك اذا بدا وكأنه قد اجـبر على القيام

بــه ، وقد بدا هذا منطقياً لمراد ! ثم تابع جلال الدين مسعاه باستعمال اسلوب يوحي بانه يتكلم بصورة سرية خاصة وانه حريص على المساعدة الى حـد تجاوز الاوامر الصادرة اليه ، وبذلك الح لمراد ان كل شيء ممكن اذا اتقن اللعب بمـا في يديه من اوراق ، وان عليــه ، بدلا من اهانة السلطان ، ان يطربــه ويرضي غروره وحبه لنفسه(٨٧). ثم توج مناقشاته المقنعة بضمان واضح وهو انه اذا كف اعضاء تركية الفتاة عن حملتهم ضد السلطان فسيصدر عفو عام عن كافة المساجين السياسيين والمبعدين ، والا فان اعضاء الجمعية سيلاحقون باضطهاد اعنف .

ويبدو ان مراد اثرت عليه مؤثرات أخرى ، ولعل اهمها هو حـــلمه في امبراطورية اسلامية ، ولعل جلال الدين باشا ضرب على هذا الوتر ، غير انه على اي حال كان واضحاً لمراد انه لن يستطيع تحقيق هـذا المطمح ما لم يتقرب من السلطان . وهنالك أمر آخر كان يقض مضجعه ألا وهو معرفته ان صحيفتــه « ميزان » كانت تساعد على سجن ونفي عدد من الناس في داخل الامبراطورية . ويبدو أن مراد صار يشعر بعد الموجة الاخيرة من الاعتقالات بصورة خاصة ان القضية لا تستحق مثل هذا العناء ، وان الحركة لم تتثبت أركانها لدرجة تعادل الشقاء الذي كانوا يخلقونه . وأخيراً فانشوق مراد لرؤية اطفاله فيالقسطنطينية كان يجعله متوتر الاعصاب (٨٨) .

ناقش مراداً كثير من زملائه ، بل وهددوه ، وحاولوا عبثاً حمله على تغيير فكره ؛ فقد ظل مصراً ورفض التنازل عن موقفه حتى بعد ما اصدرت لجنة القسطنطينية قراراً ضده (٨٩) . وبالرغم من شدة حرص جـلال الدين باشا على مداد مراد بما يسد عوزه فقد رفض هذا ان يقبل منه أي مال ، واقترض من اصدقائه ثمن بطاقة السفر الى القسطنطينية ، ثم سافر الى تركية بعد أن رفض ان يخلف لزملائه حقه في نشر « ميزان » (٩٠) .

وفي ٧ آب (أغسطس) سنة ١٨٩٧ نشرت صحيفة البرق L'Eclair خبر بالكلمات التالية :

« ان حزب تركية الفتاة ، وهو مقتنع بأن عبد الحميد مخلص عندما يهدد ،

فكر اعضاؤه جدياً ، والاسى يملأ نفوسهم بواجبهم ، ثم قرروا ما يلي :

« سيوافق الحزب على الهدنة ، ولكنه لن ينزع سلاحه .

« ان الاعضاء سيرفضون بصراحة كافـــة القاب الشرف والتعويضات الشخصية المقدمة لهم .

« ان مراد بك سيذهب وحده إلى القسطنطينية كرهينة ، دون أن يقبل اي احسان شخصي . وهذه تضحية جديدة من جانبه ، لانــه اذا تجدد العداء فلا شك انه سيضحي بحياته من أجل الحركة .

« سيعمل السلطان على منح عفو تدريجي بالاضافة الى الاصلاحات .

« سيبقى أحمد رضا مدير « مشورت » في ميدان المعركة على رأس النضال ، رغم انه لا يتمتع بثقة جميع اعضاء الحزب بسبب أفكاره العـــالمية وآرائه الوضعية . »[٩١]

لقد جرت عدة محاولات منذ ذلك الوقت لتبرير العمـل الذي قام به مراد ورفقاؤه ، فبول فيش مثلاً يبحث بعين العطف الموقف الذي وجد اعضاء تركية الفتاة انفسهم فيه .

« ماذا يريد اعضاء تركية الفتاة ؟ اصلاحات وحرية للمبعدين السياسيين . لقد منحوا كل هذا ، لقد اعطى السلطان كلمة الشرف كسلطان ، فرفض ذلك سيثير الشكوك بان سلوكهم يخفي تفكيراً في مصالح شخصية . اذاً كان عليهم ان يقبلوا .

« وسيقع الخزي والعار على عبد الحميد وحده اذا نكل بوعده ! » [٩٢] .

قد يكون مراد والآخرون خرجوا من كل هذا الأمر المحزن ، وقـد صين شرفهم نظرياً ، ولكن هذا هو كل ما انقذوه من الحطام . لقد خسروا تقدير اتباعهم من ابنـــاء وطنهم ، وفقدوا احترامهم لانفسهم ، كما عرفوا ايضاً انهم خسروا كل الأسس التي وضعوها في السنين السابقة ، ومقابل كل هذا كان

عزاؤهم الوحيد معرفتهم ان حاكماً لا شرف له قد حنث بوعده مرة اخرى ، وهي حقيقة كان عليهم معرفتها على اي حال . وقد جدد بعض هؤلاء الاشخاص نضالهم ضد عبدالحميد لما ادركوا اي ضحايا الغفلة كانوا ، ولكن بعد ان حل بسمعتهم وغاياتهم من الخسارة ما لا يمكن اصلاحه .

لقد لاحظنا من قبل ان النتيجة العامة لهدنة سنة ١٨٩٧ هو تدمير تام تقريباً لتنظيم الجمعية في داخل الامبراطورية ، وتأخير أغراض تركية الفتاة عدة سنين ، ولم تبدأ الجمعية باعادة بناء نفسها ، او قل ببناء جديد ، في داخل تركية الا في سنة ١٩٠٦ .

يلاحظ فهمي جانير الذي كان نفسه أحد اعضاء تركية الفتاة ، انه عندما يعيد النظر الآن ، يصعب عليه ان يفهم لماذا تأثرت الجمعية في القسطنطينية إلى هذا الحد بانحراف مراد[٩٣] . لقد كان هناك رجال آخرون ذوو كفاءة، وبامكانهم تولي القيادة . ولكن لما وصلت اخبار عمل مراد إلى القسطنطينية انهار كل البناء كما ينهار بيت من الورق اذا عصفت به الريح .

قد نجد الجواب على هذا في حقيقة كون ان معظم الرجال الذين كانوا يحلمون في امبراطورية عثمانية جديدة تسري فيها الحيوية من جديد ، كانت آمالهم مركزة في شخص مراد ، القائد المعترف به والناطق بلسان الحركة ، فلما ظهر بانه غير جدير بالثقة التي اوليها كانت الصدمة عنيفة لدرجة شلت عقولهم ومزقت ايمانهم ، وحطمت نفوسهم ؛ فلم تحدث بينهم مناقشة أكاديمية لحفظ الكرامة وصيانتها . لقد شعروا فقط بان زعماءهم قد خانوهم وباعوهم .

والحق انه يصعب علينا ان نرى كيف كان بامكانهم ان يفكروا بغير الشكل الذي فكروا فيه ، اذ ان خضوع مراد كان عملاً مخزياً نظراً لموقفه السابق ، وليس من السهل ، حتى اليوم ، ان ننظر بغير الاحتقار الى الشخص الذي يستطيع يوماً ما ان يكتب انه ليس للامبراطورية العثمانية اي أمل ما دام عبد الحميد على قيد الحياة ، ثم يعود في اليوم التالي فيرى ان ذلك الحاكم نفسه

حري بان يولى الثقة[٩٤].

لم يفعل زملاء مراد شيئاً لتخفيف الوضع ، اذ حالما رأوا انه لا يمكن ثنيه عن قراره ، هزوا اكتافهم ، وتقبلوا الوضع ببرود ، فاكتفى بعضهم بالبقاء في اوروبة والاستمرار على الدراسة ، وذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فقبلوا من السلطان بعض المناصب ، وان كانوا أبعد نظراً فأخذوا مناصب خارج البلاد ، فاصبح تشوروكسولو ، وكان يحمل رتبة ماجور في الجيش التركي ، ملحقاً عسكرياً لتركية في بلغراد ، وظل في هذا المنصب إلى سنة ١٩٠٨ ، أما شفيق بك ، وكانت رتبته مقدماً، فقد أخذ هذا المنصب في فينة ، وظل فيه الى ان توفي بعد ذلك بامد[٩٥] .

وهكذا أصبح التفكك في داخل الامبراطورية وخارجها تاماً ، وصار بامكان عبدالحميد ان يتنفس الصعداء مرة اخرى .

الفصل الثالث

تركية الفتاة في المنفى ـ أحمد رضا وصباح الدين
مؤتمر الأحرار العثمانيين ـ إتساع شقة الخلاف

بعد الانهيار الشبيه بالتام لحركة تركية الفتاة في صيف سنة ١٨٩٧، وجد احمد رضا ورفقاؤه أنفسهم وحيدين في صراعهم ضد السلطان ، ولما كانت المفاوضات تجري مع جلال الدين باشا ، قاومت « مشورت » محاولة التصالح مع عبد الحميد بعنف، مما أدى الى ان يصم مراد وزملاؤه محرريها بانهم معاندون.

وصف خليل غانم حال الذين ارادوا الاستمرار في المعركة برسالة الى صحيفة البرق (L.Eclair) نشرت في ٩ آب (أغسطس) ١٨٩٧ .

فقد كتب يقول « لسنا معاندين جامدين ، ولكننا لا نؤمن بوعود السلطان و بكلمته ، وايماننا أضعف بالوسطاء الذين يرسلهم الينا . اننا نطلب الاعمال والافعال . كيف نلتزم بالسكوت عن مطالبته بادخال الاصلاحات التي وعد بها مائة مرة ولم يقم حتى ببذل جهد مخلص ؟

« هلا يسامحني مراد بك ! لم يكن ثمة من حاجة قط لوضع نفسه رهينة للسلطان ، اذ لم يطلب احد منه هذه التضحية .

« ان برنامج حزبنا معروف جيداً ، ويكفي أن يميل السلطان الى هذا

البرنامج لنقوم بتعضيده وتشجيعه ، اذ ان ذلك يجعلنا نلقي السلاح ونكف عن النضال ؛ فاننا نحس عندها في قلوبنا ثقة بالحاضر وضمانة للمستقبل ، ولنقـــل ثانية بان الوعود لا قيمة لها وان المبادىء هي كل شيء » [١].

لا يمكن أن تفند منطق الموقف الذي اتخذه رضا وغانم وقد ايدتها الحوادث تماماً كما رأينا من قبل .

ان اثنين من المؤسسين الاصليين لجمعية الاتحاد والترقي وهما اسحق سكوتي وعبد الله جودت ، الذي كان قد هرب من طرابلس الغرب ووصل اوروبة في وقت عقد الهدنة ، قررا ان الثقة بعبد الحميد كانت غلطة ، وانشأا في جنيف صحيفة جديدة لتركية الفتاة سمياها « عثمانلي » (العثماني) ، وسرعان مـــا اصبحت لهذه الصحيفة بعض المكانة المرموقة ، وبدا كما لو أن « مشورت » عادت الى مكانتها القديمة كصحيفة للمعارضة في داخل الحركة ، اذ سرعان ما ارتبطت بالصحيفة الجديدة شخصيات بارزة من رجال تركية الفتاة أمثال طونالي حلمي ونوري أحمد وتشركسي محمد رشيد .

غير ان السلطان استطاع بعد أمد قصير ان يتخلص من هذا التهديد الجديد بشكل يريح باله . وذلك ان منير بك ، سفيره الساحر ورسوله المسخر ، اتصل بسكوتي وجودت عارضاً عليهما اقتراحاً جديداً للتوفيق . وكان منير بك مخولاً أن يذكر انه اذا توقف صدور « عثمانلي » ، فقد يصبح السلطان مستعداً لاطلاق سراح المسجونين السياسيين في طرابلس الغرب وفزان . وعبـــد الله جودت ، الذي اختبر شخصياً الاحوال التي كانت سائدة في طرابلس الغرب ، كان بالطبع حريصاً على عمل كل ما في وسـعه لتخفيف ما يقاسيه من كان لا يزال سجيناً في القلعة الرهيبة ، فلا عجب اذاً ان نجد ان هذا الاقتراح يلقى استجابة وتأييداً عنده . فتوقفت « عثمانلي » عن الصدور في سنة ١٨٩٩ ، وقام السلطان في هذه المرة بواجبه في المساومة ، ولو جزئياً ، فاطلق سراح المسجونـين في طرابلس الغرب من سجونهم القديمة ، ولكنهم ظلوا مبعدين هناك [٢] .

الى هـــذا الحد يمكن للمرء ان يشعر بروح العطف على سكوتي وجودت

والآخرين المرتبطين معهم في اصدار «عثمانلي »، غير انهم تقدموا بعدذلك ليضعوا انفسهم وراء الحواجز تماماً ، كما فعل مراد وزملاؤه في سنة ١٨٩٧ . ففي سنة ١٩٠٠ وافق اسحق سكوتي على قبول منصب « طبيب عسكري » في السفارة العثمانية في رومة ، كما قبل عبد الله جودت مثل هذا المنصب في سفارة فينة . أما الباقون فقد اصبح منهم طونالي حلمي سكرتيراً في السفارة بمدريد[٣].

غير ان اسحق سكوتي لم يترك القضية تماماً ، إذ لما قرر نوري احمد وادهم روحي الذهاب الى انكلترة والاستمرار في اصدار « عثمانلي » في تلك البلاد ، تعهد سكوتي سراً بتقديم نفقات النشر ، واستمر يفعل ذلك حتى وفاته في سان ريمو بعد سنتين[٤] . أما عبد الله جودت فقد عاد فيما بعد يدخل في قائمة العاملين ضد عبد الحميد ، بعد ان اشتبك بمناقشة حادة مع محمود نديم باشا السفير التركي في فينة . غير ان جودت لم يستطع ان يمحو من حياته انه لم يعد يحارب من اجل مبادىء التي كان يعتنقها يوماً ما ، لا بل انه في الواقع قبل من السلطان وظيفة شرفية لم تكن تختلف كثيراً عن الرشوة المقنعة بقناع شفاف[٥] . وعلى اي حال فان « مشورت » اصبحت في اواخر سنة ١٨٩٩ المدافع الوحيد المهم عن قضية بدت اكثر من أي وقت مضى انها قضية فاشلة[٦] .

وفي هذا الوقت تركزت انظار اوروبة فجأة على حركة تركية الفتاة نتيجة حادثة مفاجئة تماماً ، ففي كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٩ هرب الداماد محمود باشا صهر السلطان[٧] من البلاد مع ولديه البرنس صباح الدين والبرنس لطف الله.

لقد ولد الداماد محمود سنة ١٨٥٥ وكان ابوه الاميرال خليل باشا وامه بنت السلطان محمود الثاني ، وكان ذا حظ من الذكاء والثقافة ، وقد اشتغل في شبابه فترة من الزمن في السفارة بباريس ، ثم شغل في سنة ١٨٩٢ منصب وزير العدلية ، وظل يشغله زهاء ثمانية اشهر ، وكان يلح باستمرار على السلطان ليعيد دستور ١٨٧٦ ، وبعد ان ذهبت كل محاولاته سدى قرر نهائياً ان الخيار الوحيد أمامه هو الخروج من نطاق سلطان عبد الحميد ، وبسط قصة سوء حكم السلطان كاملة امام انظار العالم الخارجي[٨].

ويبدو واضحاً من غضب السلطان انـه طعن في الصميم بهرب صهره ، ففي اليوم الذي اكتشف فيه اختفاء الداماد محمود اخرت جميع القطارات التي كانت ستخرج من العاصمة . ولما اعطي الانذار ارسل فوج كامل يفتش القطارات التي تحركت حتى ادرنه[٩]. وقد حدثت مشكلة دولية صغيرة عندما اوقفت السفينة الوحيدة التي كانت قد غادرت القسطنطينية ، وفتشت في الدردنيل[١٠] .

لقد ادرك الداماد محمود مسبقاً العمل الذي سيقوم به السلطان ، فاستعـد لذلك بان أخفى نفسه اول يوم ، ثم استطاع في اليوم التالي العبور ليـلاً بقارب صغير الى سفينة فرنسية كانت في طريقها من تركية ، وبذلك افلت من الشبكة دون ان يُعْرف[١١] . وقد عبرت هذه السفينة التي كانت تحمل اللاجئـين الملكيين ، من الدردنيل دون ان يعترضها احد ، ثم انزلتهم في مرسيلية بعـد بضعة ايام .

أما عبد الحميدفقد اخذ يعمل بما اعطى من نشاط للاهتداء الى بعض الوسائل التي تمكنه من اجبار صهره على العودة ، وقـد ادرك السلطان ان الداماد محمود سيلجأ الى فرنسة فأرسل الى ممثليه فيها تعليمات ليعلنوا ان محمود في الحقيقة قـد هرب ليتخلص من نتائج سلسلة من الجرائم التي ارتكبها ، وهذه الجرائم المزعومة تشمل سرقة مجوهرات زوجته ، وقتل احدى خدم حريمه ، وخطف اثنـين من صغار اولاده وهما ممن ليس له عليهما سلطة قانونية لانهما في حضانة السلطان بموجب القانون التركي . ورغبة في تقوية القضية ضد الداماد فقد خول السلطان ممثليه ايضاً بان يعلنوا ان الداماد محمود كان قبل هروبه بمدة من الزمن تظهر عليه علامات الاضطراب العقلي[١٢] . وكان الغرض من كل هذه المناورات تأمين طرد الداماد محمود بسبب الجرائم المتهم فيها ، لان السلطان كان يدرك انه لا توجـد حكومة اوروبية كبيرة تقر بان الاختلاف في الرأي السياسي مع شخص يحيط به الكره من حوله هو سبب كاف لطرد لاجيء .

وفي اول كانون الثـاني (يناير) سنة ١٩٠٠ روت « مشورت » وصول الداماد محمود باشا إلى باريس بالشكل التالي « لما وصلت الباخرة إلى مرسيليـة

تأكد ممثلو الصحف وهم مندهشون ، ان الداماد محمود باشا ، الذي صورته الاخبار الرسمية الصادرة من يلدز شخصاً مضطرباً ، انما هو رجل متزن جنتلمان موفور الصحة ، وكذلك متنور جداً وحر جداً ، واستطاعوا ان يدركوا ببساطة ايضاً ان ولديه الصغيرين اللذين ذكرتهما الاخبار الرسمية ايضاً هما رجلان باسلان ، يبلغ اصغرهما الثانية والعشرين من العمر ، وانهما لم يتحررا تماماً من استعباد خالهما عبدالحميد النحس فحسب ، بل ومن جميع عواطف التعصب ومن الانحيازات الرجعية . »(١٣)

وبعد ان رفضت الحكومة الفرنسية تلبية طلب عبدالحميد في التعاون لارجاع صهره اللاجىء ، حاصر الداماد محمود عدد هائل من مبعوثي السلطان ، فظل منير بك السفير العثماني في باريس يزوره يومياً تقريباً فترة من الزمن ، كما ان الوسيط الاكبر أحمد جلال الدين حاول ان يعاود النجاح الذي ظفر به مع مراد ، بل حتى خديوي مصر جاء ليرى ما يستطيع ان يعمله لمصلحة سلطانه(١٤).

تصور السلطان ومستشاروه في بداية الأمر ان الداماد محمود يلعب اللعبة التركية المعتبرة آنذاك ، وهي انه يلجأ إلى مكان أمين قبل البدء بمفاوضة ستؤدي حتماً الى اتفاقية مالية مرضية ، وقد ذكر أحد رسل السلطان ، ولعله احمد جلال الدين باشا ، للرئيس السويسري لادارة التبغ في القسطنطينية ، بانه ذاهب إلى باريس وانه واثق انه ما عليه الا ان يذكر الثمن الحقيقي فينجح في ارجاع الداماد محمود (١٥). غير ان جميع العروض التي قدمها السلطان رفضت ، فتبين بذلك ان الداماد محمود رجل جاد في موقفه . وكان من اول ما فعله الداماد محمود بعد وصوله فرنسة ، هو انه وجه الى أحمد رضا رسالة غاية في الاطراء والثناء ، كما يتجلى ذلك من المقتطفات التالية :

« لا استطيع ان اعبر لك عن الاحترام العميق الذي يكنه لك كل عثماني للخدمات الجليلة جداً التي تقدمها باستمرار لمصلحة وطننا المقدس .

« يضاف إلى ذلك فضل كبير لانك تضحي بنفسك في سبيل اعداد حياة جديدة للشعب العثماني الذي يقاسي الأمرين ، وليس باستطاعة كل ان يقف مثل

وقفتك ثابتاً شجاعاً وسط مصاعب لا حصر لها كانت تحيط بك .

« ورغبة في تبيان الحقيقة بشكل اوضح أقول ان تركية ، ربما منذ قرن لم تهب الحياة الى رجل مثلك . ولو كان في القسطنطينية او حول السلطان خاصة رجال كرسوا انفسهم بايمان للعدل والحق ، كما تفعل انت ، لما ساورني شك قط بان معظم الشرور والكوارث لم تكن لتحل في الامبراطورية »[١٦].

لم يبطىء أحمد رضا في الاجابة ، فقد اعلن ان الحزب سعيد جداً بالترحيب بعضو من العائلة المالكة كحليف في معركة انقاذ الوطن ، ثم تابع كلامه قائلاً :

« ان من أعظم ما يسرني ويسر زملائي في الكفاح هو ان هذه الشهادة في التأييد تأتي من شخص مطلع ، من وزير سابق ذي افكار منطلقة حرة ، وان رسالته هي برهان ساطع على الحق الذي في شكوانا من نظام سيء يقود تركية الى الخراب .

« ان المدافعين المتحيزين للسلطان عبد الحميد لن يستطيعوا بعد الآن الادعاء ان انصار الاصلاح هم اناس خاملون او موتورون . فمن ذا الذي يعرف السلطان خيراً من معرفة صهره به ومن هو أقرب منه اليه ؟ ومن ذا الذي يستطيع الحكم على الوضع السياسي والاجتماعي للامبراطورية بكفاءة تفوق وزير العدلية السابق ؟ وبعد بضعة ايام ستظهر اراؤه في السلطان وحكومته في رسالة يوجهها اليه .

« اننا نعتبر عمل محمود باشا الباسل هذا اسعد حدث ، لا لحزب تركية الفتاة فحسب بل للشعب كافة ، وسيجد صدى في قلوب جميع الذين تعاهدوا على خدمة الاغراض المقدسة لهذا الوطن »[١٧].

اما الرسالة التي اشار اليها احمد رضا فقد وجهها الداماد محمود الى عبد الحميد في ٢١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٠ ، وكانت ادانة دقيقة لنظام الحكم الحميدي ابرز فيها كاتبها جميع الاخطاء المعروفة في حكومة عبد الحميد . فقد اعلن ان الموظفين الذين يحيط السلطان عبد الحميد نفسه بهم هم « جهال جداً ،

وشيوخ ضعفاء او كذبة فسقة دساسون» يمنعون المخلصين من الاتصال بسلطانهم، وقال ان الحالة التعسة للتعليم العام والمالية والبحرية هي خير دليل على فساد لحكومة . الا ان الداماد محمود وجه اعنف طعناته الى السلطان نفسه .

لقد كانت للداماد محمود ميزة واحدة هامة بالنسبة الى جميع الاوروبيين الذين كانوا ينقدون عبد الحميد . فقد كان تركياً ومسلماً ومن اعضاء العائلة المالكة . وبسبب هذا اتسع ميدان هجومه ، فقد كان بمقدوره ان يقول عن السلطان اشياء لا يستطيع أي أجنبي او أي عثماني من غير المسلمين ، قولها دون استثارة عداوة الترك عموماً . وهكذا فقد أشار الداماد محمود الى أن عبد الحميد كانت عليه مسؤولية مزدوجة باعتباره سلطاناً للدولة العثمانية ، وخليفة للعالم الاسلامي بحكم منصبه ، ثم أخذ يهاجم عبد الحميد كخليفة وعبد الحميد كسلطان .

« دعني أقل بكل صراحة يا مولاي ، ان نظامك الاداري لا يشبه قط حكومة خليفة عادلة ومنصفة ، لا ولا يشبه سلوك الدول الاوروبية ، كلا بل إن له شبهاً بحكومات بعض الطغاة الذين عاشوا قبل آلاف من السنين » .(١٨)

لم تكن في أي من ملاحظات الداماد محمود اي لطف ، كما تشهد بذلك المقتطفات التالية « ان جلالتكم مثل بعض الملوك الطغاة والانانيين ، اتخذتم لتصرفاتكم ولانفسكم مبدأ مستمداً من سيء الطالع لويس الرابع عشر – **فليكن من بعدي الطوفان** . فانتم لا تفكرون الا بأنفسكم والا بالتجاوز على كل الحقوق وجميع العواطف الأنسانية . اما مصلحة الشعب فآخر ما تهتمون به . ان اربعة وعشرين مليوناً من الشعب يضحى بهم في سبيل انانيتكم ...

« انتم العامل الرئيسي لخراب بلادنا ، والسبب لكثير من السفالة والجرائم المتراكمة . فالدم الذي سببتم سفكه ، والبيوت التي خربتموها ،والاكاذيب التي نشرتموها ، تخطف الابصار .

« لقد قدمت لكم في السنوات الثمان الماضية كل هذه الاراء عدة مرات . فلا انتم قدرتم حسن النية ولا ادركتم اخلاصي ، ولما كنت متأكداً من انني لن

اتمكن من حملكم على فهم الحقائق ما دمت مقيماً في القسطنطينية ، فقد رأيت بأنه ما دام السلطان عاجزاً عن الاصغاء والفهم ويرفضها ، فمن الضروري ان انور الامة ، وان اعرض لها اخطار النظام الحالي وضرورة تبديله » .[١٩]

وبعد سفر الداماد محمود ببضعة أشهر ، روع عبد الحميد ثانيـــة هروب فرد آخر بارز من حاشيته ، الا وهو اسماعيل كمال بك ، وهو الباني كان قد شغل عدة مناصب عالية في الامبراطورية . ولما هرب اسماعيل كمال اخذ اولاده معه ايضاً ، واختار لمغادرة البلاد طريقة ابسط من تلك التي اتبعها الداماد محمود ، وذلـك انه وضع نفسه خارج نطاق سلطة السلطان بان لجأ الى ظهر معديـــة السفارة البريطانية .

يخبرنا اسماعيل كمال في مذكراته بان الذي دفعه الى قراره بمغادرة تركية كان اساسه انه قد أصبح هدفاً لشكوك السلطان ، نظراً لمحاولاته المستمرة للوصول الى اصلاح للامبراطورية ، وخاصة عن طريق الجريدة التي كان يصدرها مرتين في الاسبوع في فيليبوبوليس[٢٠] . وبما ان اسماعيل كمال كان رجـلا وهبه الله حظاً من الذكاء ، فانه قرر ان الوقت قد حان للرحيل لما عينه السلطان حاكماً عامـاً على طرابلس الغرب ، واعدت الترتيبات اللازمة له للابحار الى مكان منصبه الجديد ، على ظهر يخت ملكي . فقد شعر ان احتمال وصوله الى طرابلس ضئيل ، لذلك بدأ يطبق الخطة التي اتقن اعدادها من قبل بدقـــة مع السر نيكولاس اوكونور (Sir Nicolas O'Conor) السفير البريطاني ، فذهب الى المعدية التي كانت راسية في البوسفور ، ثم انتقل منها وهو محاط بحراسة ، الى سفينة ترفـع العـلم البريطاني ، وابحر الى اليونان في اول ايار (مايو) سنـة ١٩٠٠ . ويروي اسماعيل كمال بتواضع صادق « انتشرت اخبار سفري في ارجاء القسطنطينية ، فغصت الارصفة بعدد هائل من الناس الذين جاؤوا يودعونني ويظهرون عطفهم العظيم نحوي »[٢١] .

وقد دون اوروبي مقيم في القسطنطينية آنذاك في مذكراته ما يلي:
« ولكن الفريد ان ترى هؤلاء الناس يهربون من اراضي امبراطورية عظيمة

كما يهرب المرء من السجن تماماً ، فلا بد لهم اذا ارادوا النجاح من التحايل والمكر ، ومتى عبر شخص الحدود سرى عن الآخرين ، أما السلطان فيبدو عليه اليأس الذي يبدو على الشرطي الذي يرى هرب سجين اودعت اليه حراسته » [٢٢] .

وبعد ان أقام اسماعيل كال فترة من الزمن في اليونان ، ذهب الى اوروبة الغربية ثم استقر في بروكسل حيث اتفق مع الباني آخر اسمه فائق بك كونيتزا على تولي ادارة صحيفة تدعى « البانيا » كان فائق بك قد بدأها في سنة ١٨٩٧ . غير ان الرجلين لم يأتلفا ، وبعد مدة قصيرة بدأ اسماعيل كال يصدر صحيفة جديدة اسمها « تحية البانيا » (La Salut de L' Albanie) فكان يطبعها بالالبانية والتركية واليونانية [٢٣].

وفي هذه الفترة تابع منير بك اتصالاته المستمرة باسماعيل كال وقدم له من السلطان عرضاً لوظيفة « سفير متجول » « واجبه دراسة مؤسسات اوروبة المختلفة ، وتقديم تقرير عنها لعله قد يستفاد منها كأسس للاصلاحات في تركية » [٢٤] ، غير ان اسماعيل كال رفض هذا العرض اللطيف ، وبدأ يقوم بجولة من الزيارات الى الالبانيين في مصر وبقية الاماكن،(وكان اسماعيل مغرماً جداً بالزيارات) .

لقد رأينا ان حركة تركية الفتاة بدت في السنتين الاوليين من القرن الحالي وكأنها قد جاءها دافع جديد للعمل ، وكسبت بعض القواعد التي خسرتها في سنة ١٨٩٧ . غير ان هذا لا ينطبق الا على الحركة خارج الامبراطورية العثمانية ، نظراً لانه لم تقم اية محاولة لاعادة تكوين التنظيم الداخلي للجمعية الاولى في القسطنطينية .

ومع هذا فقد كان اعضاء تركية الفتاة في الخارج يرفعون اصواتهم بقوة وخاصة بعد وصول الداماد محمود باشا وولديه إلى اوروبة ، ولم تكن اصواتهم الوحيدة الصارخة ضد عبد الحميد . أما جماعات الاقليات في الامبراطورية فقلما

وجدت واحدة لم يكن لهـــا ممثلون في باريس او في جنيف او في بروكسل او في لندن – وكانت منشوراتها تطالب اما بالاصلاحات العـــامة في داخل الامبراطورية او مراعاة مصالحها القومية الخاصة .

كان الأرمن اكثر رعايا الامبراطورية العثمانية ، الواسعة والمعقدة التكوين ، صخباً ، وأحسنهم تنظيماً ، والوحيدين الذين استدروا أكبر عطف عـام من ارجاء العالم لما قاسوه من اضطهاد . فبالاضافة الى المنشورات الرسميه للمنظمات الثورية الارمنية كالهنشاق(Hentchak)والدشناغتسوتيان(Dashnagtzoutian) كانت لهم صحيفـــة تصدر مرتين في الشهر وتدعى « صديق ارمينيـــة » (Pro - Armenia) وقد انشأها في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٠ جورج كليمانصو واناتول فرانس وجان جوريز وفرانسيس دي بريسنس وا. دي روبرتي لتدافع عن القضيه الأرمنية .

لقد لاحظنا من قبل ان الألبان ايضاً كانوا نشيطين في اوروبة ، فقـد انشأ فائق بك كونيتزا ودرويش حما صحيفة « البانيا » للدفاع عن رغبـات بعض العناصر التي تنشد الحكم الذاتي لالبانية ضمن إطـــار الامبراطورية العثمانية . وظلت هذه الصحيفة بعـد انشائها ببضع سنوات تناهض بقوة تركية الفتاة وتؤيد عبد الحميد ، لان محرريها ، وخاصة فائق بك (وكان درويش حما قطع علاقته بالنشر شعروا بعد مدة انهم بهذه الطريقة قد يحققون اغراضهم اسهل مما لو هاجموا السلطان . ولعل هذا سبب تفكك ما كان بين اسماعيل كمال بك وفائق بك حول صحيفة « البانيا » من ترتيبات [٢٥] .

خصصت صحيفة « البانيا »في السنوات الأولى من نشرها مكاناً واسعاً للقول بان اعضاء تركية الفتاة في باريس هم « جماعة من الشبان المتأخرين والسطحيين » (وهنا قد يبدو متناقضاً) « مكونين من فتيان مدللين ومخنثين » [٢٦] وان السلطان البائس كان مجرد « ضحية » لتركية الفتـاة التي كانت تتخذ منه كبش فداء للشعب عموماً [٢٧] . وقد ظـــل فائق بك حتى سنة ١٩٠١ يزيد من المصاعب الهائلة في جمع مختلف الاحزاب المعارضة لعبد الحميد ، وذلك بمـا

كان يبديه من ملاحظات تعوزها الحكمة كقوله « أما عن نفسي ، فيمكنني ان اؤكد انني لم اصادف بعد تركياً واحداً يتنكر ،عن اخلاص ،لمذابح الأرمن ».[٢٨]

اما الاكراد فقد كان منهم عبد الرحمن بدرخان ، وهو ابن زعيم كردي مشهور ظل يقاوم الحكم التركي سنوات قبل ان يخضع لعبد المجيد في سنة ١٨٤٠ . وقد أصدر عبدالرحمن صحيفة « كردستان » في لندن ، كما ساعد في نشر « عثمانلي »[٢٩] . وكان ثمة عدد من الأكراد ، بينهم عبدالله جودت واسحق سكوتي ، يعملون بنشاط في حركة تركية الفتاة منذ البداية غير انهم بدوا وكأنهم يعتبرون انفسهم اتراكاً ، او عثمانيين على الاقل اكثر من كونهم قوميين اكراد . ان الفكرة القومية من حيث العموم جاءت عند الاقليات المسلمة متأخرة عن نموها عند الاقليات المسيحية .

اما فيما يتعلق بالعرب ، فان النشاط الوحيد الجدير بالذكر هو الذي قامت به منظمة تدعى «لجنة الاصلاح التركية السورية » بزعامة الامير امين ارسلان . لقد كانت هذة المنظمة قائمة منذ زمن ، ولكن يبدو انه لم يكن لاعضائها دافع قومي حقيقي ، بل كان دافعهم الرغبة في الاصلاحات التي قد تجعل حياتهم في الامبراطورية أسهل . أما خليل غانم فكان سورياً نصرانياً لا يرقى الشك الى اخلاصه لأهداف تركية الفتاة كما رأينا .

ازاء هذا العدد الكبير من المنظمات والصحف ، ونظراً لموقف مختلف الحكومات الاوروبية ، فلا عجب ان يظهر بين كثير من اعضاء تركية الفتاة ايمان بأن لكل قومية في الامبراطورية العثمانية الواسعة الرقعة ، حام ما عدا الترك انفسهم . وهكذا نجد أحمد رضا يتشكى بمرارة من ترك التركي البائس بلا محام يدافع عنه وهو الذي يعاني الالم من ظلم عهد عبد الحميد كما يعاني أي فريق آخر من سكان دولة عبد الحميد . ثم يشير الى :

« ان الوكالات القنصلية والمدارس الاجنبية ودور التبشير التي تحميها الامتيازات الاجنبية لا تقدم لهم محلاً يلجأون اليه ، ولا مخازن للعتاد ولا

مراكز للدعاية ، كما هو الحال مع المشاغبين من الارمن او البلغار . أما اذا قبض على الاتراك وحكم عليهم فلن يتدخل القيصر الروسي لحمايتهم ، كما ان مترجم السفارة الروسية لا يوفر لهم على ظهر أية سفينة معاملة أحسن وأصح مما يلقونه لو دخلوا البنك العثماني ». (٣٠)

والواقع أن فيما قاله أحمد رضا كثيراً من الحق ، إذ رغم ان الاقليات ، او الاقليات المسيحية خاصة ، كانت في الامبراطورية العثمانية في حال لا تحسد عليه في عهد عبد الحميد ، الا ان حالة التركي العادي لم تكن حسنة ، أو كما يقول السر هاري لوك « بقي التركي وحده لا يثير عطف أحد رغم اهتمام الاجانب الذي امتد الى اليونانيين والرومانيين والبلغار والصرب والأرمن وربما كان ذلك يرجع بعض الشيء الى غلطته ، لانه لم يكن قد بدأ بالاهتمام بنفسه كأحد القوميات المضطهدة او المظلومة الخاضعة للسلطان ، في حين كان الناس في الخارج يقرون بعيوب حكومته وشرورها . ثم ان نقاد الحكومة العثمانية الذين باتهاماتهم للحكومة التركية اعتبروا الشعب التركي مدافعاً عن حكامه ، لم يدركوا ان الاتراك الحقيقين ، أي الفلاحين الاناضوليين ، لم يكونوا فقط ابعد ما يكون عن الموظف العثماني ، بل لأنه كان يعتبرهم المادة الخام للدولة ورقيقاً لها تقريباً ، لا يستحقون الرعاية او الحماية اكثر من أي كان من الرعايا . لقد ابتعد الاتراك عن الايام الاولى من التقدم التركي في اوروبة ، حينما كان الشعب التركي يكون أمة في حالة نفير عام تسهم كلها في قطف ثمار الفتوحات المشتركة ». (٣١)

وبالرغم من الاختلاف بين مُثُل الجماعات المختلفة وآمالها ، كان من الطبيعي ان تجرى محاولات لتنسيق فعاليات المنظمات التي كانت تشترك في امر واحد ، هو الرغبة في ازاحة النظام القائم في الامبراطورية العثمانية . والشخص المنطقي الذي كان عليه القيام بهذا الواجب هو الداماد محمود باشا الذي كان مقامه قد وضعه ، نظرياً على الاقل ، فوق خلافات الآخرين . غير ان الداماد محمود كان يعاني امراضاً ادت الى وفاته في سنة ١٩٠٣ ، فانتقلت القيادة الى اولاده ، وخاصة صباح الدين ، وهو شاب في منتصف العقد الثالث من العمر كان قد

بدأ يكون لنفسه آراء خاصة . ومن مصر صدر « نداء عام الى العثمانيين » وقعه صباح الدين ولطف الله ، اللذين كانا يزوران مصر آنذاك ، وقد وجها في هذا النداء دعوة الى العثمانيين كافة الى الاجتماع في مؤتمر لبحث الوسائل التي يمكن بها اقامة الحرية والعدالة في تركية (٣٢) .

لقد لقي النداء ترحيباً ، فانعقد « أول مؤتمر للاحرار العثمانيين » في باريس من الرابع حتى التاسع من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٠٢ ، وقد منعت وزارة الداخلية الاجتماع في البداية بناء على طلب من عبد الحميد ، فوضعت خطط لعقد الاجتماعات بصورة خاصة في دار المسيو لوفافر-بونتاليس ، وهو احد الفرنسيين الذين كانوا يعطفون على الحركة . ثم رفع المنع ، ولكن بالرغم من ذلك تم عقد الاجتماع الاول في دار المسيو لوفافر-بونتاليس ، ثم أخذ ينعقد بعد ذلك في دار البرنس صباح الدين (٣٣) .

حضر هذا المؤتمر سبعة واربعون عضواً من الترك والعرب واليونانيين والاكراد والالبانيين والارمن والقوقازيين واليهود ، والرأي الوحيد الذي اجمعوا عليه هو ان عبد الحميد ، باعتباره سلطان الامبراطورية العثمانية ، لم يحقق كثيراً من رغبات السكان . غير ان صباح الدين ارتكب خطأ بافتراضه ان الموجودين كانوا يشعرون بروابط قديمة نظراً لمعيشتهم جميعاً في هذه الامبراطورية المتفككة . ذلك بأن عدداً من المندوبين جاؤوا من منظمات تطالب باكثر من ان يخلف عبد الحميد عضو آخر من نفس العائلة ، رغم ان معظمهم كانوا مستعدين لاعتبار مثل هذه الحركة خطوة في الاتجاه الصحيح . والواقع انه لم يكن بمقدور احد ان يأمل من المؤتمر انجاز شيء واضح سوى المتفائلين فقط ، ولكن الطريف هو ان الانشقاق حدث بين الجماعات التركية المختلفة لا بين ممثلي القوميات المختلفة .

افتتح المؤتمر صباح الدين ، الذي انتخب بالاجماع رئيساً للاجتماع (٣٤) ، والقى في هذا الافتتاح خطاباً اوضح فيه ان النظام القائم في تركية قد ابتعد كثيراً عما كان يتبع قبلاً من الاساليب التركية في معاملة الشعوب والاجناس والديانات

الاخرى في داخل الامبراطورية . وكان دقيقاً في تمييزه بين الحكومة والاتراك عموماً حيث قال .

« ينبغي ان يكون مفهوماً جيـــداً ان الاتراك الذين يكونون الاكثرية في الامبراطورية ، لا يطلبون لانفسهم الا ما يطلبونه ، وبنفس المقياس ،لاخوانهم المواطنين المسلمين وغير المسلمين كافة .

«ان الامبراطورية العثمانية منذ ظهورها حتى عهد الدستور لم يثبت تقصيرها قط في احترام لغة وعادات وديانة جميع الشعوب المختلفة التي تتولى مصائرها...

« اننا نعيد القول : ان الاصلاحات التي نطلب تطبيقها في بلادنا ، والـتي نعمل بكل قوانا لتطبيقها ، لا نطلبها لشعب دون آخر أو ملة دون اخرى، كلا اننا نطلبها لجميع العثمانيين دون استثناء » [٣٥] .

وبعد ان صفق المندوبون للمشاعر السامية التي عبر عنها البرنس صباح الدين، انصرفوا الى العمل ، وسرعان ما انتهوا الى المقررات التالية :

« (١) اننا نرفض الربط بين الشعوب العثمانية والنظام الذي عشنا فيـــه خمسة وعشرين سنة ، فهو نظام ظالم وهو المصدر الوحيد للمساوىء المقترفة في الامبراطورية ، والتي تستثير احتقار الانسانية جمعاء .

« (٢) اننا نريد ان نؤسس بين مختلف شعوب الامبراطورية واجناسها ائتلافاً يضمن للجميع ، ومن غير تمييز ، تمتعهم التام بحقوقهم التي اقرتهـــا اعلانات السلاطين وعززتها المعاهدات الدولية ، وان نوفر لهم الوسائل التي ترضي تمامــاً آمالهم الشرعية في الاسهام بالادارة المحلية ، وتضعهم على قدم المساواة من ناحية الحقوق والواجبات المطلوبة من كافة المواطنين، وان نستثير فيهم شعور الاخلاص والولاء للعرش ولآل عثمان ، اللذين وحدهما يستطيعان المحافظة على الوحدة .

« (٣) سنوجه جهودنا في جميع الاحوال ، الى تنسيق رغبات جميع الشعوب العثمانية ، وجهود جميع المواطنين من اجل هذا الهدف الثلاثي (أ) الحفاظ على

وحدة الامبراطورية العثمانية وعدم امكان تفككها (ب) اعادة تأسيس النظام والسلم في الداخل، وهما شرطان اساسيان للتقدم (ج) احترام القوانين الاساسية في الامبراطورية، وخاصة الدستور الذي ادخل في سنة ١٨٧٦ والذي هو بلا جدال أهم ما فيها، والذي يقدم أقوى وأثمن ضمان للاصلاحات العامة، ولحقوق الشعوب العثمانية وحرياتها السياسية تجاه التعسف.

« (٤) اننا نعلن عزمنا الاكيد على احترام المعاهدات الدولية وخاصة معاهدة برلين التي سنطبق بنودها المتعلقة بالنظام الداخلي لتركية على جميع ولايات الامبراطورية ».[٣٦]

ان اعضاء تركية الفتاة القدماء، وهم بقايا جمعية الاتحاد والترقي العتيدة، جاؤوا الى المؤتمر بشيء من الريبة، لذلك لم يسرهم ان يصبحوا اقلية في اجتماع كبير من « العثمانيين » وخاصة لما كان لا يزال ثمة اختلاف كبير في الرأي حول ما تعنيه « العثمانية ». غير انهم اخذوا يتنفسون الصعداء عندما اتخذت القرارات الآنفة الذكر، لان هذه القرارات تضمنت مبادئهم الأساسية، وخاصة الفقرة الثالثة التي أقرت خلال اجتماع تمهيدي كان يترأسه خليل غانم[٣٧]. أما الفقرة الرابعة فلعلها وضعت بتأثير فريق آخر، ولعلها لم توح بالثقة لجماعة أحمد رضا فاذا كانت كذلك فهي لا تستحق ان يصرف من اجلها جهد كبير في النزاع نظراً لانها صيغت بتعابير عامة جداً.

غير انه لما انعقد المؤتمر بكامله لاقرار القرارات، تحققت اسوأ مخاوف حزب رضا وغانم، لانه كما قال عن المؤتمر احد التقارير المؤيدة لوجهتهم « كأن شيئاً شبيهاً باللغم القى على المناهج التي ذكرت» [٣٨] وهذا كان بشكل اقتراح قدمه أحد المندوبين يطلب فيه ان يزاد إلى المقررات فقرة اضافية يتطلب بموجبها استدعاء الدول الاوروبية للتدخل لمصلحة الشعوب المظلومة في الامبراطورية العثمانية. وقد قبل هذا الاقتراح بالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي اعلنها أحمد رضا وزملاؤه، فأضيفت الخاتمة التالية الى المقررات

الاخرى :

« لما كانت هذه هي المبادىء التي يقوم عليهـا الائتلاف ، فاننا نكون لجنة دائمة لتسعى لسيادة هذه المبـادىء ولتكرس نفسها للاتصالات الضرورية ، مع الدول الموقعة على معـــاهدة باريس لسنة ١٨٥٦ وعلى معاهدة برلين لسنة ١٨٧٨ وذلك للحصول على التأييد المعنوي والعمل المؤيد من جانبها ، لان من اهدافها تنفيذ الاتفاقات الدولية المتعلقة بالنظام الداخلي في تركية ، وجميع الاعمال الدولية المنبعثة من المعاهدات المذكورة سابقاً ، وتطبيقها على كافـــة ولايات الامبراطورية بالشكل الذي يجعلها مفيدة لكل منها إلى اقصى حد »[٣٩].

وهنا ايضاً وجد احمد رضا نفسه وقد وصم بالرجل الصلب العنيـــد الذي يرفض قبول قرارات الاكثرية . ولكنه تمسك بموقفه ، فاستطاع ان يدخل في محاضر المؤتمر اعلان الاقلية التالي :

«لقد كنا نأمل بتمسكنا بالمؤتمر ، مزج كافة العناصر العثمانية ، وكنا ننتظر الاستفادة من هذه القوة التي أوجدها اتحادكم، ولكننا نعبر هنا عن اسفنا العميق لخيبتنا في آمالنا الشرعية.

«لقد اعتقدت اغلبية المؤتمر ان تنفيذ الاصلاحات في تركية يستلزم بالضرورة اللجوء الى تدخل الدول ، وان روح القرار مستتر وراء تعبير «العمل الودي» للدول . اننا ، نحن الاقلية ، مقتنعون بان الدول توجهها مصالحها الخاصة ، وان هذه لا تتفق دائماً مـــع المصالح الخاصة لبلادنا ، لذلك فقد رفضنا كلياً اي عمل قـــد يمس استقلال الامبراطورية العثمانية .

« ومع هذا فاننا لا نعادي اوروبة كما زعموا : بل بالعكس ان من رغباتنا الرئيسية ان نرى المدنية الاوروبية تنتشر في بلادنا ، وخاصة العلوم في تطورها ومؤسساتها العلمية . اننا نتبع الطريق الذي اختطته اوروبة وحتى في رفضنا قبول التدخل الاجنبي ، يكون مصدر الالهام فيه هو القرارات الوطنية الـــتي تفخر بها عن حق كافة الشعوب الاوروبية الحريصة على استقلالها » [٤٠] .

غير ان احمد رضا لم يكن المخالف الوحيد ، فمندوبو الارمن الذين كانوا يمثلون لجاناً متقنة التنظيم واضحة الاهداف جاؤوا الى المؤتمر ومصالحهم واضحة في اذهانهم ، وكانوا مستعدين للاستفادة من المؤتمر اذا امكن ، غير انهم لم يكونوا اكثر استعداداً لاخضاع اهدافهم لارادة الاكثرية من احمد رضا ، وقد اتضح هذا جيداً عندما اعلن مندوبو اللجنة الارمنية :

« (١) ان اللجان الارمنية مستعدة للتعاون مع الاحرار العثمانيين في كل عمل مشترك يهدف الى تبديل الوضع القائم .

« (٢) اما خارج العمل المشترك فان اللجان الارمنية ستستمر في مجال عملها الخاص ، وينبغي ان يكون مفهوما جيداً ان هذا العمل موجه ضد النظام الحاضر لا ضد وحدة تركية او كيانها الحي .

« (٣) ليس لعملهم الخاص كذلك اي غرض سوى الحصول على تنفيذ سريع للمادة ٦١ من معاهدة برلين ، ومذكرة ١١ ايار (مايو) ١٨٩٥ وملحقها . وكذلك الاصلاحات المذكورة في المذكرات التي قدمت بالطرق الدبلوماسية باسم اللجان الارمنية الى الحكومة الفرنسية »[٤١] .

لا يمكن ان يلام الارمن على موقفهم الواقعي فقد كانوا يعرفون ما يريدون ، وكان اقتراحهم صريحا لدرجة لا يدع مجالا للشك فيما يريدون . غير انه يصعب الى حد ما فهم ما اثاره الموقف الارمني من ردالفعل عند صباح الدين والمندوبين الآخرين ، وخاصة بعد ان اتضح ان الارمن لن يسهموا باي قرار عام يتخذه المؤتمر ، بما في ذلك التصريح الذي كان حجرا اساسيا في المؤتمر ، وهو الرغبة في تحويل حكم عبد الحميد المنفرد الى حكومة دستورية[٤٢] . والنقطة الوحيدة التي اتفق عليها الارمن بحماسة مع « اخوانهم العثمانيين » هي تلك التي اختلف فيها احمد رضا مع المؤتمر – وهي مسألة استدعاء التدخل الاجنبي . والواضح ان صباح الدين الذي كان اكبر مدافع عن هذه السياسة ، شعر بان هذا الامر يطغى على جميع الاعتبارات الاخرى ، إذ بينما اقتصر اتفاق الارمن مع « اخوانهم العثمانيين » على هذه المسألة فقط ، فقد كانوا مع ذلك موضع تدليل . اما جماعة

« مشورت » من الاتراك ، الذين وافقوا على كل النقاط ما عدا هذه المسألة ؛ فقد كانوا موضع لوم بسبب موقفهم هذا [٤٣] .

وبهذه المناسبة فان قراءة القرار الاخير للمؤتمر هو من الطرافة بمكان: « ان ممثلي شعوب الامبراطورية العثمانية الذين اسهموا في المؤتمر الذي افتتح في ٢شباط (فبراير) (كذا) بباريس ، بعد ان احيطوا علما بالقرارات المذكورة اعلاه والتي تحتج على النظام الحالي في تركية .

« قرروا ان يقوموا بعمل مشترك من اجل :

« (١) ابدال نظام الحكومة الحالي بنظام من الحرية والعدالة يضمن اعادة الدستور .

« (٢) ان يذكروا الدول الاوروبية بان واجبها ومصلحة الانسانية العامة تقتضيان تنفيذ بنود المعاهدات والقرارات الدولية القائمة بينها وبين الباب العالي ، وبشكل تستفيد منه جميع اجزاء الامبراطورية العثمانية .

« ومن جهة اخرى ، لما كان الارمن قد اعلنوا انهم لا يستطيعون التعهد بالسير جنباً إلى جنب مع بقية العثمانيين لتحقيق الرغبات التي اعلنها هؤلاء فيما يختص بتحويل النظام الحالي إلى نظام دستوري، اذ انهم (الأرمن) اعتبروا ان وقت ذلك لم يحن بعد ، بل وانه مناقض لمصالحهم ، فان المندوبين العثمانيين في المؤتمر ، مع اليونانيين والالبان المسهمين معهم اعلنوا بأغلبية كبيرة ان اختلاف الرأي الذي نجم عن هذة النقطة بالذات لن يمنعهم قط من البحث عن انجع العلاجات للشرور التي يقاسي منها الارمن، وان يسعوا للحصول على:

« اولاً : تحقيق الرغبات الشرعية للارمن فيما يتعلق بتنظيم الادارة المحلية للولايات التي يقطنون فيها ، ولبقية الولايات كافة . وثانياً تأسيس حكومة مركزية دعامتها الافكار الحرة، وهي التي ستكون خير ضمان للحقوق القومية، وكذلك تأسيس العمل المنظم لادارات الولايات ، الامر الذييفيدمنه الأرمن كما تفيد منه بقية شعوب الامبراطورية على المستوى نفسه والمقياس ذاته[٤٤] » .

يتجلى من مجموعة التصريحات والنتائج والاقوال والقرارات المقـابلة التي صدرها مؤتمر الأحرار العثمانيين ، ان عدداً من القوى كانت تعمـل لاغراض متعارضة ، وهذا أمر كان منتظراً . ان الاقليات القوميـة في الامبراطورية لم يكن لديها ما تفقده ان هي طلبت التدخل الأجنبي في شؤون تركية ، لذلك كانت راغبة جداً في تأييد اي طلب لعمل كهذا . أما الأقليات المسيحية ، التي تتمثل بالارمن ، فلم تشعر بأية صلة بالاسرة الحاكمة التي كانت تركية ومسلمة ، فكان من الصعب على نوابها الاقتناع بمجرد الأمل الغامض بان تصبح في المستقبل اكثر استساغة لانها سيكون لها دستور تسير بموجبه . أمـا الاقليات المسلمة ، كالالبان المسلمين ، فكانوا قد بدأوا يشعرون باثر القومية ايضاً ، غير ان آمالهم كانت أضعف ، نظراً لانهم يتمتعون بمعاملة أحسن مما كانت تعامل به الاقليات المسيحية ، ولانهم يرتبطون بالاسرة الحاكمة برباط ديني يعوز الاقليات المسيحية. وكان يمثل هذا الولاء المزدوج رجال أمثال اسماعيل كمال بك . وقد استفـاد عبدالحميد من الالبانيين في المراكز الحكومية الى درجة كبيرة .

وسط كل هذا التشويش وقف صباح الدين الذي بدأ يكون فكرته عن « اتحاد عثماني » يكون فيـه لمختلف قوميـات الامبراطورية قسط كبير من الحكم الذاتي ، وتبقى فيه الاسرة الحاكمة رابطاً عاماً . وكان في اقصى الطرف الآخر أحمد رضا ورفقاؤه الذين كانوا ، كما بينا ، يمثلون القومية التركية التي لا تقر بشيء سوى ان السلطان الحاكم هو مصدر الشر ، وترى ان كل شيء يتوقف علاجه على استبداله بعضو آخر من نفس العـائلة ، وإعادة الدستور الذي كان قد عطل سنة ١٨٧٨ . أما السلطان الجديد فسيكون بالطبع خليفة ايضاً ، بكل ما لهذا المنصب من متطلبات ، أما الاقليات المسيحية فلم يكن لها الا أمل ضئيل جداً في ان تنعم بما يشبه المساواة في ظل هذا النظام .

لم تكن هذه الآراء جديدة ، فقد عبر عنها مراد بك في سنة ١٨٩٧ قبيـل انقلابه على اهداف تركية الفتاة ، وكان أحمد رضا يتفق تماماً مع مراد في هذه الافكار الأساسية (٤٥) ، كما كانا يتفقان في فكرة كبرى اخرى – وهي ان

الدول الاوروبية مسؤولة مباشرة عن كثير من التفكك والاضطراب في تركية .

ليس من العجيب ان يظهر الاختلاف في المؤتمر نتيجة لكل هذه العوامل . ويبدو للمرء ان صباح الدين ، بعواطفه السامية وافكاره الراقية ، كان شاباً نابهاً ولكنه لم يدرك تماماً مدى تعقد المشكلة التي جابهها . ولعله كان يجول بفكره انه اذا اتفق مع الارمن في ذلـــك الوقت ، سيجلبهم الى الحظيرة في الوقت المناسب . والراجح انه كان يتقرب من اللجان الارمنية . أما عن جماعة « مشورت » فيبدو انه خاصمهم بلا ضرورة ، خاصة بعد قبوله وجهات نظر الارمن ، وشقة الخلاف هنا اوسع .

والواقع انه كان على جميع المسهمين في المؤتمر ادراك القضيـــة الرئيسية في طريق الوحدة ، الا وهي مسألة التدخل الأجنبي ، وليس ثمة مبرر لجماعـــة « مشورت » في ان يعتبروا اقحام هذا الموضوع الى المؤتمر « لغماً » مفاجئاً ، لان مشاعر أغلبية المؤتمرين كانت معروفة جيداً (٤٦) . ففي أيلول (سبتمبر) ١٩٠١ مثلا ايد الأرمن اسماعيل كال بك تأييداً صـــادقاً لما مدح فرنسة في رسالة بعثها الى صحيفة الماتان (Matin) لقطعها العلاقات الدبلوماسية مع تركية وذكر فيها ان كافة العثمانيين ، دون استثناء ، كانوا مستعدين لقبول اي عمل قد تقوم بـــه فرنسة لضمان قيام حكومة امينة وانسانية في تركية (٤٧) . وقد كان رد الفعل عند احمد رضا عنيفا آنذاك ، فلا مبرر لدهشته من مواجهة مثل هذا الموقف في في المؤتمر .

غير انه من جهة أخرى ، كان لا بد ان تكون آراء احمد رضا معروفة جداً ايضاً للذين قالوا بأنه قد بدل اراءه عندما نشر استنكاره للتدخل . فبول فيش Paul Fesch في كتابه Constantinople aux derniers jours d'Abdul-Hamid يؤكد ان « مشورت » « كانت دائماً تؤكد التدخل »(٤٨) ، مع ان احمد رضا يبدو متشوشاً احياناً حول ما يعنيه التدخل ، ولكنه في نفس الوقت لا يصح اعتباره في صنف المؤيدين للتدخل (٤٩) . ولو عالج صباح الدين المشكلة بطريقة أكثر واقعية ، لربما امكن تجنب الكثير من الاختلاف .

وغاية ما في الامر فيما يتعلق بهذه المسألة انها قضية اكاديمية صرفة ، وقد كانت آنذاك كذلك ، وكان بامكان المندوبين في المؤتمر اعتبارها كذلك . كان في مقدورهم تكوين لجان وتعيين مندوبين وتقديم مطالب بالقدر الذي تهواه قلوبهم ، ولكن مسألة الشرق الادنى القديمة كانت ستبقى قائمة . فقد حاول الارمن هذه الاساليب لسنوات وانتهوا الى ان الامر يحتاج الى خطى اعنف. فقد تستدر العطف اية جماعة تتشكى من مظالم عبد الحميد ، الا ان هذا يختلف تماماً عن الحصول على تدخل دبلوماسي قد تستلزمه معالجة الحالة فروسية وحدها تستطيع ان تقف ، وستقف بوجه اية محاولة لحل المشكلة بما يخالف شروطها التي إن لم تحصل عليها فسترضى بعبد الحميد ، ولا تهتم بما يفعله برعاياه .

فالنتيجة الملموسة الوحيدة للمؤتمر اذا هي نتيجة سلبية — وهي ان اختلاف الرأي بين صباح الدين وأحمد رضا انقلب الى انشقاق ، وقبع كل من عضاء تركية الفتاة بباريس في جحره. وقد انشئت صحيفة جديدة باسم جمعية الاتحاد والترقي ، ووضعت ادارتها بيد كل من محمد علي فضلي باشا ، وهو احد اعضاء الاسرة الخديوية المصرية ، وأحمد رضا وسلانيكلي ناظم افندي وسيزائي بك واحمد صائب بك (٥٠) . وقد سميت هذه الصحيفة « شوراي امت » (٥١). اما صباح الدين ، فعلى ما يقول احد المعجبين به ، ادرك قلة استعداده للقيام بدور زعيم الحركة المناهضة لعبد الحميد ، فبدأ يكرس نفسه لدراسة « العلوم السياسية والاجتماعية » (٥٢) .

ويبدو ان صباح الدين بعد ادراكه ان الكلمات هي كلمات فحسب ، صار يشعر بوجوب السير قدماً في الكفاح ضد عبدالحميد ، لذلك ، على ما يقول اسماعيل كمال بك ، اتفق على اعداد ثورة في الامبراطورية العثمانية ، مع ذلك الرجل الشريف الذي خاب ظنه ايضاً بسبب عدم الاتفاق في المؤتمر (٥٣) . ولا بد ان هذه الاتفاقية تمت قبل نهاية سنة ١٩٠٢ لأن وفاة الداماد محمود باشا في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٣ حدثت ابان الاستعدادات لها .

اما الخطة التي رسمت فكانت بسيطة حيث تم الاتصال بالمشير رجب باشا ،

وهو الباني كان قائداً للقوات التركية في ولاية طرابلس الغرب فوافق على القيام بالعملية التي كانت تتطلب نقل قسم من جيشه الى سلانيك ، ومنها يدعو ابناء امته الالبان لمساعدته ، او ان ينقلها الى بعض الاماكن الستراتيجية كبولاير على خليج ساروس ، وبذلك يتمكن من الاستيلاء عليها والسيطرة على الدردنيل. لقد اعتقدوا ، على ما يقول اسماعيل كمال ، ان هذه الحركة ستلفت انظار اوروبة وتضغط على السلطان الذي كان يمكن اخافته بسهولة، فيضطر الى الموافقة على ما يفرض عليه من شروط .

ويستمر اسماعيل كمال في روايته فيقول انه بعد ان ضمن وعداً من رجب باشا بالتعاون ، عرض الخطة بكاملها على السر ادموند مونسن ، السفير البريطاني في باريس . وبعد ان فكر هذا في الامر ، زوده برسائل الى وزارة الخارجية البريطانية ، فأخذها معه حالاً الى لندن ، غير ان اللورد لانسداون ، وزير الخارجية البريطانية ، كان خارج لندن في ساندرنغهام مع الملك الذي كان يستضيف امبراطور المانية . ويقول اسماعيل كمال انه « بالرغم من غيابه فقد لقيتُ نفس الدقة والسرعة اللتين اظهرهما السر ادموند مونسن » (٥٤) .

ويروي اسماعيل كمال :

« وفي اليوم التالي دعاني اللورد ساندرسن ، الوكيل الدائم لوزارة الخارجية، لمقابلته في داره الخاصة ، فقدمت له توضيحات مفصلة عن مساق العمل الذي نقترحه ، وطبيعة الحماية التي نطلبها من الحكومة البريطانية ، وهي مجرد حمايتنا من اي عمل قد تقوم به روسية لمنع نجاح عملنا الوطني . وقد وعد اللورد ساندرسن ان يتصل برئيسه ويبلغني قراره . وبعد أقل من يومين استلمت دعوة ثانية من الوكيل الدائم للذهاب الى داره ، حيث قرأ لي الرسالة التي كتبها له اللورد لانسداون حول الموضوع ، وفيها يعطي وعداً بالتأييد اللائق بالسياسة التقليدية البريطانية العظمى ، رغم انها كانت محوطة بالتحفظ الطبيعي ، فكون الانقلاب لما يقع بعد أملى ذلك عليه . وقد شجعني هذا كثيراً ، وبموافقة من اللورد ساندرسن أخذت نسخة من رسالة الوزير، وكانت مكتوبة بالفرنسية،

عرضها على زملائي في العمل »[٥٥] .

ثم ذهب اسماعيل كمال من لندن إلى القاهرة حيث قابل ، طبقاً لترتيب اعده مع اللورد ساندرسن ، اللورد كرومر ليعرفه بالوضع . ويقول « ان كرومر ادهشني عند اجتماعاتنا بالقاهرة بقوله انه لا توجد الآن مسألة تركية » . غير انه في النهاية اقتنع بان المسألة التركية ليست موجودة فقط ، بل ان من مصلحة بريطانية العظمى ان تراها وقد حلت بشكل يخلق تركية قوية وصديقة »[٥٦] .

اما الخطوة التالية التي قام بها اسماعيل كمال فهي انه ارسل أحد مواطنيه واسمه جعفر بريجاني ، إلى طرابلس ليقوم بالترتيبات النهائية مع رجب باشا ، ماهو فقد عاد الى لندن ولما وصل باريس وجد صباح الدين ولطف الله حزينين جداً على فقد والدهما الداماد محمود باشا ، الذي توفي في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٣ . ومع هذا فقد رافقه صباح الدين الى لندن للقيام بالترتيبات المالية للانقلاب المرسوم . ثم قال صباح الدين لاسماعيل كمال بان ثلاث سفن يونانية كانت مستعدة في أثينة تنتظر إشارته فقط للتحرك إلى طرابلس . ويروي لنا اسماعيل كمال بانه انتقل حالاً إلى هناك ، غير انه لما وصل أثينة لم يجد اي استعداد او اي تفاهم على الامور .

لذلك ، على ما يروي اسماعيل كمال بك ، انهار المشروع العظيم « إذ كان علينا ان نبدأ العمل من جديد للحصول على سفن للنقل ، وقد تطلب هذا العمل ، والمفاوضات الأخرى ، وقتاً طويلاً ، فمضت المدة التي يستطيع فيها رجب باشا أخذ جنوده من العاصمة للقيام بمناورات ، وكان الفصل متأخراً » [٥٧] .

يبدو ان الخطوط العامة للقصة التي لخصها اسماعيل كمال بك صحيحة في الاساس ، غير ان الروايات الاخرى للاحداث تلقي على اسماعيل كمال نفسه انواراً لا يبدو من خلالها بمثل هذه الطيبة . أما تفاصيل هذه الروايات فنجدها في كتاب غريب لاسكندر اولار وانريكو انزاباتو Alexander Ular and Enrico Insabato : « Der Erloschende Halbmond : Türkische Enthüllungen » [٥٨] وفي كتاب احمد بدوي كوران : « انقلاب تاريخميز جون

تركلر » [٥٩] .

لا ريب ان اولار وانزاباتو مخطئان في القول بان محاولة الانقلاب كانت سنة ١٩٠٨ ، ولعلهما مخطئان أيضاً في زعمهما ان كلاً من انكلترة والنمسة وايطاليـة واليونان كانت في وقت واحد تمد اسماعيل كمال بالمال . ولعل مما يثير السخريـة تأكيدهما ان صباح الدين « أسهم في الخطة لما وعد بمنصب حاكم عام شبه مستقل على مكدونية »[٦٠] . الا ان كوران متفق تماماً على ان اسماعيل كمال بك تلاعب بالاموال التي اودعت اليه، وانه اتصل بكل انواع الناس، بما فيهم خديوي مصر وملك اليونان دون استشارة زملائه[٦١] . وبعبارة أخرى فان الفشل في تنفيذ المؤامرة يعود اللوم فيه الى اسماعيل كمال وحده .

ان ابرز ما في أقوال اسماعيل كمال ، وهي المتعلقة باهتمام بريطانية في الخطة ووعدها بتأييدها ، قد تبدو متينـة الاساس ، رغم عدم تأكيد المصادرالاخرى لها . فروايته عن اتصاله بعدة شخصيات بريطانية تبدو صحيحة لا مجال للتلفيق فيها ثم ان بريطانية العظمى لم يكن لها في سنة ١٩٠٣ مـا تفقده اذا وافقت على ان لا تعرقل انقلاباً سيؤدي فيما اذا تم نجاحه ، الى رفـــع مكانتها في تركية ، وكانت آنذاك قد بلغت اضعف مبلغ . وهناك تفصيل واحد يبدو صحيحـــاً بصورة خاصة ، وهو تصوير اسماعيل كمال للوعد بالتأييد وقد « احيط بالتحفظ الطبيعي فكون الانقلاب لما يقع بعد املى ذلك عليه » .

غير انه فيما عدا هذه الافتراضات ، فان اولار وانزباتو وكوران متفقون الى حد كبير على ان البريطانيين كانوا يعلمون بالمؤامرة وانهم قد ذهبوا الى حـــد الوعد بالقيام بمناورات بحرية لتغطية عبور رجب باشا . [٦٢] ولا حاجة للقول ان المصادر البريطانية ملتزمة الصمت عن الموضوع ، اذ من الصعب ان تعترف امة بتأييدها محاولة فاشلة لخلع حاكم امة اخرى .

ومهما كانت حقيقة الاسباب الخفية التي ادت الى فشل هذه المحاولة الانقلابية فانها كانت زوبعة في فنجان،وكلفت صباح الدين كثيراً من الوقت والمال، ولعلها لو انها اتقن تنظيمها للقيت نجاحاً ، ولكنها انتهت الى حيث تؤول المحـاولات

الفاشلة ، كما اصاب من قبل خطة احداث ثورة في القصر سنة ١٨٩٦ .

لقد ذكرنا سابقاً ان الداماد محمود باشا توفي في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٣ ، وقد جلبت هذه الحادثة هدنة تلقائية بين صباح الدين وأحمد رضا ،ولما نقل جثمان الداماد محمود من بروكسل الى باريس لدفنه في القسم الاسلامي من المقبرة الكبيرة المعروفة باسم بيير لاشيز ، القى رضا التأبين الرئيسي تكريماً لذكرى الرجل الذي كان له من الشجاعة ما مكنه من الوقوف بوجه السلطان .

لم يكف عبد الحميد عن محاولاته لاعادةالداماد محمود الى شواطىءالبوسفور ، ولم ينقطع سيل سفارات السلطان تغمر الداماد محمود الذي قضى فترة قصيرة لم تتجاوز السنتين من الزمن يتنقل من بلد الى آخر نظراً لان مقامه في أية بلد كان يزعج حكومتها ، وكاد منير بك يختطفه قبيل وفاته ، فقد استغل فرصة وجود هذا الرجل على فراش الموت في مرضه الاخير ، فنشر بياناً ادعى فيه ان الداماد محمود قد اخبر اطباءه برغبته في الرجوع الى وطنه ليموت فيه . غير ان صباح الدين عاد من باريس في الوقت المناسب تماماً لشل خطة منير بك ، واستطاع الدماد محمود ان ينطق فيؤكد تصميمه على انه لن يعود إلى تركية ما لم تتحقق الاصلاحات التي ناضل من اجلها [٦٣] .

وحتى بعد وفاة الداماد محمود باشا استمر السلطان في بذل جهوده ، حيث قام بمحاولة يائسة لحمل الجثمان إلى تركية ، ليدفن في تربة الاسرة ، اي في المقبرة الملكية ، وأغرق الأميرين بسيل من الرسائل المزورة على لسان امها ، تلح فيها على تلبية هذا الطلب ، وقدم للحكومة الفرنسية طلباً رسمياً بنقل الجثمان . غير ان صباح الدين وقف موقفاً صلباً « ونزل النواب الاشتراكيون في مجلس النواب الفرنسي الى ميدان المعركة ، وساند الرأي العام والصحف البرنس صباح الدين بقوة ، واضطرت الحكومة إلى رفض طلب السلطان »[٦٤] . اما السلطان فلما رأى الفشل حليف كل مسعى يقوم به ، قام بآخر محاولة رعناء للاساءة إلى ذكرى الداماد محمود بين قومه ، بان اوعز بان محمود تنكر لدين اجداده وهو الان مدفون في إحدى مقابر النصارى[٦٥] .

ان تاريخ حركة تركية الفتاة في السنوات القليلة التالية هو، على وجه العموم، تاريخ تطور مدرستين فكريتين : الاولى يرأسها صباح الدين والثانية كان على رأسها أحمد رضا . أما أفكار أحمد رضا فقد أشرنا اليها بشيء من التفصيل سابقاً ، وأما صباح الدين فانه في الحقيقة لم يبلور افكاره الا بعد المحاولة الفاشلة لتوحيد كافة العثمانيين في مؤتمر سنة ١٩٠٢ . ففي هذا المؤتمر اوضح انه مهتم بجميع الشعوب القاطنة في الامبراطورية العثمانية . وقد رأينا كيف انه بعد المؤتمر ومحاولة الانقلاب في سنة ١٩٠٣ ، انصرف الى دراسة كان يأمل منها ان يهيىء نفسه لفهم أحسن للمسائل التي ينبغي عليه مواجهتها . وقد ظل في السنوات الثلاث التالية ، فيما وصفه فيش في « عزلة تامة تقريبا » [٦٦] .

لا جدال في اخلاص صباح الدين وقد اخذ الامر جداً كل الجد ، كأحمد رضا ، يضاف الى ذلك انه بدا مدفوعا باقوى ما يمكن من المشاعر للالتزامات النبيلة ، لذلك اندفع بنشاط يبحث عن مفتاح لحل المسألة التركية ، فقرأ كتب فردريك لابلاي ، [٦٧] وتأثر بمذهب الاسرة والدين والملكية . كما ان الكتاب الضخم الذي الفه اليزه-ريكلوز (Elisèe-Reclus) باسم الجغرافية العامة الحديثة (Nouvelle Geographie Universelle) استثار خياله اكثر. واخيرا عندما وقع بيده كتاب ديمولان (Edmond Demoiln)عن «سر تقدم الانكليز السكسونيين » (A quoi tient la Superiorite des Angle-Saxons?) شعر بان صلواته من اجل الهدى قد استجيبت . فقد طبع هذا الكتاب لاول مرة سنة ١٨٩٧ وقد اثار اهتماما في فرنسة ، والى حد اقل في انكلترة ، ثم اعيد طبعه عدة مرات في كلا البلدين [٦٨] . يذكر ديمولان ، وهو من تلامذة لابلاي ، في هذا الكتاب بصورة عامة ان التربية في البلاد الانكلو سكسونية تختلف عنها في فرنسة من حيث انها لم تصبح تحضيرا جامدا لامتحانات تقود الى مناصب ادارية محتومة ، كلا بل انها تهيىء افرادا قادرين على مواجهة مشاكل الحياة . ثم ان التربية البيتية ، وخاصة قلة تدخل الابوين النسبي ، كانت ايضا عاملا في انتاج هذه الفردية ، هذا بالاضافة الى ان الفتى الانكليزي او الامريكي يبدأ

حياته وهو غير مثقل بالقيود التي تجعل الطمأنينة والحياة الدقيقة والتنظيم اهم ما يرعيه الرجل الفرنسي .

وقد رأى ديمولان ان الفرنسيين كانوا مثالا «للتشكيل الشيوعي حيث الفرد ، بحقيقة كونه غير مدرب على المبادرة الفردية ، معتاد على الاعتماد على المجموع اكثر من اعتماده على نفسه » ، بينما الانكلوسكسون ، في الناحية الاخرى ، كانوا يمثلون « التشكيل الذاتي حيث الفرد يحافظ بحيوية على استقلاله بالنسبة للمجموع ، وحيث الفرد ايضا معتاد على الارتفاع بفضل مجهوداته الخاصة ، وحيث ، بالاختصار ، يحتل العمل الفردي المكانة الاسمى » . (٦٩)

وقد تابع ديمولان هذا الاتجاه من التفكير خطوة اخرى فتوصل الى الاستنتاج بان هناك عدة انواع مما اطلق عليه « وطنية الدولة » ففرنسة والمانية وروسية وايطالية واسبانية تمثل وطنية الدولة القائمة على الطموح السياسي وهذا يصل اوج تطوره في « المجتمعات التي تتمتع بسلطات عامة واسعة وادارة مركزية » (٧٠) . ويعتقد ديمولان ان مثل هذا التنظيم يقود الى الحرب ، لان المجتمع الذي فيه بيروقراطية واسعة يسيطر عليها الحكام ويتحكمون فيها ، نجد ان الموظفين يميلون الى الا تكون لهم ارادة سوى ارادة الدولة اذ هي التي تدفع لهم رواتبهم . وكثيرا ما يلجأ الحكام في امثال هذه الحكومات الى الحرب كوسيلة للحصول على القوة او للاحتفاظ بها ، وكوسيلة لتحويل انظار الشعب عن المشاكل الداخلية وهكذا .

ويقول ديمولان ان هذا النوع من « وطنية الدولة » (او القومية كما نسميها اليوم) يوجد على النقيض منه نوع تتميز به البلاد الانكلوسكسونية ، وهو « وطنية قائمة على استقلال الحياة الخاصة » وبموجبها يدافع الفرد عن وطنه لحماية حريته الخاصة (٧١) . فالدول ، بالنسبة للفرد ، ما وجدت الا لتسهل استقلاله ثم يضيف ديمولان ، بعبارات قوية تذكرنا بالمناقشات المعاصرة حول الجماعية والديمقراطية ، « انه يختلف عن النوع السابق من حيث انه لا يعتبر الانسان مخلوقا للوطن ، بل ان الوطن مخلوق للانسان » . (٧٢) ثم تابع المؤلف بحثه فقال

ان اوروبة تفككت في العصور الوسطى ، « فقام مكان الوطن الروماني الكبير (Patria) عدد من الاوطان الصغرى (Patries) »[٧٣] . غير ان هذا الشكل من المجتمع اختفى في فرنسة تدريجاً وحلت محله ملكية مركزية ، اما في انكلترة فقد حافظ على وجوده بحيث يمكن اليوم ملاحظته في تلك البلاد ومستعمراتها وفي الولايات المتحدة . ويرى ديمولان ان هذا يتجلى في السهولة التي يستطيع بها الانكلوسكسوني ان يحمل وطنه معه حيثما ذهب ويتخذ من كل بلد توفر له الحرية وطناً . والامر نفسه واضح ايضا في الموقف المستقل للمستعمرات تجاه الوطن الام ، كما هو الحال في الامبراطورية البريطانية ، وفي الشجب التام للروح العسكرية .

ليس هنا مجال لانتقاد كتاب ديمولان ففيه عناصر من الحقيقة ولمحات من النفاذ والعمق ، ولكن من الواضح ان كثيراً من اجزائه مستندة على ملاحظة سطحية بل وفهم مغلوط كلياً ، وهو من عدة نواحي تحليل طيب لنظرة البورجوازية الفرنسية . غير ان المؤلف كان بلا شك يعرف عن امته أكثر بكثير مما يعرف عن الانكلوسكسون «المتفوقين» ومتى اتيح لنا ان نعري آراء ديمولان من صور لفظية كثيرة نجد انها على العموم ترى ان الانكلوسكسونيين بلغوا أعلى عليين لسببين يعتمد احدهما على الآخر : اللامركزية والفردية ، وقد يتفق كثيرون معه في وجهة نظره ، ولكن هذا لا يعني موافقتهم على التفسير الذي قدمه – او لم يقدمه ديمولان – عن كيفية اهتداء الانكلوسكسون الى فرديتهم ، وكيفية تطور فكرة اللامركزية عندهم .

ومهما يكن الأمر ، فقد أصبح هذا الكتاب عند صباح الدين كتاباً مقدساً ، وكما لاحظ المستشرق الالماني كارل هنريخ بيكر ان صباح الدين ، كاحمد رضا ، اصبح له الآن فيلسوفه الذاتي في نفسه ايضاً[٧٤] . فقد تجاهل صباح الدين كما تجاهل ديمولان آثار الجغرافية والبيئة وتاريخ الماضي وجميع العوامل المتعددة الأخرى التي تقرر مصائر اي بلد كان ، ولكنه أخذ بالفرضيات العامة من كتاب ديمولان ، واسس منظمة اطلق عليها اسماً رناناً هو « عصبة الادارة اللامركزية

والمبادرة الخاصة » .

لقد كان غرض « عصبة » صباح الدين ان تقوم باصلاح مـــا اعتبره العيوب الاساسية للامبراطورية العثمانية . فقد اعلن صباح الدين ان الناس في اوروبـة كانوا يعتقدون عموماً ان السلطان وحده مسؤول عن حالة البـــلاد التعيسة ، ولكن مع ان السلطان قد قام باعمال مدمرة لامبراطوريتـــه ، إلا ان الشعب ايضاً مسؤول الى حد ما لانه مستسلم بخنوع . فلا بد اذا اريد انقاذ البـلاد من تشخيص سبب هذا الاستمرار في الاستسلام ، هـذا الضعف الاجتماعي ، ولا شك ان « الدراسة العميقة » للاوضاع ستكشف عن الاسباب الاساسية (٧٥) .

كان صباح الدين يرى ان الدراسة العميقة قد اكتملت ، ورأى ان يوضـــح ذلك فهو يقول « ان لضعفنا الاجتماعي منبعاً اكيداً هو تربيتنـا القومية التي تتميز بانعدام المبادرة الفردية ، » (٧٦) . ثم يتابع كلامه فيقول بأن الطبقات الدنيا لا تملك المعرفة او رأس المال لتحسين اوضاعها ، اما الغالبية العظمى من الطبقات الوسطى فهي تهتم بالوظائف المدنية والعسكرية ، وقد اصبح الموظفون الامناء ذوو الابداع الذاتي مكروهين بسبب الصراع على السلطة ، وفي مثـــل هذا النظام يعمل كل شيء لابقاء الفساد والفوضى اللذين يميزان الادارة ويمتدان حتى الى الحياة الخاصة .

وقد شعر صباح الدين انه ينبغي لازالة هذا الخطر الاعتماد على شباب تركية المتعلمين وعلى اولئك الذين اخذوا انفسهم بشيء من المدنية الغربية ، لينصرفوا بكل طاقتهم الى « الاعمال المستقلة والمنتجة » كيما يقدموا للشعب نموذجـــاً يقتدى (٧٧) . « غير ان سلطان المركزية الحكومية المسيطر هو عقبة دائمة في طريق تحرر الفرد ، لذلك ينبغي علينا جميعاً ، ومن دون اي تمييز ، ان نوحـد قوانا لنحل ملكية دستورية لا مركزية محل الحكم الفردي المطلق » . (٧٨) وهو يرى ان مثل هذا النظام اللامركزي سيرضي امال الجميع ويضمن حقوق المسلمين والنصارى على السواء للاسهام في الحكومة المحلية ، وبالاضافة الى ذلك سيقدم للمسلمين خدمات جلى باقصائهم عن اوساط الوظائف الحكومية غير المنتجة .

وتبعاً لهذه الآراء يضع صباح الدين خطة للعمل مكونة من اربع نقاط كالآتي:

« (١) نشر تذوق الدراسات الاجتماعية بين الشعب التركي كيما تستثير روح المبادرة وتؤدي الى اللامركزية في الادارة .

« (٢) البحث عن الوسائل الموصلة الى ائتلاف مختلف الاجناس التي تكون الامبراطورية العثمانية .

« (٣) الحفاظ على حقوق العثمانيين في البلاد التي عرفت من المدنية الحديثة حظاً اكبر ، وتكوين رأي عام في مصلحتهم هناك .

« (٤) انشاء جمعيات ولجان في داخل البلاد للعمل على تحقيق هذا المنهاج ، والوقوف بوجه اية محاولة قد تقوم بها قوة ظالمة لعرقلته وتعطيله »[٧٩] .

ولما كان اي حزب لا يتم وجوده ما لم تكن له صحيفة تعرض آراءه ، فقد انشأ صباح الدين في سنة ١٩٠٦ صحيفة « ترقي »[٨٠] ، وعهد بادارتها الى أخيه بالتبني أحمد فضلي بك (فضلي تونغ) ، وهو من الطلاب القدامى في الكلية العسكرية في القسطنطينية ، كانت المحكمة العرفية الدائمة في طاش قشلة قد حكمت عليه بالموت ،غير انه ، كعدد من رفقائه ، ابدل حكم الاعدام عليه بالنفي إلى طرابلس الغرب ، ثم استطاع ان يهرب منها وينضم إلى الجالية التركية النامية في باريس . وبالاضافة إلى واجباته في تحرير « ترقي » فقد عمل كسكرتير عام « للجنة اللامركزية الادارية والمبادرة الخاصة » التي انشأها صباح الدين[٨١] .

من ملاحظات صباح الدين العامة ، ومنهاجه الخاص للعمل ، يتضح بما لا يقبل الشك مدى قبوله الكلي لافكار ديمولان ، وإلى أي حد كانت معرفته الأساسية بالمشكلة التركية سطحية . ان من السهل ان نفهم كيف يمكن ان ينخدع بمناقشات ديمولان ، ولكن من الصعب ان نولي تعمقه الفكري وتبجحه اي تقدير ، عندما نلاحظ كيف أخذ نظرية ديمولان العامة ببساطة وطبقها بكاملها على امبراطورية تقوم على مستوى حضاري مختلف تماماً ، كما أشار هو بنفسه . وربما كان بمقدوره ان يضيف انها امبراطورية تختلف تماماً في أساسها وفيما تواجهه

من المشاكل المستعصية الحل[٨٢]. انه لا يراعى في منهاجه قط التعقد الهائل الذي يتجلى في الاسلام، وهو عامل لم يكن يهم ديمولان في كتابته عن الانكلوسكسون. كما ان صباح الدين لا يظهر في اي جزء من منهاجه ادراكه للقومية على انها قوة مفككة ، رغم ان الارمن قد جلبوا بالتأكيد انتباهه إلى هذه المسألة في سنة ١٩٠٢ . فمن الواضح ان كل منهاجه قائم على احكام متسرعة ، وان المرء ليميل إلى الاستنتاج بان حياته الأولى في تركية لم تتح له قط فرصة لدراسة بلاده ، وان تربيته قد جعلته اوروبياً اكثر منه تركياً .

على انه مما يستحق التقدير تصميم صباح الدين على إيجاد وسائل تقرب مختلف شعوب تركية من بعضها البعض . ان فشله في تحقيق هذا الأمر لا يرجع إلى تقصيره فقط ، فانه لم يستطع أحد حتى اليوم التغلب على الأحقاد والعصبيات القديمة . ومما يستحق التقدير ايضاً ما أشرنا اليه سابقاً من تصميمه على ضمان المساواة في المعاملة بين جميع شعوب الامبراطورية ، ومعارضته لعبدالحميد معارضة لا هوادة فيها . غير ان الطريقة التي اقترحها لدفع روح الفردية والمبادرة في امبراطورية العثمانيين المحتضرة لا تستحق التقدير لانها كانت ضحلة غير عميقة ، إذ كيف كان يؤمل «ان ينتشر بين الشعب التركي التذوق للدراسات الاجتماعية » عندما كان معظم هؤلاء فلاحين اميين يناضلون في سبيل عيشهم ؟ ان هذا اللغو اللطيف يميل إلى تأييد الافتراض المنطقي بان صباح الدين عاش حياة مغلقة في القسطنطينية ، وانه إذا كان قد خرج من تلك المدينة ، فانه لم يذهب إلى غير قصور الاسرة القريبة في جمليجة وكوروجشمة .

اما فيما يتعلق بالنقطة الرابعة من منهاج صبـاح الدين ، فمن الصعب ان نقول ، استناداً الى الادلة المتوفرة لدينا ، الى اي مدى استطاع ان يتقدم في تنظيم (عصبته) ولجانه في داخل تركية . اما فيش فانه عند اشارته الى هذا الأمر ، يبدي صمتاً ذا معنى ، ولكنه ينطلق بعد ذلك ليقول « كل ما استطيع قوله هو ان هذه الجماعات وجدت في المدن الرئيسية للامبراطورية العثمانية ، وحتى في أواسط آسية الصغرى»[٨٣]... ثم يضيف الى ان هذه «الجماعات» كانت

نشطة لدرجة انها ازعجت السلطان بعض الشيء . غـــير ان هذه مسألة من الضروري ان نعود اليها في فصل تال ، ويكفي ان نقول هنا ان ليس من المستحيل ان تكون للثورات التي حدثت في الاناضول في سنتي ١٩٠٧ و١٩٠٨ بعض الصلة بـ « عصبة اللامركزية الادارية » التي انشأها صباح الدين ، لان جمعية الاتحـاد والترقي ، كما سنرى ، تكاد تكون قد قصرت نشاطها في هذه الفترة على تركية الاوروبية .

وهناك امر آخر أثار نفور النـاس من صباح الدين ، الا وهو عطفه المزعوم على الكثلكة . وهذه المزاعم يرجع اساسها الى حد كبير الى كون فيش قس كاثوليكي . بل ان إحدى الروايات تذهب الى حد اقامة صلة بـــين صباح الدين وآل اورليان ، بواسطة فيش ، وقيل ان هذه الصلة لها كل الملابسات الشائنة ، بما في ذلك الارتباط مع فردناند البلغاري وهو « الملك الوحيـــد من آل اورليان » [٨٤] . والواقع ان الكاثوليك الفرنسيين بالغوا في اعزاز صباح الدين، ولكن اتهامه بالارتباط بالفرنسيين الذين يعتنقون المذهب الكاثوليكي امر سخيف، إذ كان لا بد ان يكون واضحاً ، حتى لنقاد صباح الدين ، ان الفرنسيـين هم في أغلب الاحيان كاثوليك . أما فيما يتعلق بفيش فلا حاجة للبحث عن دوافع شائنة فيما كان يبدو ميلاً طبيعياً لابقائه على علاقات طيبة مع رجـل أبدى عطفه على الاقليات المسيحية في الامبراطورية العثمانية . وقد ازداد الاحتمال في ان ينتهي أجل عبد الحميد ، وانه يقتضي بعد ذلك ان يكون لصباح الدين نفوذ في تركية، وهذا يعني الطبع انه قد يصبح ذا فائدة كبرى للكاثوليـك الفرنسيين ، بصرف النظر عما اذا كانوا يعملون باعتبارهم فرنسيين او كاثوليك ، لان فرنسة كانت الحامية التقليدية للكاثوليك في الشرق الادنى والديار الشامية ، وأقصى مايعنيه صباح الدين للكاثوليك (وللفرنسيين) هو انه اذا تحققت مقترحاتـــه حول اللامركزية ، فان نفوذهم في سورية ولبنان سيزداد قوة [٨٥] .

لم يظهر البرنس لطف الله ، الاخ الاصغر لصباح الدين ، في هذه الصفحات كثيراً ، وهذا راجع الى حد كبير الى ان صباح الدين ، باعتباره رأس الاسرة ،

كان الزعيم المعترف به للاسرة والمتحدث باسمها . وقد عاد لطف الله بعد وفاة الدامادمحمود باشا بأمد، بموافقة صباح الدين على ما يبدو، الى القسطنطينية متخفياً، لتعزية امه سنيحة سلطانة ، ولكنه تألم لما رأى عند وصوله الى القسطنطينية، ان ضباطاً من القصر كانوا في استقباله . وهكذا عاد لطف الله من جديد يقيم على ضفاف البوسفور . ولنا ان نفرض ان امه اصبحت سعيدة بذلك ، اما عبد الحميد فيبدو انه قد سر بأن يكون أحد ابني اخته المنشقين وقد اصبح رهن بنانه من جديد ، لذلك لم يثر مسألة الحكم بالاعدام الذي كان قد صدر من قبل على الاميرين وأبيهما [٨٦] . ثم أرسل السلطان الامير لطف الله في حزيران (يونيه) ١٩٠٦ الى باريس لاقناع صباح الدين بالعودة ايضاً ، ولكن يبدو انه لم يبذل جهداً كبيراً لانجاح مهمته ، وعلى أي حال ظل صباح الدين ثابتاً في موقفه [٨٧] .

وفي السنوات التي قضاها صباح الدين في التأمل والدراسة ، كان أحمد رضا بك ، القائد الثاني البارز لتركية الفتاة في المنفى ، مستمراً في حربه مع السلطان بلا هوادة ، شأنه منذ هروبه من تركية ، واستمرت « مشورت » تنفذ الى الامبراطورية ، ولا ريب انها كانت اداة لابقاء شعلة حركة تركية الفتاة متقدة طوال الفترة التي كان بالامكان اطفاؤها . ومن المهم ايضاً ان أحمد رضا وزملاءه كانوا محتفظين باسم الجمعية الأصلي « الاتحاد والترقي » الذي قدر له ان يعود الى الحياة بعد أمد غير طويل .

لقد كان أحمد رضا ، كما بينا ، تحت تأثير قوتين رئيسيتين : فلسفة اوغست كومت « الوضعية » والقومية التركية . وقد وصف جون ماكدونالد أحمد رضا بالكلمات التالية :

« لا بد ان يمر زمن طويل قبل ان ينسى زملاء رضا بك « برلمانات التبغ » التي كانوا يعقدونها في شقة صغيرة وسخة في ميدان مونج (Place Monge) الموحش على مقربة من الحي اللاتيني في باريس ، حيث كان يخطط الثورة ابان السنوات الطويلة التي كان خلالها منفياً ، وحيث كان يطبع صحيفته الصغيرة « مشورت » ، وينظم تهريبها ، بالرغم من جواسيس عبدالحميد ، إلى كل بلد وإلى

كل مركز للجيش في ارجاء الامبراطورية كافة . لقد كان اصدقاؤه في باريس ، وكثير من ابناء وطنه المقيمين في العاصمة الفرنسية ، يعتبرونه رضا الحالم ، ورضا المتنسك ، والدارس للفلسفة وتابع اوغست كومت ، وكان لا يرى على خير حالاته الا برفقة اصحابه في العلم والادب. ان قولته: يا ايها العثمانيون غير المسلمين – يا ايها المسلمون العثمانيون ، تحوي خلاصة تامة لبرنامجه السياسي . لقد كان المثل الاعلى لهذا الحالم ، هو مزج كافة اجناس الامبراطورية ، المسلمين والنصارى ، في أمة واحدة ، لها حكومة مركزية على الطراز الفرنسي ، وامبراطورية عثمانية جديدة ، مكونة من توحيد جميع الأجناس ، تحميها قوتها العسكرية من التدخل الأجنبي »[٨٨] .

ان احمد رضا ، باعتباره مؤيداً طيباً للفلسفة الوضعية لم يكن مسلماً صالحاً ، لان اوغست كومت لم يكتف فقط باعادة تنظيم العالم لاتباعه ، بل وضع لهم ايضاً تعاليم خاصة بالدين .[٨٩] لقد كان دين الانسانية ، الذي ينادي به كومت في هذه الفترة التي ندرسها ، له عدد كاف من الاتباع في فرنسة ، يقودهم بيير لافيت (Pierre Lafitte) الى ان مات في سنة ١٩٠٥ ، وفي انكلترة كانوا بقيادة فردريك هاريسون (Frederic Harrison) بحيث كانوا يقيمون شعائر دينية منتظمة. ومع هذا فقد صرف احمد رضا كثيراً من الوقت والجهد يدافع بقوة لا عن الأتراك فحسب بل عن دينهم ايضاً اي الاسلام . وقد استطاع ان يقنع نفسه بان الاسلام يشبه فلسفة كومت أكثر من اي دين آخر ، وأعلن في الدوائر « الوضعية » عن رأيه بان الاسلام لهذا السبب مستعد اكثر من اي دين آخر ، لتكييف نفسه لفكرة كومت القائلة بالدين العالمي الذي مركزه باريس شأن مبتدعات كومت الاخرى [٩٠] .

ان الدليل على ان أحمد رضا كان تركياً اولاً «ووضعياً» ثانياً ، وان تهجمات بعض ابناء وطنه كانت ظالمة هو انه قضى معظم وقته في دائرة « الوضعيين » يدافع عن بلاده. فصفحات « المجلة الغربية» (Revue Occidentale) وهي صحيفة الوضعيين الفرنسيين ، (وكذلك مجلة Positivist Review الانكليزية الى حد ما ايضاً)

مملوءة بدعوته إلى وجوب فهم افضل لتركية والاتراك . ففي سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ مثلاً اشترك احمد رضا بنقاش حاد على صفحات Revue Occidentale مع زميل له « وضعي » كان يرى ان تفكيك الامبراطورية العثمانية ضروري ، ولا مفر منه . ثم ذر الملح على الجرح بان أصر على ان الأتراك لم يكن لهم اطلاقاً اي تراث يفخرون به في الميادين الأدبية او العلميـة او غيرها [٩١] . ولم يسمح رضا لحبه لاخيه « الوضعي » ان يمنعه من الرد عليه رداً عنيفـاً ، واستمرت المساجلة بينهما أشهراً دون نتيجة ، واخيراً أخذ رضا يعبر عن أسفه انه بعد كل ما فعله لجعل الفلسفة « الوضعية » محببة لابناء وطنه ، يلاقي موقفاً عدائياً ضد ضد الترك على صفحـات Revue Occidentale [٩٢] . ثم انتهى الجدل ، ولكن بعد ان اظهر احمد رضا ان النواحي العالمية من الفلسفة الوضعية لم تتغلب على قوميته التركية العميقة الجذور .

ان نظرة خاطفة تلقى على برنامج احمد رضا حول مستقبل تركية تظهر لنـا مدى عمق اختلافه مع صباح الدين . لقد كان ، كصباح الدين ، يطلق كلمـة « عثماني » كثيراً على افراد سكان الامبراطورية ، سواء كانوا مسلمين او نصارى ، غير ان هذه الكلمة في قاموس رضا لم تكن تعني فرداً له « مواطنة فوق القومية » بقدر مـا كانت تعني شخصاً اذا لم يكن تركياً فيجب ان يصاغ بشكل قريب الشبه به . وكان رضا ، كصباح الدين ، يرى ان الاسرة « الحاكمة » قوةموحدة ، ويريد ان يقيد السلاطين بالدستور ، ولكنه كان يختلف تمامـاً عن صباح الدين ، من حيث انه يدعو الى حكومة مركزية يديرها « عثمانيون » صالحون والذي يعنيه بذلك طبعاً ، الاتراك الصالحون .

ويروي لنا الدكتور ابراهيم تيمو في مذكراته انـه اقترح مرة على احمد رضا ان تجتمع جماعـة من تركية الفتاة اسبوعياً لتقديم ابحاث عن مختلف نواحي الاصلاحات التي يناضلون من اجلها جميعاً . ويقول ان الاقتراح قبل ، وان تيمو القى بحثاً عن التربية اوصى فيـه ان تساند الدولة التعليم الديني للاقليات . ويروي تيمو ان هذه التوصية قابلها احمد رضا وزملاؤه ببرود لدرجة ان احداً

لم يتحدث قط في هذا الموضوع بعدئذ . ويلاحظ انه لم يستطع اقناع رضا بانه مستحيل ان يسكب احساس التفاني الوطني في نفوس الاقليات ، ما لم يكن مستعداً لشيء من التساهل في الوقت نفسه[٩٣] .

لقد كان احمد رضا فخوراً بكونه تركياً ، شاعراً بان مجد الامبراطورية العثمانية السابق قد انتهى امره ، إلا انه كان يعتقد ان فرصة اعادته لما تفت بعد. لقد كانت اوروبة مسؤولة عن كثير من الاضطراب ، غير ان الحكام الرديئين زادوا الاحوال سوءاً ، فاذا اصلحت هذه الاخطاء ، ودعي رعايا مختلف القوميات لينضموا او ليصبحوا اتراكاً ، سواء شاءوا أم ابوا ، فان جميع الامور ستتحسن . لقد كان يعلن دائماً ان الاتراك بحاجة الى العطف لان جميع الاقليات الاخرى لها من يحميها فاذا وجدت حكومة جيدة ومعاملة طيبة ، كما يتصورها ، فسيزول كل لغو عن اللامركزية وغيرها من الأمور السيئة. وهو يقول « ان الحكم الذاتي خيانة ، لان معناه الانفصال . ان اخواننا المواطنين النصارى سيصبحون مواطنين عثمانيين، ولن نظل فاتحين وعبيداً ، بل امة جديدة من الاحرار »[٩٤].

تلك هي اذا حالة تركية الفتاة في باريس في سنة ١٩٠٦ وهي السنة التي بدأت فيها تركية الفتاة تقيم بناءها من جديد في داخل الامبراطورية العثمانية . لقد كان صباح الدين واحمد رضا ابرز قائدين للحركة في المنفى . أما صباح الدين، فكما رأينا ، لم يكن كاحمد رضا يمثل القومية التركية التي كانت أشد قوة متنامية في داخل الامبراطورية . ولعل صباح الدين كان متقدماً جداً على عصره ، او لعله ، وهو الارجح ، لم يكن بالعمق المؤمل منه[٩٥] . وعلى أي حال فان حلّه للمشكلة التركية لم يقدر له ان يوضع موضع الاختبار . اما احمد رضا فبالرغم من ضيق نظرته ، وعدم تسامحه مع الآراء الاخرى، وتقييده نفسه تقييداً عقائدياً ، فقد كان اقرب الى روح العصر ، رغم انه لم يشعر بذلك . لقد كانت القومية في الجو ، وهي تميل وخاصة في ادوارها التكوينية ، لان تصبح ضيقة النظرة عقائدية ، ولا تتسامح مع الآراء المخالفة لها . وسنرى في الفصل الآتي كيف سادت هذه الروح في النهاية وتتوجت بثورة تركية الفتاة في سنة ١٩٠٨ .

الفصل الرابع

إحياء حركة تركية الفتاة في داخل الامبراطورية. ـ ضم الجهود مع المبعدين ـ المؤتمر الثاني للأحرار العثمانيين ـ انتشار الحركة ـ الثورة .

في تموز (يوليه) سنة ١٩٠٨ اندهش العالم لسماعـه ان الجيش الثالث التركي الذي كان مقره في مكدونية قد ثار على حكم عبد الحميد الطاغية ، وان السلطان اجبر على اعادة دستور سنة ١٨٧٦ . ثم تتابعت الاخبار ان هذه الثورة التي لم يسفك فيها دم ، ادارتها جمعية سرية تدعى جمعية الاتحاد والترقي [١] ، فاستنتج معظم المراقبين ان النجاح اخيراً قد توج العمل الصبور الذي كان يقوم بـه منذ سنوات احمد رضا ورفقاؤه ، خاصة وان رضا عـاد بعدئذ الى القسطنطينية ليصبح اول رئيس لمجلس النواب التركي الجديد .

ولكن الحقيقة ان الجمعية السريـة التي اثرت في الجيش الثالث وعجلت بالثورة ، لم تكن في بدايتها مطلقا ، فرعا لاية منظمة من منظمات تركية الفتاة في المنفى في اوروبة ، كما لم تكن الوريث المباشر للمنظمة الاولى لتركية الفتاة التي انشئت في الامبراطورية العثمانية .

لقد رأينا انه في صيف سنة ١٨٩٧ انهار كل النشاط المنظم لتركية الفتاة في داخل الامبراطورية ، وهذا لا يعني طبعا ان الصفوف الجديدة من الطلبـة في

مختلف المدارس العسكرية في القسطنطينية لم يشعر اي منها باثر الافكار الجديدة والمؤثرات التي كانت تتعرض لها باستمرار ، غير ان المحكمة العرفية الدائمة كانت تنعقد بالقرب منهم في طاش قشلة ، فاذا ما بدا من بعض جماعات الطلبة ما يدل على رغبتها في تنفيذ ما يجول في اذهانهم فان جواسيس السلطان سرعان ما يصطادونهم ويلقون القبض على المتآمرين بمهارة وخبرة ،ويقدمونهم الى المحكمة العرفية التي كانت دوماً بانتظارهم .

ومن المؤكد ان اية منظمة لهاشيء من الاهمية لم تستطع الحياة في القسطنطينية ابان الفترة التي مرت بين ١٨٩٧ و ١٩٠٧ ومن المشكوك فيه جدا ان تكون قد جرت محاولات لانشاء جمعية .

لذلك فان الخطوات الاولى لتنظيم اللجان العسكرية التي قدر لها التأثير في الثورة ، قامت خارج العاصمة ، وربماقام بهارئيس أول ركن اسمه مصطفى كمال ، وهو الذي صار فيما بعد مؤسس الجمهورية التركية الحاضرة . لقد تخرج مصطفى كمال من كلية الاركان في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ ، والظاهر انه كان ثورياً فعالاً منذ ان كان طالباً ، فقد القي عليه القبض في نفس اليوم الذي تخرج فيه ، ثم أطلق سراحه مع انذار شديد بوجوب الكف عن تصرفاته الصبيانية ، وعين في دمشق حيث وجد عدداً من الرفقاء الناقمين ، فكون معهم في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٦ جمعية سرية تدعى « وطن » (٢) . وكان من زملائه في هذا العمل رئيس أول ركن آخر اسمه مفيد اوزداش (٣) ، وآخر اسمه سليمان بك ، وطبيب اسمه حاجي مصطفى بك (٤) . ولعل هذا الاخير هو المنشىء الفعلي للجمعية ، غير ان مصطفى كمال ، او أتاتورك كما صار يدعي فيما بعد ، هو بالتأكيد عضو مؤسس (٥) .

ثم بدأت الجمعية تمتد من دمشق ، وتأسست لها فيما يظهر فروع في اماكن اخرى كيافا والقدس ، وكان اعضاؤها من ضباط الجيش الخامس الذي كان مقره سورية ، ثم سرعان ما تقرر ان هذه المنطقة لا توفر مجالاً كافياً لنشاطهم ، فاختاروا سلانيك باعتبارها ميداناً اجدى للعمليات .

ربما كانت سلانيك آنذاك اكثر المدن تقدماً في الامبراطورية العثمانية ، لان الاوروبيين في سكانها المنوعين كانوا اكثر من العثمانيين ،وكان نصف سكانها تقريباً من اليهود السفارديين الذين لقوا منذ زمن بعيد في تركية الاسلامية تسامحاً دينياً لم توفره لهم اسبانية المسيحية ، وفي القرن السابع عشر اسلم عدد منهم مع رئيسهم شبتاي سيوي ، الذي اعتبر نفسه مسيح ازمير ، ثم صاروا يدعون منذ ذلك الحين الدونمة [٦] . وبالاضافة الى ذلك كانت توجد جماعات كبيرة تمثل كل قومية في البلقان ، وكان مستوي التربية العام ارقى بالتأكيد من مستواه في تركية الاسيوية .

ان قرب مكدونية من اوروبة ، وتعقد مشاكلها التي تنعكس آثارها في كل الامم البلقانية ، وبصورة غير مباشرة في جميع الدول الكبرى بشكل من الاشكال . كانت من الاسباب التي جعلت هذه الدول الكبرى تضعها تحت الرقابة ، فقد فرضت على السلطان الموافقة على قوة من الجندرمة بامرة ضباط اوروبيين ، كمحاولة لابقاء الحالة الراهنة القلقة ، وهذا زاد من الصعوبات في وجه عبد الحميد في محاولته وقف انتشار الافكار في سلانيك وبقية انحاء مكدونية ، او في ان يمنع بأساليبه الدقيقة المعتادة ، التنظيم الذي كان يعمل بنشاط ضده . [٧] ثم ان السهولة النسبية للاتصال بالعالم الخارجي كانت ايضاً مهمة .

لا يمكن القطع في اي من هذه العوامل او عددها اخذ بعين الاعتبار عندما قررت جماعة دمشق مد دعايتها الى مكدونية ، ولعل العامل الاكبر هو الامل بحرية اوسع للحركة ورقابة اقل ، اما كون سلانيك اكثر اوروبية من بقية انحاء الامبراطورية فلم يعتبر نعمة خالصة لرجال تدفعهم القومية العنيفة ، غير ان شدة التدخل الاجنبي في تركية الاوروبية لا بد وانه كان احد العوامل التي دفعتهم الى التفكير باتخاذها مركزاً لنشاطهم . ومن المعلوم ان الضباط الاتراك الصغار كانوا شديدي الشعور بوجوب انقاذ مكدونية من هؤلاء الاجانب . وطبعاً لما أطلقت الحركة جيداً ، بدأت العوامل الاخرى عملها ، ولم يتردد الضباط الصغار القوميون من الاستفادة من تلك العوامل .

لذلك ذهب مصطفى كمال ، عندما كان رئيساً اول ركناً ، الى سلانيك ، مسقط رأسه ، اما بوصفه منتدباً من جمعية « وطن » او من تلقاء نفسه ، وقد وصلها بعد ان تسلل الى مصر ، ثم توجه منها الى سلانيك عبر اليونان [٨] .

ولدى وصوله الى سلانيك ازداد سروره حيث اكتشف عدداً من المؤيدين ، بينهم عدد من الضباط ذوي المناصب العالية في مراتب الجيش الثالث . وقد شجعه بصورة خاصة جميل بك [٩] ، مرافق الحاكم العسكري ، الذي استطاع ان يخفف عنه الوضع المحرج الذي وجد مصطفى كمال نفسه فيه ، اذ انه جاء من يافا يتمتع باجازة ، قبل ان تصدقها المراجع الرسمية ، فقدم طلباً بالطرق الرسمية ، ومنح اجازة اربعة اشهر لاستعادة صحته .

هذه الاشهر الاربعة صرفت في العمل على تنظيم فرع للجمعية التي كانت قد تأسست في الاصل في دمشق ، وبعد ان تحسس مصطفى كمال طريقه بحذر بالغ ، وجد اخيراً نفسه في وضع يستطيع معه عقد اجتماع لاول جماعة في سلانيك . وحضر هذا الاجتماع الضباط التالية اسماؤهم : عمر ناجي ، وضابط مدفعية يسمى خسرو سامي قزل دوغان ، وحقي بهاء بك وهو زميل دراسة قديم لمصطفى كمال وكان آنذاك من اعضاء الهيئة التدريسية في المدرسة الحربية في سلانيك ، والرئيس الأول بورصه لي محمد طاهر بك وهو مدير تلك المدرسة وابرز شخص في طريقة دراويش ملامي ، ومن الادباء البارزين [١٠] ، واسماعيل ماهر بك مدير المدرسة الاعدادية في سلانيك ، وقد اصبح فيما بعد مندوبا عن بورصه ، ومصطفى نجيب [١١] . ويبدو ان المنظمة وسعت اسمها ، فبعد ان كان « وطن » ، صار في هذا الوقت « وطن وحريت » ثم اقسم الاعضاء على مسدس احدهم ، بالا يتخلوا عن واجبهم قط [١٢] .

وبعد تأسيس لجنة سلانيك عاد مصطفى كمال الى وظيفته في يافا لترتيب اموره . اذ ان جواسيس السلطان صاروا يضيقون عليه الخناق ، وكان اصدقاؤه في يافا يتسترون عليه ، ولما فتح محضر للتحقيق في نشاطه ، كتب آمره كتابا لطيفا الى القسطنطينية يخبرها ان مصطفى كمال ارسل الى العقبة بواجب يتصل بخلافات الحدود التركية المصرية في منطقة سيناء . وبذلك استنتجت السلطات

ان مصطفى كمال الذي وردت عنه التقارير من سلانيك لا بد وان يكون شخصا آخر [١٣] .

وقد احيطت تصرفات مصطفى كمال بعد هذا الحادث برقابة شديدة مدة من الزمن ، ولكنه بدأ رغم ذلك يسعى للنقل الى سلانيك وتم له ما اراد في سنة ١٩٠٧ ، غير انه في هذا الوقت كانت المنظمة التي سيتم على يدها تنفيذ ثورة سنة ١٩٠٨ باسم الاتحاد والترقي ، قد اصبحت قائمة في الجيش ، وكان مصطفى كمال ، رغم عضويته في هذه الجماعة ، واحداً من كثيرين . ان احداث سنة ١٩٠٨ لم ترفعه الى القمة ، كما حدث لانور . نعم انه كان رئيس اركان حرب محمود شوكت باشا في الزحف على القسطنطينية للقضاء على محاولة اخماد الثورة المعاكسة في سنة ١٩٠٩ ولكنه لم يكن قط في موضع السر في جمعية الاتحاد والترقي .

ان الميلاد الحقيقي لهذه المنظمة الأخيرة اذاً ، هو امر لا يتصل قط بالجماعة التي أسسها مصطفى كمال في سلانيك ، رغم ان كلتا الجماعتين سرعان ما اندمجتا ببعضهما كما سنرى . ان هذه المنظمة لم تأخذ في بداية الامر اسم « اتحاد وترقي » بل سميت من الاول « عثمانلي حريت جمعيتي » [١٤] ، وكان اعضاؤها الاول رحمي بك ، الذي أصبح فيما بعد والي ازمير ، وطلعت بك وهو موظف بريد صغير أصبح فيما بعد أحد أعضاء « الثلاثي » الذي سيطر على الحكم في تركية في سنة ١٩١٣ ، واسماعيل جانبولاد بك ومدحت شكري بك [١٥] . ثم انضم الى الجمعية في بدء حياتها اثنان آخران هما العقيد اركان حرب جمال بك – بويوك (الكبير) الذي أصبح فيما بعد جمال باشا عضو « الثلاثي » ، وفتحي بك الذي تولى فيما بعد وزارة الحقانية [١٦] .

بدأت هذه الجمعية تتسع بسرعة كبيرة ، ولم يكن لها مفر من مواجهة الجماعة التي انشأها مصطفى كمال . ويبدو ان طلعت حاول ان يتعرف الى نوايا الرئيس الأول نقي بك الذي كان قد اصبح عضواً في الجماعة الاخرى ، وبذلك اسس اتصالاً بين الجماعتين [١٧] . يصعب ان نقرر متى تم هذا بالضبط ، ولكن يبدو واضحاً ان وقتاً كافياً كان قد مضى حتى تمكنت الجماعة الجديدة من ان تبز الجماعة

الاولى في الحجم وفي الأهمية ، لانه لما اندمجت الجمعيتان زال اسم جمعية « وطن وحريت » تماماً [١٨] .

ان هذه المنظمة الجديدة ، شأن جمعيات تركية الفتاة الاولى ، وسعت نفسها عن طريق الخلايا او الوحدات التي تتكون كل وحدة منها من اربعة او خمسة اعضاء ، وكل من هؤلاء كان ينشىء بدوره وحدة من نفس الحجم ، وبهذه الطريقة كان الشخص الواحد لا يعرف سوى عدد محدود من رفقائه من الاعضاء ، ولذلك لا يستطيع كشف كافة اعضاء الجمعية . وهذا هو انموذج لطريقة تنظيم الكاربوناري ، وهي تشبه الطريقة التي اتبعها الطلاب في المدرسة الطبية العسكرية قبل حوالي عشرين سنة . ولكن ربما حذوا في هذه المرة حذو « المنظمة الداخلية » IMRO للبلغار في مكدونية [١٩] .

وبعد ثورة تركية الفتاة مباشرة ، زار تركية تشارلس رودن باكستون ، وهو احد مؤسسي « اللجنة البلقانية » ، وهي منظمة انكليزية كرست نفسها لمشكلة جماعات الاقليات المسيحية التي تعيش تحت الحكم التركي في البلقان [٢٠] . ولما كانت جمعية الاتحاد والترقي لا تزال تحتفظ بسرية كيانها آنذاك ، فانه لم يستطع الاهتداء الى اعضائها فيما عدا بعض الاشخاص أمثال انور ونيازي ممن كان لا مفر من ان يسطع النور عليهم . غير ان باكستون اخذ فكرة عن طريقة انتماء الاعضاء الى الجمعية ، وعلى اساس معلوماته هذه يبدو ان عضو المنظمة «قد يعرض على الراغب في الانضمام الى الجمعية المذكورة ان يعرفه بسر هام جداً ، ولكن فقط على شرط ان يقسم سلفاً بانه لن يخبر به أي شخص دون رخصة ، فاذا كان مستعداً لذلك ، وبدا جديراً بالثقة ، فانه يحلف اليمين ثم تشرح له افكار الجمعية .

«غير ان المرحلة الثانية هي الاهم ، وكانت تحاط في كل حالة بكثير من اثارة الخوف والجد الوقور . ثم تبلور شكل الدخول الى الجمعية واصبحت له طقوس معينة ، فتعصب عينا الشخص ويقاد الى محل سري لا يعرف موقعه قط ، ثم يحل عصاب عينيه فيجد نفسه في غرفة مظلمة ربما تكون في كهف منفرد في

أحد التلال ، وامامه ثلاثة من الغرباء يلبسون اقنعة سوداء ، وهم الذين يحلفونه اليمين الذي يصبح قاعدة لحياته ، وبعد ان يقسم على السيف والقرآن ، يلزم نفسه بتكريس كل قواه لانقاذ بلاده ، واطاعة كل امر تصدره اليه الجمعية ، ولا يذيع قط اسرارها ، ويقتل اي شخص ، ولو كان قريباً له او عزيزاً عليه ، اذا حكم على هذا الشخص بالاعدام . ثم تعصب عيناه مرة أخرى ، ويعاد الى المكان الذي بدأ منه هذه الرحلة الغامضة .

«ثم يختبر اخلاصه بعد ذلك بفترة اختبار طويلة ،ويراقب الاعضاء سلوكه خلال ذلك ، دون ان يسمح له بالتعرف على اي منهم ما عدا الشخص الاول الذي قدمه. واخيراً يضم الى احد الفروع المحلية التي قد تكون مكونة من عضو او من مائة عضو . غير انه لم يكن يسمح له بمعرفة اكثر من اربعة من هؤلاء ،ولا يجتمع اكثر من خمسة في جماعة واحدة . وكان لكل جماعة « دليل » واحد لغرض الاتصال ، يتلقى أوامر اللجنة من ممثل جماعة أخرى ، ووظيفته تبليغها الى الاعضاء دون أي تأخير »[٢١].

ان هذه المنظمة الجديدة اخذت بعين الاعتبار المشاحنات والانقسامات التي نجمت عن المنافسة بين احمد رضا ومراد في باريس وجنيف ، لذلك صممت على الا تنصب رئيساً معيناً للجمعية ، وقررت ان ينتخب ، بدل ذلك ، لكل اجتماع رئيس من بين الحاضرين[٢٢] .

لم يمض وقت طويل على المتآمرين في سلانيك ، وهي مركز النشاط ، حتى اكتشفوا فائدة منظمة أخرى ، وهي الماسونية . إذ لما كان يصعب على عبدالحميد ان يعمل هنا بنفس الحرية التي كان يتمتع بها في الاجزاء الأخرى من الامبراطورية ، فان المحافل الماسونية القديمة في تلك المدينة استمرت تعمل دون انقطاع ، بطريقة سرية طبعاً ، وضمت الى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحبون بفكرة خلع عبد الحميد .

لذلك وجدت الجمعية العثمانية للحرية ان المحافل الماسونية في سلانيك تلائم

اغراضها بصورة رائعة . وعلى ما يبدو ان الجمعية استعملت بعض المحافل او ربما جميعها لتكون محلات للاجتماع ، وضمت كثيراً من اعضائها ، واستخدمت الفن الذي نماه الماسونيون في اختبار المرشحين للعضوية ، ومن المحتمل أيضاً ان عمل الجمعية سار بسرعة تثير التقدير بسبب هذا الاتصال مع ماسونية سلانيك .

لا شك ان مثل هذه البساطة في تفسير دور الماسونية في حركة الفتاة لا تروق لبعض الكتاب ، لذلك يجدر ان نلتفت لحظة ونفحص الادلة بشيء من العناية ، ومن سوء الحظ ان معظم الكتب التي تبحث في الماسونية الاوروبية ذات طبيعة مقيتة لدرجة انها لا قيمة لها مطلقاً . ومن الواضح بالطبع انه كانت للماسونية بعض الاهمية في اوروبة ، غير ان معظم الحركات وحتى الثورات التي نسبت الى الماسونية ، قام بها أناس دوافعهم العامة هي القومية او الحرية . فاذا كانوا قد الفوا احيانا جمعيات سرية واستفادوا من الطقوس الماسونية فان هذا لا يعني انهم باعوا أرواحهم لقوى سرية تقوم بدور في ثورة عالمية ، كما يتصور البعض . فاذا ارادوا الاجتماع كان لا بد لهم ان يجتمعوا بصورة سرية ، وفي كثير من الاحيان كانوا يخاصمون رجال الدين بعنف ، لان الكنيسة اصبحت عندهم مقرونة بالرجعية . على هذه العوامل تستند اتهامات الذين يرون في الماسونية شيئاً خبيثاً (٢٣) .

لقد كان من الضروري في سلانيك ، وفي اي محل في الامبراطورية العثمانية ان يتحدث الناس في الخفاء عن اي امر غير امور الطقس دون ان ينالهم العقاب بل حتى هذا الموضوع لم يمكن دائماً بحثه علناً . وخير ما يوضح صرامة الرقابة التي كانت مفروضة في تركية هي القصة التالية عن كاتب فرنسي كثيراً ما كانت تمزق مقالاته ، فاضطر في النهاية ان يذهب الى رفعت بك ، مدير الرقابة ، طالباً ان يعرف ماذا يباح له ان يقول ، فاجاب رفعت بك :

« — « تستطيع ان تتكلم عن اي شيء »

— « عن أي شيء ؟ »

— « طبعاً ! عن أي شيء سوى ، وانت تفهم طبعاً ، عن اصحاب التيجان

والحكومات الاجنبية والفوضوية والاشتراكية والثورة والاضطرابات والفوضى والحرية وحقوق الشعب والسياسة الخارجية والسياسة الداخلية والدين والكنائس والمساجد ومحمد والمسيح وموسى والانبياء والالحاد والتفكير الحر والسلطات والانوثة والحريم والوطن والامة والقومية والعالمية والجمهورية والنواب والشيوخ والدستور والمؤامرات والقنابل ومدحت باشا وكمال بك والسلطان مراد والهلال والصليب ومكدونية وأرمينية والاصلاحات والجراد وشهر آب (اغسطس) وبعض المواضيع الاخرى المتصلة الى حد ما بهذه المواضيع » .

– « سبحان الله فماذا بقي ? »

– « ماذا بقي ? كل شيء : المطر والطقس الحسن على الا تذكر المطر في آب (اغسطس) او ضوء القمر . وتستطيع ان تتكلم عن الكلاب في الشوارع، على الا تطلب ابادتها ، وتستطيع ان تتكلم عن السلطات ما دمت لا تشير إلى الفساد . وتستطيع ان تتكلم عن صاحب الجلالة الامبراطورية وتتغنى في مدحه. وبالاختصار لك الحرية التامة الكاملة في التكلم بما يروق لك » [٢٤] .

اذا لاحظنا القيود التي فرضتها الحكومة فلا نعجب اذا وجدنا كثيراً من سكان سلانيك قد جذبتهم الماسونية ، شأن اية منظمة اخرى ، خاصة وان تلك المدينة فيها أناس من مختلف العقائد والقوميات ، ولهم شيء من الثقافة والحرية ، بينما كانت تركية اوتوقراطية من الدرجة الاولى ، ومن المؤكد انه كان في سلانيك عدد من اليهود وكان كثيرون منهم ماسونيين ، وهذا وضع يثير بالطبع كثيراً من الشكوك وخاصة في نفوس من كانوا يرون في الماسونية محاولة تقوم بها « اليهودية العالمية » للسيطرة على العالم .

وقد أدى هذا إلى ان عدداً كبيراً من الكتب ، ان جاز اطلاق هذه التسمية عليها ، تصور فيها ثورة تركية الفتاة كمظهر آخر لهذه «المؤامرة الثوروية العالمية» التي يقوم بها الماسونيون واليهود . وهكذا نجد مثلاً المؤلفة التي اثبتت ان الثورية الفرنسية ماهي إلا اول ثمار تلك المؤامرة متبعة في ذلك هوى نفسها تعلن

« ان حركة تركية الفتاة نبعت في الاصل من المحافل الماسونية في سلانيك ، بادارة (الشرق الأعظم) الايطالي الذي أسهم فيما بعد بنجاح مصطفى كمال ، يضاف الى هذا اننا عندما نقترب من الشرق الادنى ، وهو مهد النظام الماسوني ، نجد ان التأثير السامي لا الاثر اليهودي وحده ، بل اثر بقيه الأجناس السامية ، هو الذي يقوم بادارة المحافل »[٢٥] .

ويؤكد لنا دارس آخر للحالة ، انه في حوالي سنة ١٩٠٠ قرر « الشرق الأعظم » الفرنسي إزاحة السلطان عبدالحميد وبدأ يجتذب لهذا الغرض حركة تركية الفتاة منذ بداية تكوينها [٢٦] . ثم ان محللاً آخر يلاحظ « يمكن القول بكل تأكيد ان الثورة التركية كلها تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية » [٢٧] .

وثمة امر واحد ساعد المعتقدين بمثل هذه التفاهات هو ان الماسونيين ، في بعض الحالات ، كان حماسهم في ادعاء الفضل باعمال لم يقوموا بها ، يعادل حماس الكتاب ، من اعداء الماسونية ، في نسبة تلك الاعمال لهم . فالنشرة الماسونية الفرنسية لاكاسيا (L'Acacia) مثلا تبدو مقتنعة باهمية الماسونية لحركة تركية الفتاة . وسرعان ما اخذ خصومها بهذا كدليل على الطبيعة الشيطانية للماسونية عموما ، وبعلاقتها بثورة تركية الفتاة على الاخص [٢٨] .

اتخذت هذه الصلة بين الماسونية واعضاء تركية الفتاة طابعاً شبه رسمي بعد الثورة مباشرة ، لما قابل مراسل صحيفة باريسية شاباً من تركية الفتاة اسمه رفيق بك . ويبدو ان اجابة رفيق بك توضح ان المحافل الماسونية كانت مفيدة جداً للحركة ، وقد اتخذ هذا أيضاً كدليل على ثورة عالمية فقد قال :

« حقاً اننا وجدنا سنداً معنوياً من الماسونية ، وخاصة الماسونية الايطالية ، فالمحفلان الايطاليان « Macedonia Risorta » و « Labor et Lux » قدما لنا خدمة حقيقية ، ووفرا لنا الملاجىء ، فكنا نجتمع فيهما كماسونيين ، لان كثيراً منا كانوا ماسونيين غير اننا في الحقيقة كنا نجتمع لننظم انفسنا ، كما

اننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين ، اللذين ساعدا لجنتنا كغربال ، نظراً لما كانا يبديانه من دقة في الاستفسار عن الافراد . فكان العمل السري الذي يجري في سلانيك قلما يثير الشكوك في القسطنطينية ، كما ان عملاء الشرطة حاولوا عبثاً دخوله . يضاف الى ذلك ان هذه المحافل التمست من « الشرق الأعظم » في ايطالية ان تتدخل السفارة الايطالية عند الحاجة ، وقد وعد «الشرق الأعظم» بدوره بضمان ذلك» (٢٩) .

ان الكلام المذكور اعلاه قد يبدو تلخيصاً جيداً لدور الماسونية في حركة تركية الفتاة في سلانيك اما نسبة دور اكبر من هذا للماسونية في اعداد ثورة سنة ١٩٠٨ فلا يتفق مع الحقائق ، لان ضباط الجيش الثالث الذين قاموا فعلاً بالثورة لم يكونوا كلهم ماسونيين ، كما انه من المشكوك فيه ان جميع أعضاء تركية الفتاة في سلانيك نفسها كانوا مرتبطين بالمنظمة . فضلاً عن ان قسماً كبيراً من قوة جمعية الاتحاد والترقي في سنة ١٩٠٨ كان في المناطق الاقليمية خارج سلانيك ، حيث لم تكن الماسونية قوية قط .

اما فيما يتعلق باعضاء تركية الفتاة في اوروبة ، فيبدو ان عدداً منهم ارتبط بالمحافل الماسونية لما كانوا في المنفى (٣٠) ، الا انه لا يمكننا تعيين عدد الذين فعلوا ذلك ، بل يمكن القول بالتأكيد ان اثنين على الاقل من ابرز قوادها لم ينضما قط للماسونية ، وهم أحمد رضا والدكتور (سلانيكلي) ناظم (٣١) .

وعلى أي حال فان اعضاء تركية الفتاة المؤمنين بقوميتهم ، سواء كانوا في داخل الامبراطورية العثمانية أو خارجها ، لم يكن من طبيعتهم الرضوخ لقيادة أية منظمة دولية . نعم ان الماسونية لقيت في تركية رواجاً لبعض الوقت على اثر ثورة سنة ١٩٠٨ ، غير ان اي دارس جدي للشؤون التركية لا يستطيع اتهام حكومة تركية الفتاة بالسماح « للماسونية الدولية » او « اليهودية العالمية » باملاء سياستها في الحقبة التي مرت بين سنة ١٩٠٨ الى اعلان الحرب (٣٢) .

لم تكن الماسونية هي المنظمة الوحيدة السرية أو شبه السرية التي أسهمت في

نمو حركة تركية الفتاة بعد انتعاشها في داخل الامبراطورية العثمانية . فالظاهر ان الحركة استفادت من بعض طرق الدراويش في تركية بنفس الطريقة التي استفادت منها من المحافل الماسونية .

ان أوسع الطرق الصوفية التركية وأقواها أثراً هي البكطاشية التي يقدر عدد من انضم اليها بما لا يقل عن عشر سكان تركية (٣٣) . ويقدر البعض ان حوالي ثلث سكان الأناضول كانوا تحت تأثير الطريقة البكطاشية (٣٤) ، ولكن يجب ألا ننسى انه في كلتا الحالتين كانت نسبة كبيرة من الاعضاء تتكون من الاميين الفلاحين والشيوخ. ومع هذا فقد جذبت هذه الطريقة عدداً من الاحرار والقوميين الاتراك نظراً لان البكطاشيين تمسكوا باللغة التركية والاساليب التركية في آدابهم طوال الزمن الذي كانت فيه المؤثرات الكلاسيكية ، الفارسية والعربية ، تسيطر على حياة الاتراك الثقافية (٣٥) .

ونظراً لما للادب البكطاشي من خاصية قومية تركية، فهو يحتل مكانة بارزة في مجموعات الادب التركي وتواريخه في الوقت الحاضر ، بالرغم من قلة العناية التي اولاها إياه العدد الضئيل من الباحثين الأوروبيين للادب التركي . لقد كان اغلب الادب التركي حتى اواسط القرن التاسع عشر ، خاضعاً لسيطرة الاسلوب الفارسي ، لذلك كانت تتخلله الكلمات الفارسية والعربية ، لدرجة انه لم يكن يفهمه إلا اصحاب الثقافة العالية . والواقع انه كلما كان الكتاب اشد غموضاً كلما ازداد تقدير الناس لألمعية المؤلف . وحتى بعد ان بدأت مدرسة الادب التركي الحديثة تتحلل من القيود الفارسية فانها انما فعلت ذلك تحت تأثير الافكار الغربية ، وكانت مجرد محاكاة لاسلوب اجنبي ، هو الأسلوب الفرنسي في هذه الحالة . وهكذا فان الأدب البكطاشي الضخم يسبق كثيراً النهضة الثقافية القومية التي بدأت عند ضياء كوك الب ووصلت اوج ازدهارها بعد تأسيس الجمهورية التركية في سنة ١٩٢٣ .

لقد كانت الطريقة البكطاشية في معتقداتها وآرائها حرة في اساسها إذ لم تكن سنية ولا شيعية ، بل اخذت من مصادر متنوعة ، وكانت عقائد الافراد

المنتمين اليها تتراوح بين « الخرافات الفجة ... والالحاد المادي الواضح »[٣٦] . لقد ارتأى بعض الكتاب وجود علاقة بين الماسونية الاوروبية والطريقة البكطاشية ، فقد روى ريتشارد ديفي [٣٧] في سنة ١٨٩٧ انه سمع بأن هذه الطريقة « مرتبطة ببعض المحافل الماسونية الفرنسية » ، وقبل هذا كان براون قد ذكر في سنة ١٨٦٧ [٣٨] ان بعض اصدقائه المسلمين قد انضموا الى الماسونية في اوروبة ، أما عن الماسونية فقال ما يأتي :

« ولعل من الغريب ان يعتبر دراويش الطريقة البكطاشية انفسهم كالماسونيين تماماً ، وانهم مستعدون للتآخي معهم ، ويطلق على الماسوني باللغة التركية فرماسون وهي كلمة تثير النفور ، فهي تدل على الالحاد في العن صفاته ، ويمكن ان يقال هذا عن البكطاشية الذين لا يتمتعون بسمعة جيدة عند بقية المسلمين ، وحتى عند اصحاب الطرق الاخرى وان كانت اسباب ذلك غير واضحة لي »[٣٩] .

ويقول كاتب آخر ، ممن كتب عن تركية ما يلي عن الموضوع نفسه :

« خلال القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر قاموا [البكطاشية] بالاشتراك مع الانكشارية ، في حركة الاصلاح العثماني بنفس الدور الذي قامت به الماسونية في حركة الاصلاح الاوروبي . وكانوا مرتبطين في الحقيقة بالماسونية الفرنسية . وقد أعاد فاضل بك ، وهو صديق لفولتير ، تشكيل الطريقة بحيث ظلت مثلاً لحركة تركية الفتاة لمدة تزيد عن القرن . لقد كانت فعالياتها فلسفية وأدبية وعلمية وسياسية ، وكل ذلك مع تفكير قومي في الاساس » [٤٠] .

أما ريتشارد ديفي فهو ايضاً يقول ان أحد أعضاء هذه الطريقة ، ويدعوه مرة فاضل بك ، ومرة عزت بك ، كان قد تأثر بفولتير ، وانه « عند عودته الى القسطنطينية ادخل إلى هذه الطريقة ، التي كانت آنذاك جمعية سرية ، بعض الآراء الفلسفية ، وحتى التفكير الحر ، مما كان له على مر الزمن تأثير مدهش على الحركة بكاملها »[٤١] .

يجوز الافتراض ، اذاً ، بان بكطاشيي تركية كانت عندهم فكرة عن الشعور القومي وانهم كانوا احراراً في آرائهم لدرجة جلبوا معهـا انصاراً من اوساط عدة ، بل حتى النساء منحن في هذه الطريقة المساواة ، الأمر الذي اثار كثيراً من الاشاعات الخبيثة التي ربما كان بعضها مستنداً إلى حقائق .

ولعل من اسباب تأييد حركة تركية الفتاة ايضاً ان البكطاشية كانوا يميلون في امر الخلافة الى العقيدة الشيعية في الامامة ، مما لا يجعلهم مرتاحين إلى ادعاءات السلطان العثماني .ويرى بيرج [٤٢] ان البكطاشيين أعاقوا سليم الاول في حملته ضد اسماعيل شاه ايران في سنة ١٥١٤ بسبب عطفهم السري على الفرس الشيعة . لذلك قد تكون محاولة عبدالحميد لاستعادة اهمية الخلافة مسؤولة الى حد ما عن اثارة معارضة البكطاشية .

وفي سنة ١٩٣١ ، اي بعد مضي ست سنوات على الغاء كافة طرق الدراويش في الجمهورية التركية ، نشر ضياء بك ، وهو نفسه بكطاشي ، سلسلة من المقالات عن هذه الطريقة [٤٣] وقد استخلص فيها ان الجمهورية قد حققت الاصلاحات التي كانت تلك الطريقة تناضل من اجلها دائماً ، وبذلك لم تعد اية حاجة لاستمرار البكطاشية . وكانت هذه الاصلاحات تشمل الغـاء الخلافة وتحرير المرأة وازالة التعصب الديني [٤٤] .

الا انه قد يبدو ان البكطاشيين لم تكن البواعث عندهم دوماً مجردة. لقد كان هاسلوك [٤٥] ممن يرى ان البكطاشيين « كانوا يهدفون الى السيادة الدينية التامة في البلاد التي تصلها دعايتهم » وانهم كانوا لا يزالون يأملون عند ثورة سنة ١٩٠٨ تأسيس دولة بكطاشية في البانية [٤٦] . وهو يرى كذلك ان عبد الحميد ارتاب في البكطاشيين إبان الحركة القومية الالبانية في سنة ١٨٨٠ — ١٨٨١ عندمـا لاح في الافق احتمال التنازل عن جزء من جنوبي البانية الى اليونان . ان مدى عطف البكطاشيين الاتراك على آمال ابناء دينهم من الالبانيين امر غير مبتوت فيه ، ولكن هـذه الادلة على نشاط البكطاشيين السياسي ، مع ذلـك ، ذات اهمية .

والاطرف من هذا هو ان هاسلوك يبدو كانه قد سمع بوجود نوع من الرابطة بين البكطاشيين وتركية الفتاة ، اذ انه توجد إشارات مبعثرة في كتابه تؤيد هذا (٤٧) . ومن المؤكد ان عددا من اعضاء تركية الفتاة كانوا اعضاء في الطريقة البكطاشية وان بعضهم كانوا ماسونيين وبكطاشيين في الوقت نفسه ، ومن هذا الصنف طلعت باشا ورضا توفيق وشيـــخ الاسلام موسى كاظم افندي (٤٨) . ولكن من المشكوك فيه ايضا ان تعضيد برنامج تركية الفتاة كان جزءا من عقيدة البكطاشية في اي وقت كان ، اي ان البكطاشية ، شأن الماسونية ، اقتصرت على جذب اناس كان يجذبهم في الوقت نفسه برنامج تركية الفتـــاة ، او اقتراح بسيط هو خلع عبد الحميد وتأسيس نظام اكثر حرية في الامبراطورية العثمانية .

ومن الواضح ايضا ان جمعية الاتحاد والترقي لم يكن لها اي تفاهم صريح مع اي من طرق الدراويش ، ولكنها كانت يسرها الاستفادة منهـــا باي شكل ممكن . غير انه يظهر ان كلا من البكطاشية والمولوية قدموا لاعضاء الجمعيـــة الذين ابعدوا الى الاناضول مساعدات وتسهيلات (٤٩) .

وهناك فرقة اخرى جديرة بالذكر من الدراويش وهي طريقـــة الملامتية . لقد لاحظنا من قبل ان بورصهلي محمد طاهر بـــك ، وهو احد اوائل اعضـاء « جمعية وطن وحريت » في سلانيك ، كان عضوا بارزا في تلك الطريقة (٥٠) ، وبعد ان انضم « وبسبب شخصية طاهر بك ، على التدقيق ، ظفر الجماعة المتآمرون بتزايد مهم ، حيث اقبل كافة الاخوان الملامتية ينضمون اليها دون تردد نظرا لما كانوا يكنونه من احترام كبير لطاهر بك » (٥١) . هـذه بالطبع قضية تتعلق بالاشخاص ، غير ان الملامتية كانت كالبكطاشية حرة لدرجة تكفي لجذب اناس من نوع طاهر بك . لقد كان النـــاس يعتقدون ان الملامتية ، كالبكطاشية ، تعتنق بعض المعتقدات الماسونية (٥٢) .

لقد بدأت الجمعية الثوروية تنتشر في مدن وبلدان مكدونيـة الاخرى وفي الريف ، وحيثما وجدت حاميات الجنود التركية ، حتى اصبحت مراكز التذمر قائمة في كافة ارجاء تركية الاوروبية . وسرعان ما اصبحت موناستير (بيتولج)

مركزا لا يفوقه في الاهمية الا سلانيك ، ويقود هذا المركز بورصهلي طاهر ، و الرئيس الاول سليمان العسكري ، والرئيس الاول وهب الذي اصبح باشا فيما بعد ، والملازم عاطف (٥٣) . وسرعان ما ظهرت فروع في البلدان المجاورة في رسنه (Resan) على بحيرة برسبه باشراف الرئيس الاول الركن نيازي بك الذي صار فيما بعد اشهر ابطال ثورة سنة ١٩٠٨ ، وظهر فرع في اخريده باشراف الرئيس الاول الركن ايوب صبري الذي اشتهر كذلك فيما بعد ، وفي اسكوب (Skoplje) باشراف المقدم غالب بك (الذي اصبح فيما بعد باشا) وفي جفجلي باشراف عمر فوزي ماردن . وفي شرقي هذه الاماكن انشئت نواة في سيري (Serrai) باشراف الرئيس علي بك ، وفي ادرنه باشراف عصمت اينونو ، الذي اصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية التركية ، وكان معه المرحوم كاظم قره باشا وسيفي باشا وحسين قدري بك ، وقد انشئت مراكز اخرى في دراما وغيرها من المدن ايضا (٥٤) .

كانت كل مدينة او قرية تعتبر مقراً لما يجاورها من الريف ، ومركزاً لنشاط مستمر لبث الدعاية وجلب المؤيدين وكلما ازدادت القرية بعداً ، كلما كان عمل اللجان اقل سرية وقد اخذ المنضمون الى هذه الحركة يزدادون تدريجياً ، وكان معظمهم في البداية من صفوف ضباط الجيش الثالث ، غير ان آخرين انضموا اليهم كذلك ، بحيث انه بعد امد قصير نسبياً اصبح من الصعب ان تجد ضابطاً تركياً في أي مكان من ارجاء تركية الاوروبية لم يقسم على خلع الحكومة التي يخدمها .

ان هذا التذمر في صفوف الضباط الاتراك لا تقتصر اسبابه على الدوافع القومية وحدها . فلتذمر الجيش في عهد عبد الحميد اسباب كثيرة مباشرة وشخصية اكثر من كونها ناجمة عن فكرة الكرامة القومية البعيدة ، رغم ان هذه الكرامة القومية كانت بلا شك ذات اهمية كبرى . فهناك ، مع ذلك ، اعتبارات اخرى مسؤولة بلا شك عن جعل كثير من الضباط الصغار يلتفتون الى اية جماعة تعدهم بالتحسن .

كان الجيش دائماً يقوم بدور هام جداً في تاريخ الامبراطورية العثمانية ، سواء كأداة للهجوم او كقوة بوليسية لتأمين سيطرة السادة الاتراك على رعاياهم. ومنذ نصف قرن كتب السر تشارلس اليوت :

« ليس الجيش التركي حرفة او مؤسسة استلزمتها مخاوف الحكومة واهدافها بقدر ما هو الوضع الاعتيادي الفعال والهادىء في الوقت نفسه (كذا) للامـة التركية »[٥٥] .

وقد اعلن كاتب آخر في سنة ١٩٠٨« ان كل الجنس العثماني هو جيش يعسكر بصورة دائمية في فتوحاته »[٥٦] .

وقد علق ملاحظون آخرون على انه لم تكن للترك في بلادهم جذور حقيقية. أما اليوت فيرى ان تفسير هذا راجع الى الاصول البدوية للاتراك العثمانيين[٥٧]. ولكن مهما كان التفسير فان الحياة العسكرية كانت اعتيادية للاتراك ، وكان الجيش ايضاً ضرورياً جداً لحفظ تماسك الامبراطورية ، وخاصة عندما كان يحكمها عبد الحميد .

ولا بد ان عبد الحميد قد ادرك ذلك ، ولكن بالرغم من ذلك فان الجيش الذي لم يأبه للمصاعب او لمستوى من الحياة اقل بكثير مما هي عليه معظم الجيوش، كانت لديه في عهد عبدالحميد اسباب عظيمة متزايدة للتذمر . فقد كان السلطان منذ البداية يخشى جيشه ، وهذا يبدو جلياً في تجنبه ان يمنح سلطات كافية لأي قائد من قواده أبان الحرب مع روسية . وقد بدا هذا الحاكم المريض الاعصاب في باقي أيام حكمه وهو يتمزق بين الرغبة في الاحتفاظ بجيش قوي ، والخوف من السماح له بأن يصبح قوياً جداً .

أما البحرية فكان حظها اسوأ ، اذ تركت تصدأ في مراسيها وراء الجسرين في القرن الذهبي ، وكان قصر عبد الحميد يطل على البوسفور ، فظل يشعر بأنه في مدى مرمى مدفعية الاسطول ، لذلك كان يأمر برفع الاجزاء المهمـة من آلات اية سفينة يحصل عليهـا ، وأروع مثل للسفن الحربية التركية هي

« ارطغرل » المنكودة الحظ التي فقدت على سواحل اليابان في سنة ١٨٨٩ ، فان هذه البارجة ارسلها السلطان، بالرغم من نصائح الخبراء الاتراك والاوروبيين، لتحمل وساماً الى الميكادو ، ويبدو ان السفينة تفككت خلال عاصفة صادفتها في الطريق [٥٨] .

فلما كانت الترقية في الجيش تجري على أساس المقدرة ، وقد امتد نظام التجسس الذي لا يطاق الى الجيش ، وكانت أضمن وسيلة لتقدم الضابط هو تقديم تقارير عن زملائه الضباط . اما الرواتب فكان دفعها يتأخر باستمرار ، وكان من المألوف لدى الضباط ان يسمحوا بخصم جزء من مستحقاتهم لبعض المضاربين الذين يستطيعون الكسب بوساطة طريق رشوة الذين يضمنون دفع الديون في العاصمة . لذلك فان الضابط التركي يهوي الى الحضيض ، ويصبح كالنفر العادي ما لم تكن له موارد خاصة .

ثم ان الضباط الاتراك بدأ يزداد اتصالهم بالضباط الاجانب ، وهذه حقيقة لها بعض الاهمية . لقد لاحظنا من قبل ان البعثات العسكرية الالمانية كان لها بعض التأثير على الجيش التركي ، بالرغم من ان عبد الحميد ، بتردده المعروف ، عمل كل ما في وسعه لاضعاف البعثات بعد ان كان يوافق على قبولها ، [٥٩] وبعد عقد اتفاقية مورزستيج (Murzsteg) ، في سنة ١٩٠٣ ، التي تشكلت بموجبها جندرمة اوروبية في مكدونية ، أصبح ضباط الجيش الثالث باتصال مستمر مع الضباط الفرنسيين والانكليز والايطاليين والنمساويين والروس . ومع ان التداخل مع الضباط الاجانب كان يجعل الضباط الاتراك موضع الريبة ، الا ان كثيرين منهم كانوا مستعدين للمجازفة والاختلاط باخوانهم الاوروبيين ، وسرعان ما ظهر أثر هذا الاختلاط . ثم ان مجالات الثقافة ازدادت بدرجة كبيرة ، فاصبح الضباط الصغار الاتراك يعرفون كثيراً من الاشياء التي كانت مقفلة في وجههم من قبل . وكان خيارهم طلاباً مندفعين ومتحمسين . فأنور بك مثلاً كان متصلاً بصورة خاصة بالضباط النمساويين والمجريين الذين يعسكرون في ولاية كوسوفو (اسكوب) وقد استفاد من صداقتهم لدراسة التعبئة العسكرية

واللغة الالمانية [٦٠] .

لقد أحدث هذا الاتصال اثاراً اخرى في صغار الضباط الاتراك . فقد كانوا يشعرون بالخجل عندما يقارنون بزاتهم الرثة وأحوالهم المنحطة في عهد عبدالحميد، بالبزات الفخمة والحياة المبهجة نسبياً التي يتمتع بها الضباط الاوروبيون[٦١] . ومن المؤكد ان مشاعرهم كانت مختلفة ، لانهم كانوا يحسدون ويقدرون ضباط الجندرمة وفي نفس الوقت كانوا ايضاً لا يستسيغون وجودهم في مقاطعة تركية . لذلك بدأ ينمو تصميم للتخلص منهم ، مع رغبة جنونية تقريباً لمباراتهم .

من الطريف ان نلاحظ ان الضباط الأجانب في الجندرمة الدولية في مكدونية لم يعرفوا بالشبكة الثورية الواسعة التي كانت تنمو تحت انوفهم ، بالرغم من اتصالهم الوثيق بالضباط الأتراك الذين كانوا جميعاً بدون استثناء ، اعضاء في الجمعية العثمانية للحرية ، او الاتحاد والترقي . لقد ظفر واحد أو اثنان منهم بتلميحات غامضة عن الحركة في المساء السابق ليوم الثورة ، غير انه من الواضح ان هذه الاشاعات لم تعر اية اهمية[٦٢] ومن التفاسير الجيدة لذلك طبعاً هو ان الجيش التركي خلال السنة والسنتين السابقتين للثورة ، كثرت فيه العصيانات الصغرى التي كانت تقوم لاجبار الحكومة على دفع المتأخر من رواتبهم ، وعلى اي حال كان الضباط الأجانب يجهلون جهلاً تاماً ما كان زملاؤهم الأتراك يقومون بعمله [٦٣] .

اما فيما يتعلق بالجندي العادي ، فقد كانت حياته صعبة . غير ان الحياة كانت دائماً صعبة . فقد تحمل الفلاح التركي منذ عدة قرون من المصاعب ما عوده على اللاأبالية وعدم الاهتمام بأحوال كانت كافية لتثير العصيان في أي جيش آخر . لقد كان مخلصاً للسلطان ، لانه لم يكن يعرف نوعاً آخر من الحياة ، ولانه كان يحيط سلطانه بخوف خرافي باعتباره مصدراً للسلطة الدنيوية والروحية . اما القومية فكانت فكرة بعيدة وغير مفهومة لدرجة لم يكن لها معنى عنده . ومع هذا فقد ازدادت الأحوال سوءاً في زمن عبدالحميد ، فاصبح الجندي العادي على الأقل مستعداً للاعتراف بانه يفضل العودة الى بيته واسرته ، وخاصة اذا كان

قد مضت على خدمته مدة طويلة من الزمن . لقد كان ، كالضباط ، قلمـا يتسلم راتبه المخصص له [٦٤] . وكان طعـامه رديئاً ، والبسته غير كافية ، والمستوى العـام لمعيشته لم يكن ارقى بكثير من مستوى معيشة الحيوان . لقد كان يبقى في الخدمة الفعلية ضعف المدة القانونية المطلوبة منه ، وقـد أصبح من المعروف انه اذا ارسل الى بعض النقاط النائية في الامبراطورية ، كاليمن مثلاً ، فان امله بالرجوع يكون ضعيفاً [٦٥] .

وهكذا فمع ان الجنود الاتراك انفسهم لم يكونوا في الواقع اعضاء في جمعية الاتحاد والترقي ، فان ضباطهم بدأوا يعدونهم للثورة . لقد كان الجندي التركي ، من حيث العموم ، جاهلا لدرجة لا تصدق ، غير انه كان في نفس الوقت سريع التصديق فيما لا يمس معتقداته الأساسية . لقـد كان الباشوات أعلى منه بكثير لدرجة انهم لا يدخلون في دائرة ادراكه ، غير انه كان يتبع رؤساءه المباشرين كما يتبع الطفل اباه ، ويتقبل ما يخبر بـه ببساطة الطفولة نفسها فكان من الضروري لضباطه ان يعيدوا عليه فقط ان السلطان هو بيد مستشارين مفسدين (لان السلطان لا يمكن ان يعامل اطفاله بمثل هذه الطريقة المزرية) ، وانـه يجب ان يقصي هؤلاء المستشارون ليعود كل شيء مزدهراً . لقد ضمن هذا العمل الاساسي مساندة الجيش عندما نشبت الثورة ، ولكنه الى حد ما ابعـد فكرة خلع عبد الحميد في سنة ١٩٠٨ لان اخلاص الجندي العادي للسلطان قيّد ايدي الضباط .

عندما كانت حركة تركيـة الفتاة تسير في نهضتها وانتعاشها في داخـل الامبراطورية العثمانية ، كان احمد رضا وصباح الدين دائبين على عملهما ، وكانت صفوفهما تزداد عدداً بين وقت وآخر بالهاربين من طغيان عبد الحميد . وبينما كان صباح الدين يكسب انصاراً من قوميات مختلفة ، كان معظم الاتراك تجذبهـم القومية التركية الصريحة التي تدعو اليها لجنة احمد رضا للاتحاد والترقي ، اكـثر مما تجلبهم مثالية عصبة صباح الدين للامركزية الادارية والمبادرة الخاصة .

وفي سنة ١٩٠١ ارتاب قصر يلدز بحركات ثوروية لاثنين من الاتراك همـا

سزائي بك والدكتور بهاء الدين شاكر ، فهربا من البلاد الى باريس . ومع اننا لا نعرف الحقائق تماماً ، فانه يبدو انهما ارادا احياء لجنة الاتحاد والترقي ، بالرغم من ان احمد رضا كان يرفع هذا الاسم منذ انهيار المنظمة في سنة ١٨٩٧ ، ثم تفاهما مع احمد رضا ، وتعاقدوا على العمل سوية ، وقد تم هـــذا حوالي الوقت الذي انعقد فيه مؤتمر الاحرار العثمانيين سنة ١٩٠٢ . وقد استمر احمد رضا في إصدار « مشورت » بالفرنسية ، غير ان صحيفة جديدة باللغة التركية ظهرت واسمهـا « شوراي امت » يحررها سزائي بك [٦٦] ، كما توسعت الجمعيـــة وازدادت قوة لدرجة كبيرة ، فلم تعد مجرد كفاح رجل واحد وعدد قليل من الزملاء ، بـــل بالعكس لم يعد احمد رضا صوت الجمعية الذي لايناقش. وقد استمرت الصحيفتان تصلان الى الامبراطورية ، والى جيوب الجماعة المتنامية من الثورويين .

لقد ظل اعضاء تركية الفتاة في باريس يجهلون وجود الجمعية العثمانية للحرية في داخل الامبراطورية حتى سنة ١٩٠٧ حين حدث الامتزاج النهائي للجماعات القومية التركية بمحض المصادفة .

ففي شتاء سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ بدأ جواسيس السلطان يحسون بان شيئاً ما كان يجري في سلانيك ، ويبدو ان حجم المنظمة الثوروية لم يـــثر الشكوك ، ولكن بعض الاشخاص على الاقل اثاروا الريب ، وفي آذار (مارس) سنة١٩٠٧ جاء طلعت (باشا) الى عمر ناجي وخسرو سامي قزل دوغـــان ، اللذين كانا كطلعت من اعضاء لجنة سلانيك ، واخبرهما بانه قد رأى اوامر سريـة بالقبض عليهما [٦٧] . فقد لفت عمر ناجي انظار يلدز اليه لاشتراكه في مساجـلة مع رضا توفيق في اعمدة (كوجك باغجه سي) (روضة الطفل) وهي مجـلة تصدر في سلانيك ، منعت بعد ذلك بامد قصير لنشرهـــا قصيدة محمد امين المشهورة (قايقجي) (صاحب الزورق) الـــتي تصور بعمق تفكك الامبراطوريـــة العثمانية في عهد عبد الحميد .

سافر عمر ناجي وخسرو سامي قزل دوغان حـــالا الى باريس ولم يخبرا بخططهما احدا سوى طلعت ، وكان همهما الاول طبعا هو الهروب من الاعتقال ،

غير انهما قررا ان يستغلاالفرصة فيدرسا برنامجاحمد رضا وصباح الدين على اساس الانضمام الى الكتلة التي يشعران انها اقرب الى ارائهما [٦٨] .

وفي اواخر آذار (مارس) وصل اللاجئان الى باريس وبـدأا دراساتهما ، وسرعان ما اكتشفا ان اراء جماعة رضا اقرب جدا الى اهداف الجمعية العثمانية للحرية من اراء جماعة صباح الدين ، فبدأا يكتبان مقالات غير موقعة لصحيفة « شوراي امت » [٦٩] . وقد لقي عمر ناجي ترحيبا خاصا في هذا الميدان ، لان مواهبه الادبية كانت قد لفتت اليه بعض الانظار فضلا عن الاهتمام الذي اولاه اياه جواسيس السلطان .

وفي اواخر تلك السنة تم الاتحاد بين الجماعتين « بعد مؤتمرات ومماحكات طويلة » [٧٠] وقد نجمت هذه المماحكة طبعا من اختلاف الاراء بين احمد رضا والجمعية العثمانية للحرية ، اذ بينما تشكلت الاخيرة وليس في بالها الا الاطاحة بالحكومة القائمة في تركية بالقوة كان احمد رضا يستنكر دائما استعمال القوة لتحقيق الغايات التي ينشدها ويبدو انه في النهاية اقنع على التضحية بمبادئه من اجل الوحدة ، اذ تم المزج ثم أسهم فيما بعد بالبرنامج الذي اقره المؤتمر الثاني للاحرار العثمانيين في اواخر سنة ١٩٠٧ ، وهو برنامج يدعو الى تبديل الحكومة في الامبراطورية العثمانية بالقوة اذا اقتضت الضرورة [٧١] .

وبعد ان اجتمعت الجماعتان ، تقرر ان يطلق الاسم الاشهر – وهو الاتحاد والترقي ، على كل المنظمة ، ثم دعا رحمي بك الدكتور ناظم(سلانيكلي ناظم) للمجيء الى سلانيك ليعمل في الجمعية بداخل البلاد ، وفي احد هذه الاجتماعات للجنة سلانيك ، تكلم ناظم بلباقة عن تاريخ كلمة الاتحاد والترقي ، وعن التضحيات التي قدمت تحت هذا الاسم فصوتت اللجنة على اخذ الاسم القديم مكان الاسم الذي كانوا يستعملونه ، لذلك لما حدثت الثورة في السنة التالية ، كانت المنظمة تعمل تحت الاسم المعروف للجنة (او جمعية) الاتحاد والترقي ، وهو اسم استعمل بسبب احترامهم لاسلافهم اكثر من كونه اسما حصلوا عليه بالوراثة المباشرة [٧٢]. لقد تم الامتزاج الفعلي بين الجماعتين في ٢٧ ايلول(سبتمبر)

١٩٠٧ ، ولعل كلمة امتزاج غير مضبوطة ، لان الجمعية لخصت في الوثيقة التالية :

« ان « جمعية عثمانلي ترقي واتحاد » التي مركزها باريس ، و « جمعية عثمانلي حريت » التي مركزها في سلانيك ، قد اتحدتا باسم « عثمانلي ترقي واتحادجمعيتي » من تاريخ ١٩ شعبان ١٣٢٥ و ١٤ سبتمبر ٣٢٢ و ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ [٧٣] بعد الاتفاق على ما يلي :

« المادة (١) – سيكون للجمعية مقران ، احداهما داخلي والاخر خارجي ، وسيكون المقر الخارجي في باريس ، اما المقر الداخلي فسيبقى في مركزه الحالي بسلانيك ، وسيكون للمقرين رئيسان منفصلان .

« المادة (٢) – ان الغرض الرئيسي هو اعادة احياء واستمرار دستور مدحت باشا الذي وضع في سنة ١٢٩٢ (١٨٧٦) ولكي تصل الجمعية الى هذا الهدف ، فسيكون لها نوعان مستقلان من القواعد ، للداخل وللخارج ، مراعية في ذلك الحاجات المحلية والميول ، ومعرفة التنظيم وواجبات الافراد .

« المادة (٣) – في حقل الشؤون المالية – يطلب من المقرين – مهما كان استقلالهما – ان يعاون كل منهما الآخر عند الحاجة .

« المادة (٤) ان المقر الداخلي اذ يعتبر المواصلات المباشرة غير مستحسنة ، يرى انه اذا ارادت الفروع او الاعضاء في البلاد ان تتخابر بواسطة مقر باريس ، فيجب ان تكون المخابرات هذه خاضعة للمقر الداخلي .

« المادة (٥) – ان المقر الخارجي بالاضافة الى كونه المركز الرئيسي للفروع في الخارج ، فانه يقوم بواجب تمثيل الجمعية للعالم الخارجي . وان العلاقات مع الحكومات والصحافة الخارجية هي من مسؤولية المقر الخارجي ، أما مسؤولية المشاريع والفعاليات الداخلية فهي متروكة كلها للمقر الداخلي .

« المادة (٦) – يخول المقران تعديل اعمال بعضهما البعض عن طريق الاقناع فقط .

« المادة (٧) – ان وسائل النشر العام الآن هي صحف « شوراي امت » التركية و « مشورت » الفرنسية. ان المقر الداخلي يعاون ويسند «شوراي امت» التي يصدرهـا المقر الخارجي ويأخذ الاسهامات بنظر الاعتبار ، ويشترك في المسؤولية مع المقر الداخلي في تلك الصحيفة وفي كافة المنشورات التركية .

١٤ سبتمبر ١٣٢٣ الساعة ١ بعد الاذان[٧٤]
عثمانلي ترقي واتحاد جمعيتي
موظف الشؤون الدولية والخارجية
الدكتور بهاء الدين (شاكر)» [٧٥].

وهكذا أمكن الاتصال ، غير ان من الواضح تماماً ان منظمة سلانيك ارادت ان تتبع طريقها الخاص وان تجلب جماعة باريس الى الحد الذي تستطيع الاستفادة منها خير استفادة . وقد منعت باريس بصورة خاصة من التصرف بالشؤون الداخلية . اما « مشورت » وهي الصحيفة الخاصة لاحمد رضا ، فقد تركت تعبر في طريقها الخاص لانها كانت تصدر باللغة الفرنسية فلا يكون لها الا اثر ضئيل على من تريد سلانيك الوصول اليهم من الناس ، اما المنشورات باللغة التركية فكانت تقبل بشأنها الاقتراحات الآتية من سلانيك ، ومن حيث العموم تتقبل المساعدة والتسهيلات المصلحة كما ترى من تلك الزاوية المفيدة .

وبعد ان تمت الاحداث المذكورة بأمد قصير ، قامت محاولة أخرى لمزج كافة الجماعات التركية وغيرها ممن تشترك على الاقل في الرغبة في تخليص الامبراطورية العثمانية من حاكمها المكروه ، ففي أواخر أيام سنة ١٩٠٧ (٢٧–٢٩ كانون الاول – ديسمبر) انعقد في باريس مؤتمر ثان للاحرار العثمانيين برئاسة مشتركة مكونة من أحمد رضا ، والبرنس صباح الدين وك .مالوميان من الاتحاد الارمني الثوروي الفدرالي (داشناغتزوتيان Dashnagtzoutian) .

وقد يبدو ان الحركة لعقد مؤتمر ١٩٠٧ أثارها الاتحاد الارمني الثوروي الذي كان قد نجح منذ عهد قريب في توحيد عدد من الجماعات الارمنية ، واصبح

الآن حريصاً على الظفر بتعاون جميع المنظمات التي تعمل في معارضة الحكومة القائمة في تركية (٧٦) . وعلى أي حال فقد اصبح الاتراك والارمن اكثر استعداداً للتقارب من اجل الوحدة ، مما ادى الى ان يتمكن المندوبون بالفعل من ابراز برنامج يمكن ان تقبله الاكثرية . لم تتمثل في هذا المؤتمر كافة الجماعات المستاءة في الامبراطورية ، اذ ان أحمد رضا استنكر في خطابه للمؤتمر ان « اليونانيين والالبان وجماعتين من الارمن منفصلة عنا »(٧٧) .

اما محاضر مؤتمر ١٩٠٧ فلا يبدو انها نشرت بالتفصيل الذي نشرت فيه محاضر المؤتمر السابق (٧٨) ، وان المرء ليميل الى الاستنتاج بان هذا راجع الى تلميح عن احداث كبرى كانت آنذاك في دور الاعداد ، وليس من المؤكد قط ان المؤتمر اخبر بالتنظيم الواسع للجمعية الثورية في داخل الامبراطورية ، أو ان خططاً معينة كشفت . فمن المشكوك فيه ان يكون أحمد رضا قد اخبر بصورة كاملة بالخطط الواقعية للثورة التي لم تكن قد اختيرت بعد ، ومع هذا فهنالك احتمال قوي بان يكون المؤتمر قد اتيح له على الاقل ان يشار اليه بما كان يجري في الخفاء . ويؤيد هذا الاستنتاج اللهجة العامة لمقررات المؤتمر التي كان مما اجازته ، تعيين لجنة سرية دائمة تتكون من ممثلي المنظمات العاملة في داخل الامبراطورية ، وجعل كل ما يتصل بعمل هذه اللجنة من ادق الاسرار (٧٩) . وقد تقرر عقد مؤتمر ثان خلال سنة ، ولكن تقرر انه عند حدوث « طوارىء » فبامكان اللجنة الدائمة تقديم التاريخ بعد موافقة المنظمات المشتركة (٨٠) .

كانت وظيفة اللجنة الدائمة تنفيذ المنهاج الذي أقره المؤتمر بكل طريقة ممكنة . وكان هذا المنهاج دقيقاً واضحا : ان الحكومة الحالية للامبراطورية العثمانية يجب ان تزول ويحل محلها حكومة تمثيلية ، وينبغي ان يتم هذا باسرع السبل الممكنة ، سواء أكانت ثوروية او غير ذلك (٨١) . وقد اوصى المؤتمر بصورة خاصة بوجوب معارضة الحكومة التركية بكل وسيلة ممكنة ، واقترح قائمة باشكال المعارضة التي يمكن ان تتبع :

(١) المقاومة المسلحة لاعمال الظلم (٢) المقاومة غير المسلحة وتتخذ شكل

الاضرابات السياسية والاقتصادية ، بما في ذلك اضراب موظفي الحكومة والبوليس (٣) المقاومة السلبية بشكل الامتناع عن دفع الضرائب (٤) نشر الدعاية في الجيش – دعاية تدعو الجنود لرفض الزحف ضد الشعب او ضد الجماعات الثوروية (٥) الثورة العامة اذا اقتضت الضرورة (٦) وسائل العمل الاخرى التي قد تمليها الظروف [٨٢] .

ان التوصيات المذكورة اعلاه تظهر ان المنظمات التركية كانت مستعدة لقبول الاساليب التي كانت تتبعها الجمعيات الارمنية منذ امد بعيد ، وهذه الاساليب شديدة الشبه بما حاولت الجماعات الراديكالية استعماله في الادوار الاخيرة من الثورة الروسية في سنة ١٩٠٥ . لقد كان صباح الدين يعمل مع الارمن منذ امد طويل ، ولكن من المشكوك فيه جداً ان يقبل احمد رضا الاسهام في مثل هذا المنهاج لو لم يكن يعلم بوجود الحركة السرية في مكدونية – والواقع انه أسهم بتردد ، وبعد شهر من تأجيل المؤتمر ، عاد يخاصم الارمن بنشره مقالة في « مشورت » بعنوان « حكمة وتواضع » ، يتهم فيه الارمن بالعمل على احداث الضجيج حول نجاحهم للحصول على تأييد عام لاساليبهم ، تلك الاساليب التي كانوا يفخرون بانها قد « اثبتتها التجارب » [٨٣] . فقد كانت هذه الاشارة للعمل الاول للجمعيات الارمنية ، صعبة جداً على قومية احمد رضا التركية . ويعاتب الارمن لكونهم اول من اعطى قرارات المؤتمر للصحافة ، ولانهم بذلك جعلوا الترك وقد اصبحوا « ارهابيين » ، وقد اعلن بانه لن يتخذ الاساليب الثوروية التي اتبعها « بعض الارمن » « دون اي نجاح » . ثم استمر يتابع كلامه قائلا « اننا لم نجتمع لارتكاب حماقات وجرائم ، او لخلق حجة لتدخل الدول ، كلا بل لتحقيق هدف سام... بوسائل ثوروية تلائم امزجة اخواننا المواطنين » [٨٤] . وقد قامت صحيفة صديق ارمينية (Pro - Armenia) بالرد على ذلك فاشارت الى ان احمد رضا قد وقع اسمه بالنيابة عن لجنة الاتحاد والترقي على المقررات التي تعارض تماماً الاساليب التأملية التي يدعو لها [٨٥] .

ومما يجدر ملاحظته ان مسألة التدخل الاجنبي ، وهي المسألة التي انعقد

المؤتمر من اجلها ، لم تذكر قط في ما روي لنا عما دار في مؤتمر سنـــة ١٩٠٧ ، وهذا يدل اما على ان الارمن (وصباح الدين) كانوا في هذا الوقت اكثر استعداداً للتوفيق ، او انهم قد ادركوا في الاخير ان من العبث ان يأملوا من الدول القيام بعمل دقيق وباخلاص .

ان الوصول الى اتفاق ظاهري في مؤتمر سنـة ١٩٠٧ لا يعني ان الاختلافات الاساسية في وجهات النظر بين مختلف الاحزاب المعارضة لعبد الحميد قد سويت باي شكل من الاشكال. فالواقع انه في سنة ١٩٠٨ اتسعت الهوة بين انصار احمد رضا واتباع صباح الدين لدرجة هائلة ، بحيث لم يعد بالامكان التوفيق بينهما قط وقد كان لهذه الحقيقة ابلغ الاهمية بعد الثورة [٨٦] .

لقد خطب كل من احمد رضا وصباح الدين في المؤتمر ، وخطبتاهمـا تظهران ان كلا منهما كان لا يزال يسير في اتجاهه الخاص . والحق ان احمد رضا كان معتدلاً ، غير ان فلسفته « الوضعية » عادت إلى الظهور عندما دعا الى وجوب التمسك بمصالح « الاكثرية العظمى التي تنشد حكم النظام والتقدم » [٨٧] . اما صباح الدين فقد القى بنفسه خاتمة طويلة مفعمة بمقتطفات من ديمولان . فقـد قارن تركية بدول امريكة الجنوبية ، واعلن (متابعاً في ذلك ديمولان) حيث كان الفرد يقاوم الجهد والابداع الذاتي ، مما ادى الى تدخل الدولة في الحياة الخاصة بطريقة تعسفية . ثم تابع خطابه بقوله ان التاريخ يظهر لنـا ان اعظم الشعوب واقواها في العالم هي التي بحثت في السياسة أقل ما يمكن [٨٨] .

والواقع ان أحمد رضا وصباح الدين لم يكونا بحاجة الى اضاعـة اي جهد . فلا خطـاباتهما ، ولا اي شيء مما قيل في مؤتمر ١٩٠٧ ، كان له اي اثر على ثورة تركية الفتاة اذ ان القرارات أصبحت تتخذ الآن في داخل الامبراطورية ، كما ان المنظمة الجديدة التي أصبحت تحمل الاسم القديم « لجنة الاتحـاد والترقي » لم تأبه باعضاء تركية الفتاة المقيمين بباريس .فالاتفاق مع الاتحاد الارمني الثوروي بدا قوياً مثلاً ، ولكنه ظل على مستوى نظري تماماً ، اي ان داشنا غتزوتيان والجماعات الأرمنية الاخرى ظلت نشطة في اثارة التذمر سواء قبل مؤتمر سنة

١٩٠٧ او بعده . ولم تعمل قط على الاتصـال بلجنة الاتحاد والترقي التي كانت في الواقع تبدي قليلاً جداً من العطف على آمـال اية جماعة من اقليـات الامبراطورية العثمانية [٨٩] .

لذلك ينبغي التأكيد هنـا على انه لم يوجد قط اي تنسيق بين الجماعات في داخل الامبراطورية وخارجها . فأحمد رضا لم يكن له اي تأثير مباشر على مجرى الأحداث ، حتى بعد أخذ الجماعة الثورية التركية اسم منظمته . حقاً انه انتخب فيما بعـد رئيساً للمجلس التركي الجديد ، ولكن هذا تم فقط اعترافاً بكفاحه الصلب ضد النظام السابق – ولان فلسفته كانت قريبة جداً من فلسفة من قاموا بالثورة . وحتى آنذاك لم تكن له اهمية خاصة في دوائر تركية الفتاة ، لان القوة الحقيقية كانت بايدي أناس ظلوا وراء الكواليس [٩٠] .

وفي أواخر سنة ١٩٠٦ حدثت عدة عصيـانات في الجيش التركي في عدة أماكن من البلاد ، وكانت أخطر الاضطرابات تلك التي قامت في أماكن نائية جداً من الأناضول . ومعظم العصيانات لم تكن اكثر من اضرابات لاجبـار الحكومة على دفع الرواتب المتأخرة جداً . وقد ازدادت هذه الاضرابات عندما اكتشف ان بالامكان الحصول على نتـائج مرضية بهذه الطريقة . صحيح ان الجنود لم تدفع رواتبهم بانتظام قط في عهد عبدالحميد ، غير انه لم يحـدث أبداً ان قامت الاضرابات والمظاهرات على مثل هذا المقياس . ثار جنود كانوا قـد استلموا أوامر للابحار الى اليمن التي كانت ، بالرغم من اسمهـا ، مصدر تعاسة للجنود الأتراك المعسكرين فيها .

وفي سنة ١٩٠٧ ازداد عدد العصيانات [٩١] ، ثم أخذ المدنيون ، خلال تلك السنة ، يشتركون فيها في الأناضول . فنشبت ضد الموظفين الفاسدين انتفاضات في بتليس ووان وارضروم وغيرها من المدن ، وقد قامت حركات شعبية لعزل الولاة والحـكام ، ولرفض القوانين الجديدة ، ولم يحـاول الجيش قمع تلك الحركات . ثم بدأت عصيـانات الجيش تنتشر ، ففي تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٠٧ حدث اضطراب في القسطنطينية نفسها ، وفي بداية سنة ١٩٠٨ امتد

الاضطراب الى ازمير وحتى الى سورية .

لم تكن هذه العصيانات مقصورة على الجندي العادي ، فقد انضم الضباط ايضاً الى الجنود مطالبين بالرواتب المتأخرة ، وكانت للضباط ظلاماتهم الخاصة التي يتشكون منها ، فقد كان من المستحيل تقريباً أن ينالوا الترقية على اساس المزايا والخدمة وحدهما . وقد استجيبت معظم المطاليب التي قدمها الجيش ، لأن عبد الحميد لم يجرؤ على السماح بتركه يخرج من بين يديه .

وخرافة صلابة عبد الحميد لم يثبت كذبها كما ثبت في علاقته مع جيشه الذي تركه يتفكك ثم حاول ان يستعيد تكوينه بعد ان فات الاوان .

وهكذا بدأ عبد الحميد يحصد ثمار حكمه السيء ، ان بعض هذه المصائب ترجع الى ان سنة ١٩٠٧ كانت سنة ازمة اقتصادية في الامبراطورية العثمانية ، ولكن لا جدال في ان دعاية تركية الفتاة كانت قد بدأت تظهر آثارها ، وتفيد من تذمر الناس والجيش على السواء . لقد كان عبد الحميد منذ سنوات يملأ الاناضول بالمبعدين السياسيين وهؤلاء هم الذين ساعدوا بصورة خاصة في ضعضعة الحكومة .

اما لجنة صباح الدين للامركزية الادارية والمبادرة الخاصة ، فيبدو انها كانت تركز جهدها على نشر الدعاية في آسية الصغرى بالتعاون مع الجماعات الارمنية ، ولكن يشك فيما اذا كان برنامجها مكتمل النمو ومتقدماً جداً عندما قامت الثورة . ومع ذلك فقد كانت دعايتها تلقى نجاحاً متزايداً على نفس الاتجاهات التي قررت في برنامج مؤتمر سنة ١٩٠٧ .

قامت لجنة الاتحاد والترقي في سلانيك ببعض اعمال الدعاية في وحدات الجيش التركي المعسكرة في أزمير واماكن اخرى في آسية الصغرى ، ولكن لم تجر محاولة لايصال التنظيم نفسه الى الاناضول على النطاق الذي عملت عليه في مكدونية ، وكان سلانيكلي ناظم نشطاً بصورة خاصة في هذا العمل . فقد أخذ يتجول في البلاد متنكراً بشتى الطرق ، زارعاً التذمر حيثما ذهب ، وقد استمر

يفعل ذلك اكثر من سنة قبل اندلاع الثورة . ولكم سرّ عندما علم ان عمله (وعمل الآخرين) كان ناجحاً ، لأن الجنود من آسية الصغرى تـآخوا مع جنود مكدونية عندما قام عبد الحميد بآخر محاولة للانتفـاع بالحركة بنقل الجنود من أزمير الى سلانيك .

وفي تموز (يوليه) سنة ١٩٠٨ اندلعت اخيراً ثورة تركية الفتاة « كصوت صاعقة رهيب » . [٩٢] ولم يكن هناك ما يميزها في البداية عن العصيانات الـتي اصبحت مألوفة في السنة السابقة ، لذلك فان معظم المراقبين للمسرح التركي آنذاك لم يعيروا أهمية كبرى للاخبار القائلة بتجدد الاضطراب في الجيش التركي الثالث بمكدونية بالرغم من ان بعض الانفجارات كانت من العنف بحيث تجاوزت النماذج المألوفة في العصيانات .

وقبل احداث تموز (يوليه) بامد بدأ يتضح لمن في قصر يلدز أن شيئاً اشد من المظاهر المحلية لمشكلة الاضطرابات السائدة كان قائماً . ولعل التلميحات الواسعة من مؤتمر العثمانيين الاحرار في سنة ١٩٠٧ كان لها بعض الاثر في اثارة الشكوك ، كما لاحظنا من قبل ، كما ان حجم لجنة الاتحاد والترقي نفسه لم يعد يمكنها من البقاء مختفية إلى الأبد في امبراطورية مليئة بالجواسيس كامبراطوريـــة عبد الحميد . ولم يتأخر اكتشاف الجمعية الا بسبب حسن تنظيمها ، ومع انه لم تظهر اية حادثة خيانة[٩٣] ، فانه لا بـد ان يتمكن جواسيس السلطان من الحصول على بعض المعلومات عن المنظمة ان عاجلاً او آجلاً .

وفي وقت متأخر من ربيع سنة ١٩٠٨ ، أرسلت أخيراً لجنـة الى سلانيك للقيام بتحريات دقيقة عن الاشاعات والتقارير التي بدأت تتكدس ، ومن المحتمل ان القصر تعود على مر السنين على الاخباريات الكثيرة والتقارير التي يرسلهـــا جواسيسه ، بحيث انه عندما بدأت التقارير في النهاية تعني شيئاً ، وجد الجواسيس انفسهم في وضع الولد الذي كان ينادي دائماً « الذئب الذئب ! » اي انه لما ارسلت اول لجنة الى سلانيك ، كان الاوان قد فات . إذ بينما كان ناظم بك ، وهو الذي عين قائداً عسكرياً لسلانيك للقيام بالتحري ، يغادر البلدة الى القسطنطينيـــة

لتقديم تقريره اطلقت عليه النار وجرح في حزيران (يونيه) ، فارتاع القصر وارسل حالاً لجنة أخرى بامرة اسماعيل ماهر باشا .

بدأت لجنة الاتحاد والترقي تشعر بالقلق بسبب الانتباه الذي وجه اليها. ولا يمكن الجزم فيما اذا كان قد حدد تاريخ معين لتبدأ فيه الثورة المزمعة ، ولكن من المحتمل القول بان الثورة لم توقت بحيث تبدأ في الوقت الذي بدأت فيه[٩٤] . لا شك ان الذي عجل باندلاع الثورة في صيف سنة ١٩٠٨ هو ان السلطان بدأ يشعر بالخطر ، كما ان الحالة الدولية صارت تزداد سوءاً من وجهة نظر صغار الضباط الشديدي التحمس للقومية ، والذين يكونون اغلبية المجتمع .

اما العامل الاخير اي الحالة الدولية ، فلعله بولغ في اهميته كسبب مباشر لثورة تركية الفتاة. صحيح ان اجتماع ريفال الذي تم بين ادورد السابع ونيقولا الثاني في ٩ و١٠ حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٨ اثار بعض الاهتمام لدى لجنة الاتحاد والترقي ، لازدياد الخوف من أن بريطانية كانت تستعد للتنازل عن معارضتها التقليدية للاطماع الروسية في الشرق الاوسط ، وان هذا قد يعني نهاية الحكم التركي في مكدونية ، وربما في كل تركية في اوروبة[٩٥] . ولا شك أن قوة هذه المخاوف ازدادت بالاخبار التي وردت عن قيام الاسطول الروسي «بمناورات روتينية » على سواحل البحر الاسود التركية بعد ايام قليلة[٩٦] .

اما الدافع المباشر للثورة فقد جاء بلا شك من ضرورة العمل قبل تحرك السلطان لتحطيم المؤامرة ، وقد اتفق موعد اجتماع ريفال مع الانفجار الاول العنيف ، ولعله اعطى التشجيع الاضافي الذي كانوا يحتاجونه لتحريك الامور . غير ان محاولة اغتيال ناظم بك في ١١ حزيران (يونيه) جرت لمنعه من العودة الى القسطنطينية بنتائج التحريات التي بدأت قبل اجتماع ريفال بأمد طويل . وفي ١٩ حزيران (يونيه) اصيب سامي بك ، مفتش البوليس في كروشيفو ، بجرح خطير . ثم اخذت الامور تتتابع بسرعة . فقد بدأت لجنة اسماعيل ماهر باشا تقترب تدريجياً من فهم الحالة الحقيقية ، والقي القبض على عدد من الضباط وارسلوا الى القسطنطينية للاستجواب .

وفي نهاية حزيران (يونيه) قرر ضابط صغير اسمه انور بك ، وهو عضو في لجنة الاتحاد والترقي ولكن اهميته لم تكن لتزيد يومها عن أي ضابط صغير آخر منتم للجمعية، ان اختفاءه في الجبال افضل له من تلبية الدعوة لزيارة القسطنطينية وقبول الترقية . وقد أثار اختفاؤه شيئاً من الهياج ، فكتب مراسل صحيفة فرنكفورت (Frankfurter Zeitung) في سلانيك يقول « يخشى ان يكون قد صار فريسة لاعضاء تركية الفتاة » (٩٧) .

وبعد بضعة أيام ، أي في ٤ تموز (يوليو) ، ذهب ضابط آخر اسمه نيازي بك الى الجبال لنفس الاسباب ، غير ان دوافع ذهابه لم تكن غامضة ، لانه اخذ معه عدداً كبيراً من الاتباع ، وجهز نفسه بكمية من الاسلحة والعتاد والمال ، اخذها من مخازن وحدته عند هربه . (٩٨) وسرعان ما انضم الى نيازي ضابط صغير آخر هو أيوب صبري ، ولكن لم يحدث حتى ذلك الوقت أية ثورة عامة .

لم يصدر في الحقيقة من سلانيك ما يشبه ان يكون امراً باعلان الثورة ، فقد تطورت الانتفاضة تلقائياً عندما انتشرت الاخبار من وحدة الى اخرى ، لأن لجان تركية الفتاة المتعددة في مكدونية لم تعتبر نفسها خاضعة لاوامر سلانيك . فعمر فوزي ماردين ، الذي كان وقت الثورة آمراً لمركز الجندرمة في جفجلي ، شمالي سلانيك ، يقول بصراحة ان اللجان المحلية في منطقته اتخذت بنفسها قراراً لاعلان الدستور ، وان تأثير سلانيك كان معنوياً فقط (٩٩) . ولكن من المحتمل انه لو لم تعلن الثورة في الوقت الذي اعلنت فيه ، لكانت لجنة سلانيك قد استطاعت الحصول من بقية المراكز على موافقتها على تاريخ معين . وقد اجمل شارلس رودن باكستون ، الذي كتب بعد الثورة مباشرة ، العلاقات بين مختلف الجماعات اجمالاً ممتازاً حيث قال « يبدو ان هذه المنظمة الواسعة الانتشار والمؤلفة من وحدات معزولة ، كان في عملها تعاون تام وان كان شبه لا شعوري » (١٠٠) .

اما قصة الادوار الاخيرة فمعروفة جيداً لدرجة انه لا حاجة لروايتها بتفصيل هنا . ويكفي ان نقول انه بعد ان قتل شمسي باشا ، وهو الذي كان السلطان قد عهد اليه بمهمة اخماد العصيانات في مكدونية ، واضحة النهار في شوارع

موناستير في ٧ تموز (يوليه) ، أخذت وحدات الجيش الثالث تتتابع معلنـــة المطالبة بالدستور ، وقد ارسل جنود من آسية الصغرى على جنـــاح السرعة ، ولكنهم كانوا آنذاك قد اصابتهم العدوى . ثم جاءتهم جرعة اخرى من الدعاية وهم على ظهر السفن التي تحملهم من أزمير الى سلانيك ، حتى اصبحوا ولا فائدة ترجى منهم للسلطان ابداً ، ثم انهالت النياشين والترفيعات والرواتب المتأخرة على ضباط الجيش والبحرية ، ولكن كل هذه التدابير كان قد فات اوانها . اما الألبانيون الذين كان عبد الحميد يعتمد عليهم دائماً ، فقد كانوا في حالة شديدة من القلق ، فانضموا الى المطالبين باعادة الدستور .

وفي ٢٤ تموز (يوليه) أصبح عبدالحميد مرتاعاً خائفاً على حياته التي كانت في الواقع الشاغل الوحيد للنظام الحميدي ، فانحنى امام القوة ، واعلن لشعبه ان دستور سنة ١٨٧٦ الذي كان يدخره لشعبه حتى يحين له الوقت للانتفاع به [١٠١] ، قد عاد الآن الى حيز التنفيذ[١٠٢]. فتمت الثورة بعد ان نجحت الى ابعد ماتصورته احلام اعضاء تركية الفتاة ، نظراً لانها انجزت بدون ان تراق قطرة دم .

لقد جنت كافة الامبراطورية العثمانية من شدة الفرح ، وكما قـــال وليم مللر[١٠٣] « لقد ظلت مكدونية بضعة ايام تبدو وكأنها جنـــة الله في ارضه ، فاعلن انور بك ان « الحكومة المتعسفة » قد « اختفت » ، ثم اعلن هذا القائـد المتحمس للثورة «فنحن منذ الان كلنا اخوان،لم يعد ثمة بلغار ويونان ورومانيون ويهود ومسلمون.اننا كلنا متساوون تحت نفس السماء الزرقاء. اننا نفخر بكوننا عثمانيين». وفي سيريس تعانق رئيس اللجنة البلغارية مع رئيس الاساقفة اليوناني، وفي دراما سجن الضباط الثورويون رجلاً تركياً لاهانته نصرانياً . وفي الاحتفال بتشييع جنازة ارمني اشترك الاتراك والارمن في الاصغاء الى الصلوات التي تلاها رجال الدين النصارى والمسلمون على ارواح ضحايا المذابح الارمنية. وفي سمسون قبل الاتراك لحية مطران يوناني ، وفي طرابلس اشترك الترك والعرب في صلوات الشكر ، واستسلمت عصابات البلغار ، واستقبـــل الشقي ساندانسكي كالابن الضال » .

لقد عادت الامبراطورية العثمانية اذا دولة دستورية مرة أخرى ، وظل عبد الحميد مدة سنة تقريباً يقوم بالدور الغريب جداً والثقيل عليه وهو دور السلطان الدستوري . وقد أثار احتفاظه بالعرش كثيراً من التقولات ، وبعض الشكوك حول اخلاص اعضاء تركية الفتاة الذين قاموا بالعمل سنة ١٩٠٨ ، خاصة وان عزل عبد الحميد كان الهدف الذي عملت تركية الفتاة عدة سنوات لتحقيقه ، وكان الهدف الوحيد الذي اتفقت عليه كافة الاحزاب والفرق ، واعتبر دائماً البلسم الذي لو تم لشفى مشاكل الامبراطورية العثمانية المحتضرة كافة .

اما سبب ابقاء عبد الحميد على العرش فهو بسيط : وهو ان لجنة الاتحاد والترقي لم تشعر بقوة كافية لعزله في سنة ١٩٠٨ ، كما ان السلطان هدأ هياجهم الى حد ما بالاذعان لطلباتهم باعادة الدستور ، وكان موفقاً جداً في اظهار ان هذه كانت فكرته ، يضاف الى ذلك انه بالرغم من السنوات التي اساء فيها الحكم ، فانه كان لا يزال محوطاً بتبجيل الاكثرية العظمى الجاهلة من الشعب التركي — او قل ان المكانة المحترمة التي شغلها ، كانت لا تزال تعي الشعب التركي عن صفاته الحقيقية . لقد كانت لجنة الاتحاد والترقي مكونة كلها تقريباً من الضباط ، وهم الطبقة المثقفة في تركية ، غير انهم كانوا مضطرين ، لتطبيق برنامجهم ، الى الاعتماد على افراد الجيش الذي كان يتكون من الشعب التركي على اختلاف اوضاعه . وكما لاحظنا من قبل[١٠٤] ، لم تتجرأ لجنة الاتحاد والترقي على نشر دعايتها بين الجنود العاديين ضد السلطان نفسه لان هؤلاء الجنود كانوا يبجلون السلطان لالمكانته كرئيس للدولة الثيوقراطية فحسب ، بل ايضاً للدور التقليدي للسلاطين الاتراك في قيادة الجيش في تلك الدولة العسكرية .

وفي الايام الاولى التي تلت اعادة الدستور اخذت لجنة الاتحاد والترقي تدرك جيداً قوة هذا الشعور حينما وصل ضباط الجيش الثالث الى ادرنه ، وحاولوا اثارة الناس على السلطان ، وقد روى القنصل البريطاني في تلك المدينة ، الشق الاول من الحادثة بالشكل التالي[١٠٥] :

« وصل هنا بعد ظهر امس بقطار خاص وفد مكون من ستة ضباط من

الجيش الثالث فارتفعت هتافات « عاش السلطان » ترددها الجماهير ، ثم خطب فيهم احد الضباط طالباً منهم ان يكفوا عن مثل هذه الهتافات ، لأن الدستور لم يعطه السلطان من تلقاء نفسه بل انتزع منه بجهود اللجنة .

« ثم تقدم الضباط لنزع كافة الشعارات التي كتب عليها « عاش السلطان » وكان كثير منها موضوعاً على المحطة . ويبدو ان هذا العمل ايده الجنود كافـة . واعتقد ان الضباط يعتبرون هذه النقطة الحاسمة في اجراءات هـذا اليوم ، اذ مع ان افراد الجيش قد اقسموا يمين الولاء للجنة في السادس والعشرين من الشهر ، الا ان الضباط لم يكونوا واثقين من الموقف الذي يتخذه الجنود تجاه هذا العمل ».

غير ان الضباط سرعان ما خاب أملهم في ان الازمة مرت . وقد كتب السفير البريطاني الجديد ، السر جيرارد لاوثر ، تقريراً الى لندن في ٤ آب (اغسطس) عن الحالة في ادرنه [١٠٦] جاء فيه :

« وفي اليوم الاول من اب (اغسطس) ... حدث رد فعـــل عنيف ضد الشعور القوي الذي عبّر عنه في مساء الثامن والعشرين من تموز (يوليه)، اذ ثار الجنود ضد ضباطهم ، واعلنوا انهم كانوا يعتقدون ان هدفهم (الضباط) هو قتل السلطان او عزله ...

« وقد اصر الجنود على ارسال وفد منهم مكون من ٣٠٥ جنـــدي الى القسطنطينية ليؤكدوا للسلطان ولاءهم ، وليتأكدوا بانفسهم ان السلطان حي وفي أمان » .

اما في القسطنطينية نفسها فقد كانت اللجنة ضعيفة بصورة خاصة ، لأنه لم يجر في هذه المدينة عمل هام نظراً لأن الاندفاع سنة ١٨٩٧ كان قـد دمر روح الحركة . وكان هذا العامل مهماً ايضاً في ان اللجنة قررت عدم التشديد في هذه القضية [١٠٧] [اي خلع السلطان] غير ان الذين زودوني بالاخبار من الاتراك اتفقوا بالاجماع على ان عبد الحميد تقرر ابقـاؤه على العرش في سنة ١٩٠٨ ، لأن لجنة الاتحاد والترقي لم تشعر ان بامكانها تعريض المكاسب التي جنتهـا للخسارة

باثارة مسألة عزل السلطان [١٠٨] . وقد يسرت لهـم خبرتهم مع الجندي التركي العادي في ادرنه فكرة عما قد يحدث لو قرر عبدالحميد اللجوء الى تعصب الشعب التركي ، حيث كان لا بد ان يؤدي ذلك الى سفك كثير من الدماء ، وقد تصبح القضية ضدهم . غير ان فشلهم في عزل السلطان لم يعن ان لجنة الاتحـاد والترقي نسيت سوء حكم عبد الحميد ، او انها قدرت اهمية اعلان رضاه بالنظام الجديد [١٠٩] . ان عدم ثقتها به يبدو بصورة جلية وواضحة في ابقاء مقر لجنة الاتحاد والترقي في سلانيك .

الفصل الخامس

الاستنتاجات - الفشل في عزل عبد الحميد
دور الدول الكبرى - الخاتمة .

ليس مما يدخل ضمن نطاق هذه الدراسة فحص نتائج ثورة تركية الفتاة – سواء داخليا او خارجيا . غير ان تحليل اصول تلك الثورة لن يكون كاملا ان لم يلتفت الى احتمال وجود المؤثرات الخارجية على الثورة . لقد قيل مثلا ، ان ثورة سنة ١٩٠٨ حرضت عليها المانية ، واساس هذا الاعتقاد نجده في حقيقة ان النفوذ الألماني اصبح متفوقاً في تركية خلال فترة قصيرة بعد الثورة . غير أن هذه النظرية لا تأخذ بعين الاعتبار ان التأثير الالماني كان متفوقا من قبل الثورة ، وانه لا يوجد سبب يحمل المانية على المجازفة بالمنزلة المرضية التي كانت لها عند حدوث الثورة .

واذا رجعنا قليلا الى الوراء ، فينبغي ان نلاحظ ان سياسة الكر والفر التي اتبعها عبد الحميد في السياسة الخارجية ، كانت قد اتخذت تدريجيا نقطة او نقطتين بارزتين . ففي مطلع القرن كان قد بدأ ينظر الى المانية وكأنها الدولة الوحيدة الصديقة لتركية ، او له شخصياً – ان استعملت التعبير الذي كان من الممكن ان يستعمله عبد الحميد . وكانت زيارتا الامبراطور الالماني في سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٨ ذات اهمية كبرى ، وقد تمت الزيارة الاخيرة في وقت لم يكن احد من الملوك يرضى ان يلوث نفسه بزيارة « السلطان الاحمر » . وقد اتبعت المانية

باستمرار سياسة تجنب اي عمل قد يجرح السلطان ، فامتنعت مثلا عن القيام بالمظاهرات البحرية التي كانت تقوم بها بعض الدول احيانا لفرض ارادتها على عبد الحميد . لقد كان السلطان يدرك ان الالمان كانوا يلعبون لعبة بارعة لمنفعتهم الخاصة ، غير انه اعتاد ان يقول عنهم « ان الالمان يفعلون اقصى ما يمكن عمله من الخير ، بينما تقوم بقية اوروبة بايذائي باقصى ما تستطيع » (١) !

وفي اقصى الطرف الآخر من حيث التأثير في سنة ١٩٠٨ ، كانت تقف انكلترة ، المدافعة التقليدية عن صيانة الامبراطورية العثمانية . لقد كان عبد الحميد عنيفاً في كرهه للانكليز الذين ينسب اليهم معظم مشاكله مع الاقليات في الامبراطورية . وقد اخذت انكلترة تتخلى تدريجيا عن دورها كحامية للرجل المريض ، وذلك بسبب تبدل العلاقات البريطانية التركية ابان حكم عبد الحميد . وكان سالسبوري مستعدا منذ سنة ١٨٩٥ للاسهام في تجزئة الامبراطورية العثمانية ، ولكنه لم يستطيع اقناع الدول الاخرى بان بريطانية لا مصالح لها ، رغم انه كان مستعدا للموافقة على المطامح الروسية (٢) . وبعد بضع سنوات اعار غراي اذنا صاغية لمطاليب ازفولسكي القائلة بحاجة روسية الى البحر . ولم ترجع انكلترة الى سياستها القديمة ولو موقتا الا بعد ثورة سنة ١٩٠٨ ، وذلك لان انكلترة كانت قد فقدت كل امل في تحسين وضعها في تركية الى ان الجمت الثورة عبد الحميد .

وقد تمتعت روسية ، من بين الدول الكبرى الاخرى ، باحسن سمعة عند السلطان . فبعد مؤتمر برلين طوت هذه مطامحها في المضايق موقتا ، وظهر نوع من العلاقة الشخصية بين اسكندر الثالث وعبد الحميد . (٣) ويبدو ان السلطان كان معجبا بأساليب القياصرة الاوتوقراطية (٤) . وعلى اي حال ، لم تكن روسية تلح في الحصول على حل ملائم لمسألة الشرق الاوسط ابان الجزء الاكبر من عهد عبد الحميد ، لان انظارها اتجهت نحو الشرق الاقصى ، ولانها كانت ، على وجه العموم ، قانعة بابقاء الحالة القائمة في الشرق الادنى على ما هي طول المدة بين مؤتمر برلين والحرب الروسية اليابانية . وعلى اي حال فان موقف اعضاء

تركية الفتاة المعادي لروسية كان معنـاه ان النفوذ الروسي سيتضاءل حتما اذا تولى اعضاء تركية الفتاة الحكم .

اما دولة « النمسا — المجر » فقـد كان السلطان يمقتها ، غير انه اعتمد على أصدقائه الألمان في ابقاءها مع الجانب الصديق . لقد كانت هذه الامبراطوريـة الثنائية مليئة بالمصاعب الداخلية ايضا ، لذلـك كانت تحرص على تجنب بحث الوضع في الشرق الادنى ، وقد عقدت لهذا الغرض اتفاقية مـع تركية في سنة ١٨٩٧ جعلت كلاً من هاتين الدولتين حرة في توجيه اهتمامها الى ميادين اخرى . وقد اتفقت الدولتان ، بموجب هذه الاتفاقية ، ان تبقيا على الوضـع القائم في الشرق الادنى اطول مدة ممكنة . امـا دولة « النمسا — المجر » فـكانت ، كروسية ، لا تجني شيئاً من تقوية الامبراطورية العثمانية ، لذلـك كان استيلاء ايرنتال على البوسنة والهرسك بعد الثورة بامدقصير يظهر خوفه من انحكومة تركية الفتاة ستصبح اقوى بكثير من حكومة عبد الحميد ، بحيث قـد تزداد صعوبة الحاق هاتين المقاطعتين بدولته .

اما فرنسة فكانت لها عدة مصالح في الامبراطورية العثمانية ، وكان يهمهـا بقاء الامبراطورية نظراً لرؤوس اموالها الكبيرة الموظفة فيها ، رغم انها كانت تجد نفسها احياناً مضطرة الى الضغط على حكومة السلطان ، اما وحدهـا او بالاشتراك مع دول اخرى ، بسبب هـذه الاموال الموظفة وبسبب دورها التقليدي كحامية للكاثوليك في الامبراطورية العثمانية ، غير انها لا بد انها كانت ترحب بحل لمسألة الشرق الادنى ، اذا كان ذلك الحل يقلل من نفوذ المانية دون ان يمس المصالح الفرنسية ، لذلك يمكن القول بان فرنسة لم تكن لها رغبة قوية في ابقاء الوضع القائم الى الابد، اكثر من الميل التقليدي لمعظم الدول في التأجيل بدل مواجهة المشاكل التي لا بد ان تنجم عن اي تبدل في الحالة .

أما ايطالية ، وهي الدولة الكبرى السادسة في سنة ١٩٠٨ ، فـلا جدال بانها كانت تشعر ان بقاء الوضع القائم يخدمها لدرجة كافية حتى يأتي الوقت الذي تتفكك فيه الامبراطورية. لقد كانت اعينها متجهة الى طرابلس الغرب ،ولكن

كما لاحظ جوليتي (Giolitti) في مذكراته [٥] :

« لم يكن من الضروري اللجوء الى التدابير العسكرية لحل المشكلة الليبية أبان حكم عبد الحميد ، الذي كنا نستطيع ان نحصل منــــه على امتيازات ذات طابع اقتصادي وقانوني بشكل يضمن المصالح الايطالية ضد اية دولة اخرى تستهدف التوسع » .

ويتبين مما تقدم ان انكلترة هي اقرب المرشحين المنطقيين لأن تتشرف بخلع عبد الحميد ، اذ انها وصلت الى الدرجة التي لا تفقد معها شيئاً بقلب النظام القائم في الامبراطورية العثمانية . اما بقية الدول فكانت كلها ، ما عدا المانية ، ذات مطامع اقليمية في الشرق الادنى ، غير ان عدة اسباب كانت تجعلها تخشى اثارة القلاقل اكثر مما تريد تحقيق هذه الاطماع . يضاف الى ذلك ان انكلترة كانت الدولة الوحيدة ، فيما عدا فرنسا ، التي تستطيع ان تفكر ، دون خوف في تأسيس حكومة اقوى في تركية .

ليس من العجيب اذاً، ان نجد ان انكلترة ساندت حركة تركية الفتاة ، غير ان المرء بعد دراسة اصول الثورة يضطر الى الاستنتاج بان ثورة تركية الفتاة لم تسندها اية دولة اجنبية ، او حتى ان أياً من هذه الدول كان على عـــلم سابق بالثورة . ويؤيد هذا الاستنتاج عدد من العوامل .

فاولا ينبغي ان نتذكر ان اعضاء تركية الفتاة في سنة ١٩٠٨ ، وهم لجنـــة الاتحاد والترقي ، كانوا يعارضون بشدة التدخل الاجنبي في شؤون الامبراطورية العثمانية ، وان الخوف من تدخل اجنبي جديد كان أحـــد العوامل التي اعطت الثورة دافعها الأول .

لعل التكهنات عن وجود تأثير اجنبي في الثورة نجمت عن عدم المعرفـــة الدقيقة للاشخاص الذين صنعوا الثورة بالفعل . لقد اشرنا من قبـل الى ان احمد رضا كان « وضعياً » ، كما ان ثمة دعوى تقول بان صباح الدين كان تحت تأثـــير الكاثوليكية الفرنسية ، بل وحتى تحت تأثير آل اورليان[٦] . ولكن ان

يستنتج من هذه الحقائق والمدعيات ان ثورة تركية الفتاة كانت من ايحاء فرنسة او انها دفعت من قبل « الوضعيين »، او الكنيسة الكاثوليكية ، هي أكثر إثارة للسخرية من الادعاء الاوسع انتشاراً بان الثورة كانت من انتاج الماسونية الدولية(٧) . ويتجلى من التحليل النهائي ان اعضاء تركية الفتاة في باريس والمراكز الاوربية الأخرى كان دورهم المباشر في الثورة ضئيلاً او معدوماً عند قيامها . ان صباح الدين لم يكن عضواً في لجنة الاتحاد والترقي، وحتى احمد رضا، كما رأينا من قبل ، تجاهلته الجمعية التي كانت تعمل في داخل الامبراطورية الى حد كبير .

ولكن اكبر برهان مقنع على ان ثورة تركية الفتاة لم تغذها المؤثرات الخارجية هو عدم وجود اي دليل مقنع يعارض ذلك اطلاقاً ، وكما لاحظ كاتب مجهول الاسم(٨) كتب بعد قيام الثورة ببضعة اسابيع يقول :

« ولعل اغرب من الانتشار المفاجيء الكاسح للثورة ، هو عدم رؤيتها قبل حدوثها مطلقاً . لقد كانت اكداس الكتابات الرسمية وغير الرسمية تتراكم فوق بعضها بجميع اللغات. لقد كان هناك كتب زرقاء وكتب صفراء وكتب خضراء وكتب اخرى — مجلدات لا تنتهي من كافة ألوان قوس قزح ، غير انه فيما يظهر، لا توجد كلمة واحدة في هذه المجموعات يمكن اعتبارها انها تشير الى احتمال وقوع ما وقع. ومع ان البارون مارشال ، في القسطنطينية هو من اقدر الرجال واكثرهم خبرة في الخدمة الدبلوماسية لاية امة، الا ان من الواضح ان ولهمشتراس (وزارة الخارجية الألمانية) لم تكن دهشتها اقل من وزارة خارجية اية امة اخرى » .

لقد برر الزمن تأكيد الكاتب الذي اقتبسنا منه النص المذكور اعلاه . فان مجموعات الوثائق الكبيرة التي نشرتها مختلف الحكومات الاوروبية بعد الحرب العالمية الاولى لا يستطيع المرء ان يجد في اي منها ولو اشارة الى ان اية وزارة كانت تعرف مسبقاً شيئاً قط عن ثورة تركية الفتاة قبل حدوثها ، كما لا توجد اشارة الى اية دولة كانت تشجع الثوار . وفي ١٠ تموز (يوليه) سنة ١٩٠٨ ، أي

قبل اسبوعين من اعلان الحكومة الدستورية في تركية ، كتب كيدرلين واختر Kiderlen - Waechter ، الممثل السياسي لألمانيـــة في القسطنطينية الى حكومته ان :

« تبعاً للفكرة السائدة يمكن ان نقول ان الذين يعتبرون اعضاءً في « تركية الفتاة » هم اولئك الذين قد امتلأوا بالافكار الأوروبية او على الاصح الذين سرت اليهم اكثر من غيرهم عدوى هذه الافكار الغربية دون التعمق في معرفتهـــا ، والذين يحلمون «بإصلاح» وطنهم عن طريق ادخال ما يدعى بالمؤسسات البرلمانية التي تتبع نموذجاً اوروبياً . ولست اعتقد ان هؤلاء المتحمسين هم كثيرو العدد ، واعتقادي بانهم خطرون بصورة مباشرة . هو اضعف من ذلك »[٩] .

ان احد التعليقات التي اشتهر امبراطور المانية بتدوينها على هوامش الكتب ، اقتبست كدليل على ان الثورة كانت من ايحاء المانية :

« ان الثورة لم يقم بها « اعضاء تركية الفتـــاة » من باريس أو لندن ، بـــل قام بها الجيش وحده ، والحقيقة انه لم يقم بها الا من يسمون (الضباط الالمان) اي الذين تعلموا في المانية . انها ثورة عسكرية صرفة . ان لهؤلاء الضباط سيطرة على الأمور وهم من محبي المانية على الاطلاق [١٠] .

غير انه من الواضح ان القيصر عندما قال ان اعضاء تركية الفتاة كانوا من الميالين للالمان كان يقصد انه واثق من ان التدريب الالماني جعل الضباط الذين لعبوا دوراً رئيسياً في الثورة ، ميالين لألمانية [١١] . وهذه نبؤة بارعة ولا شك في ان القيصر اطلع جيداً على الحالة بعد ان حدثت الثورة ، رغم انه كان مخطئاً في افتراضه ان « الضباط الالمان » كانوا وحدهم مسؤولين عن الثورة . فأنور بك وهو اشدهم حباً للالمان ، لم يصل الى أعلى مركز الا نتيجة ظروف آنية .

اما انكلترة فقد كان جهلها بالاحداث قبل وقوعها واضحاً ، فالسر جيرارد لاوثر السفير البريطاني الجديد في تركية ، كان في الواقع في طريقه الى وظيفتـه الجديدة عندما حدثت الثورة ، وعند وصوله استقبلته الجماهير بالهتاف والترحيب .

ومن الاشاعات التي انتشرت آنذاك في شوارع القسطنطينية ، هي ان الدستور كان هبة من الحكومة البريطانية [١٢]. لكن على نحو ما جاء في رسالة من السر ادورد غراي الى السير جيرارد في ٣١ تموز (يوليه) « ما اضعف ما تصورنا ، انت وأنا ، عندما تعينت نوع الاستقبال الذي كنت ستحظى به بالفعل »[١٣] .

ولو تركنا الادلة ، او قل فقدان الادلة ، في مجموعات الوثائق المتوفرة [١٤] ، فان المصادر التركية تجمع على انكار وجود أي سند من أية دولة اجنبية للحركة او حتى اي معرفة بها قبل حدوثها . فقد كتب رضا توفيق بك مثلاً :

لقد أصيبت جميع السفارات في اسطنبول بدهشة مكدّرة نتيجة لاندلاع الثورة الفجائي . انهم لم يكونوا يتوقعونها قط ، فقد كانت في غير اوانها ، وكنت آنذاك عضواً مهماً في اللجنة المركزية ، ومسؤولاً عن السيطرة على العاصمة وحفظ النظام فيها . وكان معي ضابط صغير ، فكنا نقود الجماهير في المظاهرات التي قامت امام السفارات ، لقد استقبلونا ببرود . انك تعلم ان موقف دولة « النمسا – المجر » وبلغارية بعد اعلان الدستور مباشرة ، انها لم تظهرا كثيراً من الصداقة لنا » . [١٥]

لقد لاحظنا من قبل ان لجنة الاتحاد والترقي نمت وانتشرت في مكدونية تحت سمع وبصر الضباط الاوروبيين المقيمين هنا بموجب اتفاقية مورزستيج[١٦] ، ويمكننا ان نضيف الى ما ذكرناه عن ذلك الموضوع ، شهادة المؤرخ النمساوي الشهير هنريخ فريديونغ « حتى الجنرالات الالمان والضباط المدربون لم يعلموا بما كان يعده الضباط الذين يدربونهم » .[١٧] ثم ان الجنرال فون در غولتز ، الذي امضى سنوات عديدة يدرب الجيش التركي ، كتب بعد الثورة بأمد قصير « لقد انتقد دبلوماسيونا عن غير حق لعدم تنبؤهم باحداث ٢٤ تموز (يوليه) . ومن المؤكد ان كثيراً من الذين اسهموا فيها مباشرة ادهشهم حدوثها »[١٨] .

فثورة تركية الفتاة اذا كانت مشروعا تركيا صرفا ، ثورة قومية استهدفت الاطاحة بنظام عبد الحميد ، لتحل محله حكومة اقوى قد تستطيع ان تضع حدا للتدخل الاجنبي ، وللاوضاع التي لا تطاق والتي كان الاتراك يرزحون

تحتها منذ تسلم عبد الحميد العرش . لقد كانت الثورة حرة الى حد ما ، اي ان حريتها كانت حرية بدائية فجة مأخوذة من اوروبة الغربية ، ومسؤولة الى حد كبير عن نمو القومية التركية . غير ان العناصر القومية كانت ترجح كثيرا على عوامل الحرية ، كما هو الحال دائما . اما العناصر غير التركية في الامبراطورية العثمانية فلم يعرها اعضاء تركية الفتاة المنتصرون الا قليلا من التفكير ، اللهم الا ان عليها ان يصبح ابناؤها جميعا عثمانيين في امبراطورية قوية منتعشة قادرة على رفع رأسها بين مجموعة الامم . اما الحزب « الحر » الذي كون المعارضة في السنوات التالية للثورة ، فكان يتكون بالدرجة الاولى ممن كانوا قبل الثورة يميلون الى اراء صباح الدين ، غير انهم في الحقيقة لم تتوفر لهم اية فرصة قط .

ومع هذا فقد كان بامكان اعضاء تركية الفتاة ان يتاح لهم مجال للعمل من أجل مستقبل افضل لأمتهم ، لولا انهم شعروا حالاً بضغط الاستعمار الاوروبي . فلم تكد الثورة تتم حتى اقتطع النمساويون مقاطعتي البوسنه والهرسك اللتين كان اعضاء تركية الفتاة يأملون استعادتها ، رغم ان الترك كانوا قد فقدوهما منذ سنة ١٨٧٨ . اما انكلترة التي كان مركزها ممتازا بعد الثورة مباشرة ، فقد اساءت ادارة الامور لدرجة جعلت اعضاء تركية الفتاة ينقلبون ضدها من جديد . اما ايطالية فقد اقتطعت من الامبراطورية املاكا جديدة ، واخيرا عاد الشعور لاعضاء تركية الفتاة انه لم يعد لهم من صديق سوى المانية .

ومن ناحية اخرى ، فربما لم يكن لاعضاء تركية الفتاة أي امكانية للنجاح في النهاية ، لقد كانوا غير مجربين ، وكانوا يمتلكون امبراطورية كانت ، كامبراطورية الهابسبرج، تغلي بحركة قومية في مراحلها الاولى . لقد كان ارتكابهم الاغلاط امراً طبيعياً ، ولعل اكبر اغلاطهم هي انهم احتفظوا بلجنة الاتحاد والترقي لتسير الامور كحكومة خفية تلعب من وراء الستار ، بدل ان يظهروا بصورة علنية ويفسحوا المجال لتجربة الحكومة البرلمانية . غير انهم اضطروا الى عدم القيام بذلك بسبب شعورهم بانعدام الامان ، وهو السبب الذي جعلهم يبقون عبد الحميد على العرش .

غير انه يبدو ، في نهاية الامر ، ان الاتراك على الارجح لم يكونوا يستطيعون حل المسألة الشرقية بانفسهم ، تلك المسألة التي ظلت مدة قرنين من الزمن او يزيد تلقي ظلالها على اوروبة . ولم يكونوا ليؤملوا النجاح الا بفصل المناطق غير التركية ، وتأسيس امة تركية ، لا عثمانية . ذلك ان تيار الزمن كان يجري ضد الدول المتعددة القوميات .

الهوامش

(١) سنحتفظ بالتهجئة التركية (القديمة) لاسماء الصحف (المترجم) .

(٢) انظر هامش ١٤ فيما يلي .

(٣) انظر عن مدحت باشا : Ali Haydar Midhat, The Life of Midhat Pasha :A Record of his Services, Political Reforms,Banishment, and Judicial Murder (London, 1903) ; Sir William Miller, The Ottoman Empire and its Successors(rev. and enlarged ed; Cambridge, 1936), chap. xv ; محمد زكي باكالين : مدحت باشا (استانبول ١٩٤٠)

(٤) ان كتاب محمد زكي باكالين ، محمود نديم باشا (استانبول ١٩٤٠) هو الكتاب الوحيد عن سيرة هذا المنافس العظيم لمدحت باشا .

(٥) Donal C.Blaisdell,European Financial Control in the Ottoman Empire : A study of the Establishment, Activities,and Significance of the Administration of the Ottoman Public Debt (New York, 1929) P.1.

(٦) The Making of Modern Turkey : From Byzantium to Angora (London, 1936) P.123 .

(٧) لا جدال في ان عبد العزيز انتحر بمقص ، كما تبين شهادات الاطباء الملحقين بمختلف السفارات في القسطنطينية ، الذين استدعوا على عجل لفحص جثته . غير ان عبد الحميد رفض فيما بعد قبول هذه الشهادة لما حوكم مدحت باشا

بتهمة قتل عبد العزيز .

(٨) اقتبسها Philip P. Graves, Briton and Turk (London. 1941) p. 30 .

(٩) Elizabeth Wormeley Latimer, Russia and Turkey in the Nineteenth Century (Chicago, 1893), p. 343 .

(١٠) انظر عن المسألة الارمنية التي لا تزال موضع جدل عنيف William L . Langer , The Diplomacy of Imperialism (New York, 1935) vol. I Chaps. V and X, فهو يقدم رواية مجردة مدعمة بالوثائق . ويظهر لانغر بصورة نهائية ان المذابح اثارها عمدا الثوريون الارمن .

(١١) Richard Davey, The Sultan and his Subjects (New-York , 1897) Vol. L, p. 197 .

(١٢) هذا على الاقل ما تقوله المصادر الاوروبية ، غير ان الدكتور عدنان أديوار من استامبول ، وهو رجل واسع الاطلاع ، يشك في هذه النقطة .

(١٣) « Personal Recollections of Abdul Hamid and his Court » Nineteenth Century, L XVI (July 1909) p. 69 .

(١٤) ان علي سوافي افندي الذي كان عضوا في « يني عثمانليلر » والذي كان قد حرر مجلة تركية الفتاة « مخبر » في لندن في العقد السابع من القرن التاسع عشر ، حاول في ٢٠ ايار (مايس) ١٨٧٨ ان ينقذ مراد الخامس من قصر جراغان حيث كان قد وضعه عبد الحميد . غير ان علي سوافي والعدد القليل من اتباعه لم يكونوا يعملون لحساب منظمة تركية الفتاة الواسعة الانتشار ، وان تلك المحاولة الفاشلة ساعدت على تثبيت السلطان في طريق الرجعية الذي كان يسلكه .

(١) هناك اختلاف كبير في الرأي بين مختلف المصادر حول التاريخ المضبوط لتكوين هذه المنظمة ، وقد اعتبرت سنة ١٨٨٩ متابعاً بذلك بصورة خاصة مذكرات مؤسس الجمعية ابراهيم تيمو : « اتحاد وترقي جمعيتين تشكيلو وخدمت وطنيت وانقلاب مليه دابر خاطراتم » (مجيديه ، رومانية ١٩٣٩) ص ١٨ . انظر ايضاً مادة « عبد الحميد » في دائرة المعارف الاسلامية التي نشرها الاتراك « اسلام انسكلوبيديسي » ج اص ٧٨

(٢) ابراهيم تيمو . المصدر السابق ص ١٤ — ١٥

(٣) المصدر السابق ص ١٦ — ١٨ ؛ احمد بدوي كوران في كتابه « انقلاب تاريخيميز واتحاد وترقي » (استانبول ١٩٤٨) ص ٦١ وهو يضيف الى هذه القائمة شخصاً آخر هو حسين زاده علي من باكو ، كما يلاحظ ايضاً ان بعض المصادر تدخل اسماء حكمت امين واسماعيل ابراهيم .

(٤) نظراً لأن التسمية بالاسر لم تكن معروفة في تركية آنذاك ، فقد كان من المألوف تمييز الشخص باعطاء لقبه او بذكر اسم بلده الاصلي مع اسمه ، وهكذا فان شرف الدين مغموهي معناه شرف الدين المغموم . اما « كريتلي » فمعناها ان شفيق اصله من كريت ، و « مكيلي » تدل على ان صبري من أهل مكة ، و « شركسي » تبين ان محمد شفيق اصله من الشركس القوقازيين .

(٥) رسالة فهمي جانر المؤرخة ٢٥ آذار (مارس) ١٩٤١ ، ورسالة المرحوم الدكتور عاقل مختار اوزدن المؤرخة ٤ أيار (مايس) ١٩٤١ . ولتفسير

طبيعة هذه الرسائل والرسائل الاخرى التي سنذكرها ادناه ، انظر بحث المصادر في نهاية هذا الكتاب . ويشير جانر بصورة خاصة الى انه اخذ هذه القصة من تيمو سنة ١٩٠٨ غير ان تيمو يشر في مذكراته الى زيارته لايطالية .

(٦) جانر في المصدر السابق .

(٧) رسالة فضلي تونغ المؤرخة ٢٠ أيار (مايس) ١٩٤١ . انظر ايضاً
Paul Fesch, Constantinople aus derniers Jours D'Abdul-Hamid (Paris, 1907), p. 330 .
يذكر فيش ايضاً ان كل عضو كان لا يعرف الا الشخص الذي رشحه والشخص الذي كان يأتيه بالتعليمات من اللجنة . اما عاقل مختار اوزدن ، المصدر السابق ، فيقول ان كل عضو كان يعرف خمسة آخرين ، ويبدو في الواقع انه لا يمكن تطبيق مثل هذه القواعد بسهولة ، نظراً لأن الطلبة كانوا يعيشون في منطقة محصورة . وتيمو (المصدر السابق ص ٢٠) لا يشير فقط الا الى ان رقمه في الجمعية هو « ١/١ » .

(٨) تيمو : المصدر السابق ص ١٩ — ٢١ . انظر ايضاً مقالة ك . سوسهايم « عبدالله جودت » في ملحق دائرة المعارف الاسلامية (١٩٣٨) ص ٥٦ . وهذه الرواية تفصل الاجتماعات الاولى . ويكتفي فضلي تونغ (المصدر المذكور اعلاه) بالقول بان الطلبة اعتادوا الجلوس في الغرفة الخشبية قرب الحمام والبحث في تنظيم الجمعية .

(٩) تيمو المصدر الآنف الذكر .

(١٠) لما كانت مذكرات تيمو قد طبعت بعد خمسين سنة من تلك الاحداث ، فاننا لا ندهش اذا وجدنا بعض الفجوات القليلة في ذاكرته ، فقد يكون الثلاثة الذين لم يورد اسماءهم هم بعض من ذكرت المصادر الاخرى من اعضاء الجمعية الاول .

(١١) تيمو المصدر الآنف الذكر . انظر ايضاً المقالة الممتازة التي كتبها
General Major Z . D. Imhoff « Die Entstehung und der Zweck des Comités für Einheit und Fortschritt,» Die Welt des Islams, I (1913), pp . 171 - 172 . وتحوي مقالة امهوف اخباراً منوعة جمعها عندما

كانت جديدة في اذهان المسهمين ، على أمل ان تفيد كنقطة بدايـــة لمن يؤرخ الحركة في المستقبل . لقد كان مراقباً يعتمد عليه ، ومعلوماته تكاد تطابق تماماً تقريباً ما رواه تيمو والآخرون .

(١٢) بالاضافة الى رسائل فضلي تونغ وفهمي جانر التي اقتبسناها آنفاً، انظر رسائل عمر فوزي ماردين المؤرخة ٤ آذار (مارس) ١٩٤١ ، ورسالة ناهـــد كروان غير المؤرخة . وهذه الرسالة الاخيرة تذكر انه عندما كان طالبـــاً في المدرسة العسكرية بين سنة ١٨٩٦ – ١٨٩٧ لم يكن منضماً الى هذه الجمعية إلا عشرة او اثنا عشر بالمئة من الطلبة ، غير انها كانت « اوسع انتشاراً من هـــذا بكثير » في الحربية او الكلية العسكرية وخاصة في مدرسة الطب العسكري .

(١٣) Paul Monroe , « Education » , in Eliot Grinnell Mears, Modern Turkey (New York , 1924) p.125 .

ويجب ان نشير الى ان جامعـة استانبول ، كما تدعى الآن ، يمكن ان نرجع اصلها بشكل من الاشكال الى القرن السادس عشر ، رغم انـــه حدثت عدة مناسبات توقف الجامعة اثناءها عن العمل .

(١٤) عن المدارس العسكرية واثرها انظر :

Lieutenant - Colonel Malleterre « L'Armée Jeune - turque , » Revue des Sciences Politiques , xxvl (September , 1911) , pp . 734 - 755 , and especially pp. 737 - 739 .

(١٥) سوسهايم : المصدر الانف الذكر ص ٥٥ .

(١٦) انظر : Otto Hachtmann , « Abdullah Dschewdet als übersetzer , » Islamische Welt , 1 (1917) , pp. 526 - 529 .

ومن الواضح ان كافة الترجمات التي قام بهـــا عبد الله جودت من الادب الأوروبي كانت من الطبعات الفرنسية .

(١٧) عاقل مختار اوزدن ، المصدر الانف الذكر .

(١٨) كذلك ؛ فضلي تونغ ، المصدر المذكور سابقاً ؛ رسالة من علي عثمان

اونبولاك مؤرخة ٢٠ آذار (مارس) ١٩٤١ ؛ سوسهايم (المصدر الانف الذكر ص ٥٦) يقول ان هذا حدث في سنة ١٨٩٢ بالضبط .

(١٩) عاقل مختار اوزدن ، المصدر الانف الذكر . اما فضلي تونغ في المصدر الانف الذكر فيكتفي بالقول بان الجمعية كشف عن وجودها كلام متهور غير مسؤول لبعض الاعضاء الذين اصبحوا شجعاناً جداً .

(٢٠) عاقل مختار اوزدن ، المصدر الانف الذكر .

(٢١) يذكر فهمي جانر (الانف الذكر) انه كان آنذاك ثلاثون الف من السوفتا . ومن المؤكد ان الحكومة كانت تنظر الى السوفتا بعين الريبة . ويقول السر تشارلس اليوت عنهم, Sir Charles Eliot,«Turkey in Europe» (new ed ., London , 1908) pp . 180 - 181 . « هناك عدة آلاف منهم في المراكز الدينية كالقسطنطينية وقونية غير انهم لم يتخذوا هذا المسلك من التعليم الديني حباً في الدين ، بل لرغبتهم في التهرب من الخدمة العسكرية ... » ثم يستمر في كلامه قائلاً « ان هذه الجماعات الدينية الكبيرة من الرجال الجاهلين المتعصبين ، ومعظمهم تتراوح اعمارهم بين العشرين والاربعين ، وليست لهم اعمال معينة ، كانت مصدراً دائماً للخطر ، وفي بعض الاحيان كانت الحكومة تفرقهم » . انظر ايضاً : Richard Davey, The Sultan and his Subjects (New York, 1897) , I , pp . 78 - 79.

(٢٢) كان قد أدى فريضة الحج فاطلق عليه هذا اللقب .

(٢٣) يقول فهمي جانر ان نائلي كان منضماً الى زاوية من زوايا الدراويش تدعى (جاي لق) غير اني لم استطع تعيين محل زاوية بهذا الاسم . وقد اخبرني الدكتور عدنان أديوار من استانبول ان نائلي كان عضواً في طريقة البدوية .

(٢٤) يقول فهمي جانر ان نائلي اسس مع الوزير سامي باشا زاده وآية الله بك جمعية الشبان العثمانيين « يني عثمانليلر » . يرى الاستاذ رودرك ه. دافيسون من جامعة جورج واشنطون وهو اختصاصي بموضوع « يني عثمانليلر » ، ان لا باشا زاده ولا الشيخ نائلي كان من مؤسسي هذه المنظمة .

(٢٥) Karl Blind , « Young Turkey » , Fortnightly

وانظر ايضاً عن خليل Review , LXVI (December , 1896) , p . 836 .
غانم : Blind's « The Prorogued Turkish Parliament » , North American Review CLXXV (July , 1902) p . 44 ; Heinrich Zimmerer«Die Europäische Türkei und Armenien»in Helmolt's Welt geschichte (Leipzig and Vienna, 1905) , Vol . v , p . 188 ; Fesch , op . cit ; pp . 13 , 316 , 321 , 324 - 325 etc ; Hans Kohn , « Der arabische Nationalismus » , Zeitschrift für Politik , XVII (1927) p . 29.

وانظر ايضاً الرسائل غير المطبوعة للدكتور علي عثمان اونبولاك وفضلي تونغ المذكورة اعلاه .

(٢٦) هناك بعض الاختلاف حول هذه النقطة . فبعض الكتاب يرون ان ام رضا هي هنغارية . أما K . Süssheim , « Der Zusammenbruch des türkischen Reiches in Europa » , Veröffentlichungen der Handelschochschule München , Vo . III , Die Balkanfrage (Munich , 1914) p. 91 . فهو يذهب الى درجـــة القول ان ابا رضا هو انـكليزي . غير ان هذا بلا شك سوء تفسير للقب علي بك « الانـكليزي » . اما خلوق ي. شهسواراوغلو فقـد ذكر في عدد ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٠ من صحيفة « جمهوريت » التي تصدر في الاستانة ان ام احمد رضا كانت نمساويـــة اعتنقت الاسلام .

(٢٧) انظر عن احمد رضا بصورة خاصة المقالات التي كتبها بلايند (المصدر المذكور اعلاه)؛ وفيش (المصدر المذكور اعلاه) فصل LaJeune Turquie; Baron (Bernard) Carra de Vaux , Les Penseurs de L'islam (Paris, 1921-1926) Vol . 5 , pp . 159 , ff ; John Macdonald, Turkey and the Eastern Question (London and New York 1913) , pp . 54 - 55 .

وكذلك الرسائل غـــير المطبوعة للدكتور عاقل مختـار اوزدن ورحمي بك وفهمي جانر والدكتور علي عثمان اونبولاك وفضلي تونغ .

(٢٩) فيش المصدر اعلاه ص ٣٣٥ .

(٣٠) Revue Occidentale, sec . sér.XII«January,1896» p.127.

لقد رحب « الوضعيون » في باريس بمدحت باشا وكرموه لما نفي سنة ١٨٧٨ . انظر : Revue Occidentale, Ire annés « September and November , 1878 » pp . 511 ff . and 630 ff .

(٣١) انظر ما يلي .

(٣٢) لقد ذهب رضا الى حد استخدام التقويم الوضعي في تعيين تاريخ (مشورت) . وقد استعمل هذا التقويم ١ كانون الثاني (يناير) ١٧٨٩ كنقطة بدأية له ، وقد اطلق على الاشهر والاسابيع وحتى الايام اسماء رجال اعتبرهم كومت اهم من في تاريخ العالم ، فأخذ اهم ثلاثة عشر منهم واطلق اسماءهم على الاشهر . وقد استخدم رضا التقويم الغريغوري ايضاً ، ولكنه تجاهل التقويم (الهجري) الاسلامي ، وقد أدى حذفه للتقويم الاسلامي الى ازدياد نفور الناس منه .

(٣٣) منقولة حرفياً في . Revue Occidentale, sec . sér.XII, P. 128

(٣٤) انظر ما سبق في الفصل الثاني لبحث مختلف المدارس الفكرية لتركية الفتاة .

(٣٥) رسائل الدكتور عاقل مختار اوزدن وفهمي جانر .

(٣٦) تيمو : المصدر المذكور سابقاً ص ٦١ وما بعدها .

(٣٧) رسالة جانر .

(٣٨) « ان نقل صحيفة من باريس الى ارضروم اسهل من نقلها من بيرا الى غلطه » Paul Fesch, Constantinople aux derniers Jours d'Abdul - Hamid , p . 328 .

(٣٩) رسالة فهمي جانر .

(٤٠) نفس المصدر .

(٤١) لمصر في كفاح تركية الفتاة دور غريب ، فخديوي مصر كانوا اسميا تحت سيادة السلاطين الترك ، غير ان العلاقة بينهم فقدت كثيراً من اهميتها بعد

احتلال البريطانيين لمصر سنة ١٨٨١ . وقد حاول عباس حلمي ، الذي اصبح خديوياً سنة ١٨٩٢ ، ان يجعل الارتباط حقيقياً اكثر ، فزار القسطنطينية عدة مرات ابان السنوات الاولى من حكمه . غير ان عبد الحميد سرعان ما نجح في اثارة شعور النفور في هذا الخديوي الشاب الذي تقاذفته الآراء فيما بعد بين الترحيب باعضاء تركية الفتاة ، والضغط عليهم وحملهم على مغادرة مصر . ويقدم ولفرد سكاون بلنت محادثة طريفة جداً مع الخديوي في يومياته في مطلع ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٥ ، وهي محادثة تظهر مدى سوء التصرف العجيب الذي كان يظهره عبد الحميد كرجل دولة. Wilfrid Scawen Blunt , My Diaries; Being a Personal Narrative of Events 1888 1914 (1 Vol edn., New York 1932) pp . 207 - 209 .

(٤٢) Franz Babinger , Die Geschichtsschreiber der Osmanen und ihre Werke « Leipzig , 1927 » p . 391 .
ورسالة لفضلي تونغ . ومع كل الاحترام لكتاب بابنجر المهم ، فيمكن الاشارة الى أن معلوماته عن مراد مغلوطة جزئياً . فهو مثلاً يقول ان مراد لم يعد الى البلاد حتى سنة ١٩٠٨ منذ ان غادرها في سنة ١٨٩٥ ، بينما في الحقيقة ان مراد كف عن الصراع وعاد في سنة ١٨٩٧ كما سنبين ادناه .

(٤٣) Bernhard Stern,Jungtürken und Verschwörer«Snd edn.: Leipzig , 1901 » p . 213 . وهو يصور مراد وقد وصل القسطنطينية وليس في جيبه فلس واحد ، ولا يعرف من التركية شيئاً وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكنه لو كان كذلك، فمن الصعب ان نفهم كيف تعلم التركية لدرجة أنه اصبح متضلعاً فيها كما تشهد انتاجاته الادبية . ومن المحتمل ايضاً انه جاء من منطقة كانت اللغة التركية تستعمل فيها . ففي داغستان كان « سكان الوديان المجاورة قادرون على التحدث بألسنة متباينة تماماً »...
Sir Harry Luke , More Moves on an Eastern Chequerboard (London , 1935) p . 90 . وفي القوقاس عموماً نجد ان اللغة التركية تستعمل كثيراً في الحديث .

(٤٤) رسالة فضلي تونغ التي تبين ان مراد اقتصر في طلبه على توسيعات ضئيلة لسلطات مجلس الدولة (شورايي دولت) وبعض الاصلاحات في الميزانية ، وبحسب ما تقول هذه الرسالة ان مرادنسب معظم العلل التي تشكو منها البلاد الى اهمال امور الميزانية .

(٤٥) رسالة فضلي تونغ .

(٤٦) المصدر السابق . والواقع انه قد يبدو ان احمد مختار كان يقود اعضاء تركية الفتاة الذين لجأو الى مصر وانه كان يخبر عبد الحميد بذلك . انظر :
Martin Hartmann , Unpolitische Briefe aus der Türkei, Vol. III of Der Islamische Orient ; Berichte und Forschungen «Leipzig, 1905 - 1910 » p . 135 .

(٤٧) فيش ، المصدر السالف الذكر ص ٣٣٧ . لقد اعيد ذكر الشعار في عدد ١ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٩٨ . ولكنه لم يلق معارضة لان احمد رضا كان آنذاك يقاتل عبد الحميد وحده تقريباً .

(٤٨) ابراهيم تيمو : « اتحاد وترقي » ص ٨١ — ٨٤ . ونجد هذه الرسالة ايضاً في كتاب كوران ، « انقلاب تاريخيميز واتحاد وترقي » ص ٦٧ — ٦٨ . ويعلق فضلي تونغ على هذا الامر بما يلي « ان احمد رضا بك بعد ان بدأ العمل ، استخدم لقبه بطريقة بارعة جداً ، فتصور نفسه بانه (الممثل الذي لا يسأل عما يفعل) » . وهذا تعبير مأخوذ من القرآن الكريم (سورة الانبياء ، آية ١٣) وهو يشير الى ذاته تعالى ، وما يقصده تونغ ان أحمد رضا كان متعالياً ، نوعاً ما ، في تقدير قوته .

(٤٩) انني هنا اتابع فيش في المصدر الانف الذكر ص ٣٣١ نظراً لان مصادري التركية غير دقيقة عن هذا الامر بالذات ، ولعل المنظمة خارج المدارس قد اصبحت الى حد ما مستقلة بعد ان بدأت انطلاقتها من لجان الطلبة .

(٥٠) لم يعرف المتآمرون قط مدى خطر هذا التدخل . والواقع ان عبدالحميد كادت تخلعه الدول عن العرش في سنة ١٨٩٦ . بل ان امبراطور المانية

تخلى موقتاً عن السلطان عندما سمع باخبار مذابح القسطنطينية التي حدثت في سنة ١٨٩٦ . ويبدو انه لو اخذت احدى الدول المبادرة آنذاك لتبعتها الدول الاخرى واسهمت في تقسيم الامبراطورية العثمانية . انظر

William L. Langer, The Diplomacy of Imperialism, vol. I, chap. X.

(٥١) راجع : Sir James W. Redhouse, A Turkish and English Lexicon « new impression, Constantinople, 1921 » P. 1365. حيث تعرف الفتوى بانها « رأي او قرار مطابق للشريعة ، يصدره رسمياً موظف معين لإبداء مثل هذه الآراء » . ان خلع عبد العزيز وخلع مراد الخامس المتعاقبين في سنة ١٨٧٦ صدقتها فتاوى شيخ الاسلام الذي يقرب منصبه في الامبراطورية العثمانية من منصب وزير القوانين الكنسية . وقد كان لتصديق الفتوى اهمية كبرى نظراً لان الامبراطورية العثمانية كانت دولة ثيوقراطية ولأن السلاطين العثمانيين كانوا زعماء روحيين معترف بهم عند قسم كبير من العالم الاسلامي . والراجح انه لو نجح الانقلاب لاستطاع شيخ الاسلام ان يكتشف اسباباً كافية في الشرع لاقرار خلع عبد الحميد . ومن المحتمل ان شيخ الاسلام نفسه كان مشتركاً في المؤامرة ، وخاصة لان كثيراً من علماء الدين كانوا اعضاء في الجمعية .

(٥٢) فيش Fesch المصدر السابق ص ٣٣٢ وما بعدها؛ رسالة فضلي‌تونغ. احمد بدوي كوران ، « انقلاب تاريخيميز واتحاد وترقي » ص ٦٥ ، يقول ان رشاد كان ايضاً مشتركاً في المؤامرة ، وقد ضمه اليها شيخ الدراويش المولوية في محلة بياوغلو في استانبول . ويبدو ان رشاد كان عضواً في الطريقة المولوية (انظر فيما يأتي ، الفصل الرابع عن بحث دور طرق الدراويش في حركة تركية الفتاة) . أما فيما يتعلق بمراد الخامس الذي كان قد خلع في سنة ١٨٧٦ على اساس اختلال عقله ، فانه كان هناك كثير من الشك بان حكاية اختلال عقله هي من مبتدعات عبد الحميد للحصول على العرش . ومما يقوي هذا الشك ان مراد عزل عن الناس تماماً منذ سنة ١٨٧٦ . وقد جرت محاولة فاشلة واحدة لتحريره ، قام بها علي

سوافي في سنة ١٨٧٨ .

(٥٣) زلفلو معناه صاحب الزلف، وكان لاسماعيل باشا زلف طويل ، وهي عادة شائعة في تركية ، لذلك كان يطلق عليه زلفلو ، لتمييزه عن الآخرين الذين يسمون « اسماعيل » ايضاً . انظر هامش رقم ٤ اعلاه .

(٥٤) ان الرواية المذكورة اعلاه منقولة عن رسالة لفضلي تونغ . اما فيش ، المصدر السابق ، فيروي مثل هذه الرواية سوى ان نادر بك حاول ، على ما يروي ، ان يقنع مظهر بك باراء الجمعية امام اسماعيل باشا وانه اندفع بحماسه وشربه حتى قال « يا عزيزي كم آسف لعنادك ، فغداً سيفوت الاوان ، ولن تكون معنا لسوء الحظ » . اما الدكتور عاقل مختار اوزدن فلم يكن سمحاً مع نادر ، فهو يقول بصراحة في رسالته ان الخطة فشلت بسبب خيانة نادر .

(٥٥) لقد عاش الشيخ عبد القادر بعد عبد الحميد ، الى ان شنقته الحكومة الكمالية باعتباره خائناً ، لعلاقته بالثورة الكردية التي قام بها الشيخ سعيد في منطقة ديار بكر في سنة ١٩٢٥ .

(٥٦) رسالة فضلي تونغ ، انظر ايضاً فيش ، المصدر الآنف الذكر، ص٢٣٤ وكذلك رسائل الدكتور عاقل مختار اوزدن وفهمي جانر .

(٥٧) نفس المصدر .

(٥٨) فيش ، المصدر السالف الذكر . وقد عين بعد ذلك مديراً لمشروع سكة حديد الحجاز الذي بدأه عبد الحميد سنة ١٩٠٠ في محاولته لكسب تأييد العالم الاسلامي . وقد جعلت هذه السكة الحديدية الحج الى مكة اسهل بكثير مما كان في السابق .

(٥٩) انظر عن حالة ضياء كوك الب في ديار بكر سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٨ :
Uriel Heyd , Foundations of Turkish Nationalism « London , 1950 » p . 30 .

(٦٠) فيش المصدر السابق . أما فضلي تونغ فيقول ان نادر نفي الى قونية في

الاناضول . وقد اخبر الدكتور عدنان ادیوار المؤلف ان نادر لم يبعـــد ولكن اسندت اليه إدارة مدرسة العشائر البدوية من الاتراك في القسطنطينية .

(٦١) رسالة فهمي جانر .

(٦٢) Journal officiel ١٢ نيسان (ابريل) كما اقتبسها فيش في المصدر السابق الذكر ص ٣٣٦ ، أما كارل بلايند Karl Blind « Young Turkey » , Fortnightly Review LXVI (December , 1866) pp . 835-836. فيلاحظ ان الطبعة التركية قد منعت لانها فيما يعتقد كانت اعنف من الطبعـــة الفرنسية ، وهي تهمة انكرها رضا .

(٦٣) مقتبسة في Revue Occidentale, sec. sèr.XV (September, 1897) pp . 216 - 217 .

(٦٤) Fesch op. cit. p. 338; Stern, Jungtürken und Verschworer p. 221.

انظر ادناه آخر هذا الفصل عن رواية حول ظروف مغادرته .

(٦٥) رسالة فضلي تونغ .

(٦٦) لقد كانت الانصالات مستمرة بين جنيف وباريس ، لذلـــك اصبح النشاط في باريس بقدر ما كان في جنيف ، رغم ان المقر الرئيسي كان رسميـــاً في جنيف .

(٦٧) رسالة من الدكتور اسماعيل ابراهيم الى تيمو مؤرخة ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٧ منشورة في تيمو ، المصدر السابق الذكر ص ٩٦ — ١٠٥ واعاد نشرها ايضاً كوران ، انقلاب تاريخيميز واتحاد وترقي ص ٧٧ — ٨٢ .

(٦٨) نفس المصدر . ان رسالة اسماعيل ابراهيم طويلة وغير عاطفية ، ومن الواضح انه كان يتميز في دخيلته غيظاً ويأساً . وقد طبع تيمو الرسالة من غـير تعليق . اما كوران فيقول بصراحة ان الخديوي كان يتعامل مع اعضاء تركيـة الفتاة بموجب اوامر من عبد الحميد ، وان اسماعيل ابراهيم كان مستخدماً كآلة . غير انه نظراً لكره الخديوي المعروف للسلطان ، فهناك مجال للافتراض بانه كان

شبه مخلص في تعامله مع اسماعيل ابراهيم ومع الجمعية عن طريقه . فاذا كان الامر كذلك فيكون سلوك مراد الاحمق هو الذي دفعه الى الجانب الثاني من المعسكر . وقد اتبع الخديوي من هذا الوقت فما بعد سياسة متقلبة فيما يتعلق بتركية الفتاة ، فكان يمنحهم الحماية احياناً ، ويطردهم من مصر احياناً اخرى . وفي سنة ١٩٠٠ قام على الاقل بمحاولة روتينيــة لاقناع صهر السلطان ، الداماد محمود باشا ، بالعودة الى القسطنطينية (انظر الفصل الثالث فيما يلي) . ويصدر تحسين باشا ، رئيس تشريفات عبد الحميد ، في مذكراته حكماً قاسياً جداً عن عباس حلمي حيث يقول عنه «ان الانحطاط الى هذا الدرك هو امر مرعب حقاً» . « عبد الحميد ويلدز خاطره لري » (استانبول ١٩٣١) ص ١٠٩ . وقد كان تحسين بالطبع خادماً مخلصاً للسلطان لذلك لا يمكن اعتبار حكمه خالياً من التحيز .

(٦٩) رسالة الدكتور عاقل مختار اوزدن .

(٧٠) اقتبسها فيش ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٣٨ .

(٧١) ان معنى هـذا بلا شك هو ان رضا اقصي من ادارة اللجنة لا من كل الجمعية . وقد ذهبت « ميزان » في عددها الصادر في ٢١ حزيران (يونيه) في ابعد من هذا حيث قالت ان رضا اراد ان يجعل لجنة باريس تابعة للجمعيـــة الوضعية .

(٧٢) المصدر السابق ص ٣٣٨ — ٣٤٠ .

(٧٣) Mourad-Bey, La Force et la Faiblesse de la Turquie : Les Coupables et les Innocents (Genève, 1897), 59 pp.

(٧٤) نفس المصدر ص ٤٥ . ان هذا الانفجار على عبد الحميد ذو اهميـــة خاصة نظراً لان مراد استسلم بخنوع لنفس « الشيطان » بعد اقل من شهرين .

(٧٥) مراد بك ، المصدر السابق ص ٢٧ .

(٧٦) المصدر السابق ص ٤٥ — ٤٦ .

(٧٧) مراد بك ، المصدر السابق ص ٤٨ .

(٧٨) مراد بك ، المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩ .

(٨٩) قابل كتاب رضا Riza, Tolérance Musulmane (Paris, 1897) وفيه يذهب الى ما ذهب اليه مراد من ان الاسلام متسامح في الاساس ، بل حتى الحكومة العثمانية متسامحة في الاساس . انني لم اطلع على كتاب رضا ، ولكن افكاره العامة لخصها كارا دي فو في كتابه :

Carra de Vaux, Les Penseurs de L'Islam, vol. V, pp. 159 — 161.

(٨٠) ان هذه الرواية مستندة الى رسالة فضلي تونغ . انظر ايضاً فيش في المصدر المذكور سابقا ص ٣٤١ . لقد كان حسين عوني باشا وزيراً للحربية في عهد عبد العزيز ، اما سليمان باشا فكان آمر الكلية العسكرية (الحربية) في نفس الوقت . وكان كلاهما عاملين في خلع عبد للعزيز .

(٨١) رسالة لناهد كروان .

(٨٢) من حسن الحظ انها جعلت الآن جزءاً من جامعة استانبول الفنية .

(٨٣) رسالة فضلي تونغ

(٨٤) رسالة لناهد كروان .

(٨٥) لقد حاكمت المحكمة العرفية واحداً وثمانين من اعضاء تركية الفتاة في حزيران (يونيه) ١٨٩٧ ، فحكم على ثلاثة عشر منهم بالاعدام ، غير ان احكامهم ابدلت بالسجن في قلعة بطرابلس ، وهو مصير لم يكن احسن من حكم الاعدام .

(٨٦) فيش ، المصدر السابق ص ٧٨ .

(٨٧) اني مدين لفضلي تونغ بهذه المعلومات .

(٨٨) كذلك . وبفصل فضلي تونغ في تحليل هذه العوامل التي اثرت في قرار مراد .

(٨٩) رسالة للدكتور عاقل مختار اوزدن . لقد دافع ايضاً عن رأي فرع لجنة الاتحاد والترقي الذي يرأسه ابراهيم تيمو في رومانية ، وقد وصفت هذه

الجماعة في جوابها السلطان وخدمه بانهم « عصابات يلدز » وذكروا عـــدداً من الشروط التي اصروا على ادخالها في اية اتفاقية « مع من لا يحافظون على وعودهم ». وقد كان احد هذه الشروط وجوب استشارة احمد رضا . وقـــد ذكر تيمو وزملاؤه ايضاً انه اذا لم يوافق كلا الطرفان على هذه الشروط ، فانهم « ينفصلون تماماً » عن الجمعية ويستمرون في الكفاح . (تيمو المصدر الآنف الذكر ١٤٦ – ١٥١ ، وكوران المصدر الآنف الذكر ص ٧٢ – ٧٦)

(٩٠) رسالة للدكتور عاقل مختار اوزدن .

(٩١) اقتبسها فيش ، المصدر السابق الذكر ص ٣٤٣ – ٣٤٤

(٩٢) المصدر السابق ص ٣٤٤ – ٣٤٥

(٩٣) رسالة لفهمي جانر .

(٩٤) انظر عن ادانة قويه لمراد :

Edmond Fazy, Les Turcs d'aujourd'hui ou la grand Karagheuz (Paris, 1898), pp. 268 — 273.

(٩٥) فيش ، المصدر السابق ص ٣٤٤ .

(١) كتبت هذه الرسالة جواباً على مقال كان قد ظهر قبل يومـــين يفسّر لماذا اوقف مراد بك النضال ، وقد اعيد نشر هذه الرســالة في Paul Fesch, Constantinople aux derniers Jours d'Abdul-Hamid, p. 344 انظر اعـلاه الفصل الثاني .

(٢) Fesch, Constantinople aux derniers Jours d'Abdul-Hamid, p. 346.

(٣) انظر مقالةك. سوسهايم (K. Süssheim) عن عبد الله جودت في ملحق دائرة المعارف الاسلامية ، ١٩٣٨ ص ٥٦ ، وكذلك Fesch في المصدر السابق ص ٣٤٦

(٤) رسالة للدكتور عادل مختار اوزدن بتاريخ ٤ أيار (مايو) ١٩٤١ ،ثم تعهد « عثمانلي » البرنس صباح الدين (انظر ادناه) فترة قصيرة من الزمن . غير ان الصحيفة توقفت نهائياً عن الصدور في سنة ١٩٠٢ او ١٩٠٣ بعـد ان ظلت مدة تتأرجح في لندن اولاً ثم في فولكستون (في انكلترة) .

(٥) « لقد ظل يعاني من أجلها ما يفوق حد الوصف مدة عشرين سنة ، ولم يشف منها الا في اواخر عمره . انه لم يحصل على أية وظيفة سياسية على حساب اتفاقه مع عملاء عبد الحميد » سوسهايم ، المصدر السابق .

(٦) لقد انتشر في ارجاء مختلفة عدد من المطبوعات الاخرى المناهضة لعبد الحميد ، غير انه لا يوجد من بينها ما يمثل جماعـة كبيرة ، وظلت « مشورت » وحدها تستطيع ارجاع اصلها الى الجمعية الاولى ، لقد كان ابراهيم تيمو ،منشىء

الجمعية يصدر صحيفة لتركية الفتاة في رومانية ، كما كانت تصدر صحيفة أو صحيفتان في مصر وفي أماكن أخرى، ولكن لم يكن هناك تناسق بين مجهوداتهم.

(٧) ان « داماد» هي كلمة فارسية اذا استعملت لقباً فانها تعني ان الشخص الذي يلقب بها هو زوج اخت او عمة السلطان . وجدير بنا ان نلاحظ ان هناك داماد محمود باشا آخر ، وهو ختن للسلطان ، قد نفي وخنق مع مدحت باشا في سنة ١٨٨٤ .

(٨) اني معتمد هنا بالدرجة الاولى على Joseph Denais, La Turquie Nouvelle et L'Ancien Régime (Paris, 1909) pp. 43-44, اما Demetra Vaka, « An Imperial Enemy of Turkish Despotism » في بحثه المنشور في Asia العدد ٢٤ كانون الثاني (يناير – ١٩٢٤) ص ٣٦ فيرى ان البرنس صباح الدين، الابن الاكبر للداماد محمود ، كان هو المسؤول عن اقناع ابيه بالهرب.

(٩) فيش المصدر السابق ص ٣٥٢ .

(١٠) لقد استلمت شركة Compagnie des Messageries Maritimes التي تسير هذه السفينة مبلغاً ضخماً من المال لقاء هذا العمل . المصدر السابق ص ٣٥٢ .

(١١) المصدر السابق ص ٣٥١ – ٣٥٢ . وكذلك Denais المصدر السابق ص ٤٥ .

(١٢) ارسل وزير الخارجية في القسطنطينية الرسالة التالية الى السفراء والممثلين الدبلوماسيين الاتراك في اوروبة « ان محمود باشا الداماد الذي كانت تبدو عليه منذ مدة علامات الانهيار النفسي، قد غادر البلاد دون تخويل واخذ معه ولديه القاصرين ابني صاحبة السمو السلطانة زوجته . وبموجب قوانيننا ان اولاد السلطان يعتمدون بصورة مباشرة ومطلقة على سيدنا العظيم ، ومن جهة ثانية فان صاحبة السمو السلطانة تطالب مع التأكيد بعودة ولديها القاصرين ، لذلك ارجوك ان تتخذ حالاً وبدون تأخر الخطوات اللازمة وبالطريقة التي تراها

انجع من غيرها ، للتفتيش تفتيشاً دقيقاً عنها . واذا وصل محمود باشا ، او وجد، في القطر الذي تقيم فيه ، ان تقدم للسلطات المختصة الطلب اللازم لاعادته مع الولدين الى القسطنطينية ، مع وضع الحراسة اللازمة . وبامر صاحب الجلالة الامبراطورية يتوجب عليك ان تبرق بنتيجة مساعيك حالاً » . فيش ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ منقولة عن « مشورت » عدد ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ . يمكن العثور على ترجمة انكليزية في Demetra Vaka, « Prince Sabaheddine as a Free-Lance Liberal » Asia, XXIV (February, 1924) p. 120.

(١٣) فيش المصدر السابق

(١٤) كذلك ص ٣٥٩ . لقد كان الخديوي في طريقه الى انكلترة في حزيران (يونيه) سنة ١٩٠٠

(١٥) Louis Rambert, Notes et Impressions de Turquie ; L'Empire Ottoman sous Abdul-Hamid 1895-1905 (Geneva and Paris, 1926) p. 71 ابتداء ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ . ويضيف رامبرت الملاحظة التالية :« والمثل الذي بين ايدينا هو مراد ، الذي قام بمثل هذا الدور. فهو يعيش اليوم باطمئنان في املاكه على البوسفور ، حيث يراقبه عدد من الجواسيس بلا ريب ، ولكنه بمعاملة محترمة » . وهذا دليل طريف على نظرة الناس الى مراد رغم ما بذله هو والذين آزروه في تبرير أسباب عودته .

(١٦) فيش المصدر السابق ص ٣٥٤ ، وهو يقتبس من « مشورت » عدد ١ كانون الثاني ، (يناير) ١٩٠٠ Felice de Chaurand de St. Eustache, « L'Esercito nel Movimento Costituzionale della Turchia », Revista d'Italia, XI (Octobre 1908) p. 524. أما فيقول ان الداماد محمود كان يقدم مساعدات مالية ضخمة لأحمد رضا قبل ان يهرب ، غير اني لم أجد تأييداً لذلك في أي مصدر آخر .

(١٧) فيش المصدر السابق ص ٣٥٥

(١٨) فيش المصدر السابق ص ٣٥٦

(١٩) فيش المصدر السابق ص ٣٥٦ — ٣٥٨ ؛ وقد أعاد فيش نشر الرسالة

بكاملها ص ٣٥٥ — ٣٥٨ وتوجد لها ترجمة انكليزية ركيكة الى حدما نشرهـ Vaka في المصدر السابق ص ١٢٠ — ١٢١

(٢٠) Sommerville Story (ed.), The Memoirs of Ismail Kemal Bey (London, 1920) pp. 277 ff.

(٢١) المصدر السابق ص ٢٩٥ ؛ ويجدر بالملاحظة ان اسماعيـل كمال اظهر ميلاً الى المبالغة في تقدير اهميته في مذكراته ، ولعله من غير المحتمل ان يجـازف عدد كبير من الناس فيجتمعوا ، دع عنك هتافهم لرجل اثار كره عبد الحميد له.

(٢٢) Rambert المصدر السابق ص٧٦—٧٧،ومن الملاحظات المؤلمة انمابدا غريباً لرامبيرت في سنة ١٩٠٠ اصبح اليوم مألوفاً في الدول البوليسيةالحديثة .

(٢٣) Story المصدر السابق ص ٣٠٣ .

(٢٤) نفس المصدر .

(٢٥) Story ، المصدر السابق ص ٣٠٣ ؛ كان درويش حما حوالي سنــة ١٩٠١ أو ربما قبل ذلك بقليل ، يقوم بنشر صحيفة البانية اخرى في رومـة ، وهي صحيفة Arnavutluk .

(٢٦) « البانية » العدد الاول (نيسان — ابريل — سنة ١٨٩٧) ص ٢٧ .

(٢٧) كذلك العدد الاول ١ (كانون الاول — ديسمبر سنـــة ١٨٩٧) ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢٨) نفس المصدر العدد الخامس (تشرين الاول — اكتوبر ١٩٠١)ص ١٦٦

(٢٩) لقد اسهم بدرخان في مؤتمر تركية الفتاة سنة ١٩٠٢ غير ان ممثلي السلطان سيطروا عليه في سنة ١٩٠٤ فاوقف نشر الصحيفة . وفي سنة ١٩٠٠ تبرأ من ابنه عثمان باشا الذي كان ينقض بعنف على الارمن . راجع العـدد الاول من صحيفة Pro-Armenia العـــدد الاول (١٠ كانون الثاني — يناير ١٩٠١ ص ٣٠ — ٣١ .

(٣٠) انظر Revue Occidentale السلسلة الثانية (العدد ٢٧) (كانون الثاني – يناير) ١٩٠٣ ص ٩٤. ان رضا يشير بالطبع الى محاولة الاتحاد الثوروي الارمني المسمى داشنا غتزوتيان لتحقيق اهدافه باحتلال البنك العثماني في القسطنطينية في آب (اغسطس) سنة ١٨٩٦ انظر : Langer, Diplomacy of Imperialism, I, pp. 322 ff.

(٣١) Sir Harry Luke, The Making of Modern Turkey (London, 1936) PP. 58 - 59 يكتب لوك في الحقيقة عن فترة قبيل تنازل عبد الحميد ، غير ان ملاحظاته يمكن تطبيقها ايضاً على الفترة التي نبحثها ، مع فارق واحد هو ان اعضاء تركية الفتاة بدأوا في النهاية يدركون انهم احدى « قوميات السلطان المظلومة والمضطهدة » .

(٣٢) تجد ملخصاً طويلاً لهذا النداء في فيش المصدر السابق ص٣٦٥–٣٦٧. وقد ارسل النداء من مصر لان الداماد محمود واولاده كانوا مضطرين باستمرار الى نقل محلات اقامتهم بناء على طلب مختلف الحكومات التي لم تكن تريد ان تحرج نفسها بايواء اللاجئين الملكيين .

(٣٣) المصدر السابق ص ٣٦٤ Story ، المصدر السابق ص٣٠٧. اما Denais (المصدر السابق ص ٤٠) فيقول انه كان مسؤولاً عن الحصول على دار ليفيفر يونتاليس لاستعماله ، وقد اصبح Denais وهو سكرتير رابطة الصحفيين الباريسيين ، تابعاً مخلصاً ومدافعاً عن صباح الدين ، ويجب ان نأخذ اسهامه بنظر الاعتبار عند بحث هذا الموضوع . كما ان فيش كان متحمساً لصباح الدين ، ولكن كتابه هو ، على الاقل ، منجم للأخبار المعززة بالوثائق على الاقل .

(٣٤) Pro-Armenia العدد الثاني (٢٥ شباط فبراير ١٩٠٢) ص ٥٣ وقد انتخب لنيابة الرئاسة يوناني اسمه Sathas وارمني اسمه Sissian .

(٣٥) فيش المصدر الآنف ص ٣٦٧ – ٣٦٨ ، وهو يقتبس من التقرير الذي نشره المؤتمر عن اعماله وعنوانه : Congrès des Libéraux Ottomans (Paris, 1902) :

(٣٦) فيش المصدر السابق ص ٣٦٨ – ٣٧٠ ، و ,Denais المصدر السابق هامش ص ٤٠ حيث اعاد نشرهذه المقررات كاملة . انظر ايضاً Pro-Armenia الآنفة الذكر .

(٣٧) Karl Blind, « The Prorogued Turkish Parliament », North American Review, CLXXV (July 1902), p. 44. ويبدو ان بلند كان مؤيداً قوياً لاحمد رضا كما كان فيش وديني مؤيدين لصباح الدين .

(٣٨) Karl Blind, « The Prorogued Turkish Parliament » المذكور اعلاه .

(٣٩) فيش المصدر السابق ص ٣٧٠

(٤٠) فيش المصدر السابق ص ٣٧٢ – ٣٧٣

(٤١) فيش المصدر السابق ص ٣٧٠ – ٣٧١ ؛ Pro-Armenia العدد الثاني (٢٥ شباط فبراير ١٩٠٢) ص ٤٩ . اما مذكرة ١١ ايار (مايو) ١٨٩٥ فهي خطة لاصلاح الولايات الست التي يكثر فيها الارمن ، والتي لم تكن بعيدة جداً عن وصول الانكليز اليها ، ولكنها كانت مطوقة من قبل الروس . وقد اراد الارمن استخدامها كقاعدة لتأسيس منطقة « يتمتعون فيها بامتيازات خاصة ، وقد تكون نواة لمملكة أرمنية مستقلة في المستقبل ، وهذا ما لم توافق عليه روسية ولن توافق » و Langer, op. cit., I, 163.

(٤٢) انظر ادناه القرار الاخير للمؤتمر .

(٤٣) انظر فيش ص ٣٧٢ ؛ Denais هامش ص٤٠ والملحق «ب»لكتابه. هناك قليل من الشك في أنهم كانوا يتبعون آراء صباح الدين ضمنياً ، لانهم كانوا جميعاً كما لاحظنا ، اصدقاء حميمين لصباح الدين ، لا ريب ان هناك رأياً في ان فيش كان يكتب في الخفاء لصباح الدين ، ولكن الحقيقة هي ان فيش استند في فصله La Jeune Turquie على المعلومات التي قدمها فضلي تونغ (أحمدفضلي بك) . انظر عن هذه النقطة الملاحظات على المصادر .

(٤٤) فيش ، المصدر السابق ص ٣٧١ – ٣٧٢ .

(٤٥) أنظر الفصل الثاني .

(٤٦) لعلهم لم يأملوا من صلاح الدين مساندة سياستهم ، رغم ان هذا غير محتمل، ومع هذا فان المعلومات المتوفرة عن افكار صباح الدين قبل هذا الوقت، قليلة . وقد كتب Blind في المصدر السابق الذكر ص ٤٤ عن المؤتمر بشيء من الغضب وربما الاندهاش : « وأخيراً فان الرئيس ، وهو ابن صهر السلطان ، بعد أن اشترك مرات متتالية في الصخب الذي حبذ أصحابه التدخل الأجنبي ، نجح في اقرار ذلك الاقتراح باغلبية كان اليونانيون والالبانيون ، لا الترك هم البارزون فيها » .

(٤٧) Pro-Armenia العدد الاول (١٠ تشرين الاول – اكتوبر ١٩٠١) ص ١٧٢ . لا يذكر اسماعيل كمال هذه الحادثة في مذكراته . وقد قطعت فرنسة علاقاتها مع تركية في آب (اغسطس) ١٩٠١ لان عبد الحميد اراد التخلص من حق ثبتته الامتيازات الاجنبية للافراد الفرنسيين المنتمين الى مذهب الروم الكاثوليك للاستيطان في املاكه دون الحاجة الى اخذ ترخيص خاص ، ولان بعض الاوساط التجارية الفرنسية كانت تلاقي مصاعب في تحصيل الديون . وفي أواخر تلك السنة حصل الفرنسيون على ما يريدون ، بقيامهم بمظاهرة بحرية واستيلائهم على دار الجمارك في ميتيليني . وقد كانت هذه العملية كلها طبعاً غير مستساغة لاحمد رضا ورفقائه الذين وجدوا انفسهم يعطفون على السلطان اكثر بكثير من عطفهم على الفرنسيين في مثل هذا الامر الذي كانت القضية الرئيسية فيه تمس الكرامة الوطنية .

(٤٨) فيش ، المصدر السابق الذكر ص ٣٧٤ .

(٤٩) انظر مثلاً المنهاج (الفصل الثاني اعلاه) الذي وضعته « مشورت » في بداية تأسيسها « اننا نعارض احلال التدخل المباشر للدول الاجنبية محل السلطة العثمانية » . ان المؤلف يعترف بتقصيره لعدم تمكنه من مراجعة أعداد

« مشورت » مباشرة ، ولكن هناك ، مع ذلك ادلة قوية ، بان رضا لم يؤيـــد التدخل الاجنبي . انظر مقالاته في Revue Occidentale السلسلة الثانيــة مجلد ١٢ (تموز – يوليه ١٨٩٦) ص ٩٣ – ٩٨؛ ج ٢٣ (كانون الثاني – يناير ١٩٠١ ، ص ٥٣ – ٥٧ الخ .. وانظر ايضاً ، تحسين باشا : عبد الحميد ويلدز خاطره لري ص ٢٠٢ . ومع ذلك فان مقتطفات فيش من « مشورت » تظهر ان رضا كان الى حد ما يميل الى الجدل المقيت لانه كان يستنكر احياناً التدخـل في امر ، ثم يطلب في امر آخر العون المعنوي للدول ضد عبد الحميد .

(٥٠) فيش ، ص ٣٧٦ .

(٥١) وترجمتها حرفيا مجلس الشعب .

(٥٢) Demetra Vaka المصدر السابق الذكر ص ١٢٢ .

(٥٣) Story المصدر السابق الذكر ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٥٤) Story المصدر السابق الذكر ص ٣١٠ .

(٥٥) نفس المصدر والصفحة .

(٥٦) Story المصدر السابق الذكر ص ٣١٠–٣١١ .

(٥٧) نفس المصدر والصفحة . يبدو ان تفاصيل الخطـة كانت تتطلب من رجب باشا ان يرسل جنوده للتمرين ثم يرتبهم على ظهر السفن على مسافـــة من العاصمة .

(٥٨) مطبوع في فرانكفورت سنة ١٩٠٩ ص ٢٧٣ وما بعدها .

(٥٩) استامبول ، ١٩٤٥ ص ١٥٥ وما بعدها .

(٦٠) Ular and Insabato ص ٢٧٧ .

(٦١) كوران ص ١٥٩ و ١٦٤ – حيث يلاحظ « ان اسماعيل كال بك اراد الاستمرار في الثورة .. بالطرق الارستقراطية » . انظر ايضاً : «Annual Report for Turkey for the year 1908 », British Documents on the Origins of the World War, V., p. 278. حيث تصف اسماعيل كال ، وكان آنذاك مندوباً

عن البانية في البرلمان الاول بعد الثورة ، بما يلي : « عنده ذكاء الباني ومتانـة في الخلق ، يتكلم الفرنسية بطلاقة ، وكان يجب ، في مجرى الامور الطبيعي ، ان يقدم خدمات جلى لبلاده في ظل نظام متحرر ، ولم تكن له في الواقع موارد مالية خاصة ، ويتهمه خصومه بميله الى التساهل في امور المال » .

(٦٢) Ular and Insabato ص ٢٧٩ . كوران ص ١٥٦ ، ومن المعروف انه لا يمكن ان نولي المصدر الاول اعتماداً كبيراً، اما كوران فلا يذكر مصادره. غير انه كان يعرف معرفة شخصية كافة زعماء العملية ، وهو مصـــدر معتمد . ومع هذا فلا بد من الاشارة الى انه رغم ان كتابي كوران عن هذه الفترة فيهما كثير من الوثائق الثمينة ، إلا انه لم يرد فيهما عن هذه المسألة بحد ذاتها أي شيء له طبيعة الوثائق .

(٦٣) « في اليوم الذي تدرك الحكومة التركية فيه ضرورة اتباعها سبيل التطور والتقدم الذي اعلنه كافة العثمانيين دون تمييز في الجنس او الدين ، فسوف اعـود الى وطني بسرور عظيم ، والا فلا » . فيش ، المصدر السابق ص ٣٦٠ ، وهو يقتبس من « مشورت » عدد ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٣ .

(٦٤) Vaka المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٦٥) نفس المصدر . انظر ايضاً فيش ، المصدر السابق ص ٣٥٩ — ٣٦٣ حيث القصة الكاملة لهذه الحادثة. والحقيقة ان صباح الدين كان دقيقاً فيملاحظة كافة المراسم الى درجة انه استدعى إمام السفارة التركية في لندن ليساعـد في مراسم الدفن .

(٦٦) فيش ، المصدر الآنف الذكر ص ٣٧٨ .

(٦٧) ان جوزيف ديني Joseph Denais ، وهو اكـــثر المعجبين الاجانب بصباح الدين تعلقاً به ، يعطي الوصف الحماسي التالي لألمعية الامير « عندما نفي وهو في الواحد والعشرين من العمر ، كان يتكلم العربيـة والفارسية كالفرنسية التي يتكلمها كباريسي ، وكان يعتبر من ابرز الخطباء الترك ، وقـد حضر عدة

مؤتمرات في بيرا ، وبيبك ، وازمير ومكدونية وكان يعرف التاريخ والادب الفرنسي والاجنبي معرفة صحيحة . ولما كان في العاشرة من عمره ترجم رواية جوسلين للامارتين الى التركية ، ودرس في سن مبكرة مختلف النظم الفلسفية والسياسية والاقتصادية ، ولم يكن غريباً على كتب هيكل وبخنر او فويله ، وكذلك لابلاي وادمون ديمولان اللذين كان يوليهما اعجاباً عظيماً . أما في العلوم فكان يعرف ايضاً مختلف فروع علم الحياة (البيولوجيا) كما كان مبرزاً في الكيمياء وممتازاً في الطب ... » . المصدر السابق الذكر ص ٧٦ هامش .

(٦٨) نشير في الصفحات التالية الى الطبعة الانكليزية الثانية وعنوانها Anglo-Saxon Superiority : to what it is due. وقد ترجمها من الطبعة الفرنسية العاشرة Louis Bert ، لافين (لندن ، ١٨٩٩) [وقد ترجم احمد فتحي زغلول هذا الكتاب ونشره] .

(٦٩) نفس المصدر ص ٣٢٠ .

(٧٠) نفس المصدر ص ٢٨٥ .

(٧١) نفس المصدر ص ٢٩١ – ٢٩٢ .

(٧٢) نفس المصدر ص ٢٩٢ .

(٧٣) نفس المصدر ص ٢٩٣ .

(٧٤) Islamstudien : vom Werden und Wesen der islamischen Welt (Leipzig, 1932), II, p. 355 . وانظر انتقاداً آخر لافكار صباح الدين في :

Karl Klinghardt (ed.), Denkwürdigkeiten des Marschalls Izzet Pascha : ein Kritischer Beitrag zur Kreigsschuld Frage (Leipzig, 1927). p. 115.

(٧٥) فيش المصدر السابق ص ٣٨٠ ؛ انني اعتمد في عرض آراء صباح الدين على فيش عموماً ، لان صلة صباح الدين بالمؤلف ، كما لاحظنا ، تجعل الكتاب مصدراً اولياً لهذه القضية .

(٧٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧٧) نفس المصدر والصفحة .

(٧٨) فيش ، المصدر السابق ص ٣٨٠ .

(٧٩) نفس المصدر ص ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٨٠) ويكتبها الاتراك اليوم بالحروف اللاتينية « Terakki » .

(٨١) فيش ، المصدر السابق ص ٣٨٢ حاشية ١ . أما فضلي تونغ نفسه فـلا يشير في رسالته الى هذه الفترة من نشاطه ، ولعل هذا لان صباح الدين كان شخصاً غير مرغوب فيه عند أعضاء تركية الفتاة القوميين الذين فازوا .

(٨٢) René Moulin: Force et Faiblesse de la Jeune Turquie (Paris, 1910) يبدأ كتابه باقتباس من تين كان بمقدور صباح الدين قراءته للاستفادة منه « ان الشكل الاجتماعي والسياسي الذي يقبله ويفسر فيه كل شعب ، لا يقوم بناء على اختيار الشعب ، بل يتقرر بناء خصائص الشعب وماضيه » .

(٨٣) فيش ، المصدر السابق صفحة ٣٨٢ .

(٨٤) Ular and Insabato المصدر السابق ٢٨٨ . وقد وصف ناظم بك (سلانيكلي ناظم) ايضاً بانه « عميل اورلياني » . غير ان ناظم لم يكن مؤيداً لصباح الدين . ويمكن ان نعتبر هنا ايضاً الملاحظات التي أبديناها عن كتاب اولار وانساباتو فيما يخص محاولة اسماعيل كمال بك القيام بانقلاب سنة ١٩٠٣ منطبقة على هذه الحالة .

(٨٥) انظر بصورة خاصة عن هذه المسألة Martin Hartmann, Unpolitische Briefe ausder Türkei, p. 42 and note 33.

(٨٦) فيش ، المصدر السابق ص ٣٧٧ .

(٨٧) المصدر السابق ص ٤٠٧ .

(٨٨) Turkey and the Eastern Question (London and New York, 1913), p. 54

(٨٩) يقول مكدونالد Macdonald (المصدر السابق ص ٥٥) جازماً ان

رضا لم يكن مسلماً . ان المرء عندما يقرأ عن اتجاهات رضا « الوضعية » يتكون لديه احياناً انطباع ان المصطلح « الوضعية » يتضمن فعلاً ان كومت كان واثقاً من انه كانت لديه حلول لكل مشاكل العالم .

(٩٠) انظر خطابه بمناسبة العيد المؤي لميــلاد اوغست كومت في Revue Occidentale السلسلة الثانية مجلد ١٦ (اذار – مارس ١٨٩٨)ص ٢٢٨. لقد كانت الفكرة في خطابه المقارنة بين الاسلام والفلسفة الوضعية . وقد قدم رضا امثلة كثيرة منها «يقول القرآن الكريم لا تتمسك بفكرة على اساس الظن، ومن غير ان يحققها العلم » .

(٩١) Revue Occidentale السلسلة الثانية مجـــلد ٣٢ (نوفمبر ١٩٠٥) ص ٤٤٤ – ٤٤٥ ، والمجلد ٣٣ (يناير ، فبراير ، ابريل ، مايو ١٩٠٦) ص ١٠٩ – ١١٢ ، ٢٠٧ – ٢٠٨ ، ٣٣١ – ٣٣٦ ، ٤٤٣ – ٤٤٥ .

(٩٢) المصدر السابق ، المجلد ٣٣ ص ٤٤٣ – ٤٤٥ .

(٩٣) ابراهيم تيمو: اتحاد وترقي تشكيلي جمعيتين(مجيدية، رومانية ١٩٣٩) ص ١٨٢ – ١٨٦ . يقول تيمو انــه اشار في تلك المحاضرة الى ان الحرف العربي غير ملائم للتعبير عن اللغة التركية ، واقترح الاخذ بحرف لاتيني معدل . وقــد كانت النتيجة الوحيدة لهذا الاقتراح هي انهم اصبحوا يلقبونه « اللاتيني ».

(٩٤) Macdonald المصدر السابق ص ٥٥ .

(٩٥) من المحتمل أنه كان له أيضاً شعور بالفخر بقدراتة وكفاءاته . وقــد كتب عنه أحد معاصريه بقسوة في سنة ١٩٠٩ « انه لا يعمل كعضو عادي في لجنة الاصلاح العثماني ، التي كان مركزها باريس . لقد كان يرغب ان يكون القائد الوحيد لحركة الاصلاح .. غــير أنه لا سنه ولا معرفته بالامور يوفران له مكان القيادة في مرتبــة المصلحين الاتراك **Halil Halid, «The Origin of the Revolt in Turkey», Nineteenth Century.** المجـــلد ٦٥ (١٩٠٩) ص ٧٥٦ .

(١) استعمل المعنيون بالامر « جمعيت » لهذه المنظمة ، والذين ذكروا الاسم بالعربيه استعملوا كلمة « جمعية » ولكن الاجانب لجأوا الى كلمة (Committee) ويقابلها لجنة .

(٢) ان هذا التاريخ مهم ، لان من المؤكد ان لجنة الاتحاد والترقي بشكلها العسكري النهائي تكونت بعد ظهور هذه الجماعة ، ومع اني كنت اميل في البداية الى تفضيل تاريخ اقدم من هذا ، غير اني اخذت بالتاريخ الذي ذكرته مقالة « اتاتورك » في دائرة المعارف الاسلامية التركية « اسلام انسكلوبيديس » (استانبول ١٩٤٩) نظراً لانه هو التاريخ المقبول عند اكثر الناس اطلاعاً بين الاتراك .

(٣) كان في هذا الوقت يسمى مفيد بك فقط ، اما اللقب فقد اتخذه فيما بعد عندما اصبح اتخاذ اللقب اجبارياً . وقد اصبح مفيد اوزداش مندوباً عن قره شهر في الجمهورية التركية الجديدة .

(٤) اتخذ فيما بعد لقب جانتيكن واصبح مندوباً عن شورم في المجلس الوطني الكبير .

(٥) ينبغي اتخاذ بعض الحيطة في تقدير دور اتاتورك في المراحل التكوينية لثورة تركية الفتاة ، لان الاتراك يميلون دائماً الى اعطائه الدور الرئيسي ، كما ان الذين ترجموا له يرتكبون الغلطة نفسها . والواقع ان الادلة القائمة قليلة جداً . والذين ترجموا لأتاتورك ، امثال ميكوش وارمسترونج وفرويمبجين واقبال علي

شاه وورثام وتونغاس ... الخ – اخذوا جميعاً رواياتهم المقتضبة عن هذه الفترة من حياته من مجموعات ضئيلة من الذكريات والحكايات التي نشرتها الصحافة التركية في سنة ١٩٢٦ ، او اقتبسها واحدهم عن الآخر . ان المادة المذكورة اعلاه ترجمها الى الفرنسية ونشرها جين ديني (Jean Deny) في المقالات التالية :

«Moustafa Kemal Pacha. I. Sa Biographie d'après le nouvel annuaire officiel de Turquie», Revue du Monde Musulman LXIII (1926), pp. 146 — 167; «Souvenirs du Gazi Moustafa Kemal Pacha», Revue des Etudes Islamiques, I (1927) pp. 117 — 222 and 459 — 463.

وبعد عشر سنوات ظهرت سلسلة اخرى من المقالات عن هذه الناحية من حياة اتاتورك ونشرت في Belletin وهي مجلة الجمعية التاريخية التركية (تورك تاريخ كرومو) ، ومن هذه المقالات واحدة كتبها افيت بعنوان « وطن وحريت » ، Belletin العدد الاول نيسان (ابريل ١٩٣٧) ص ٢٨٩ – ٢٩٨ (وقد نشرت لهذه المقالة ترجمة فرنسية بعنوان «La Société Patrie et Liberté» في العدد نفسه ص ٢٩٩ – ٣٠٩) وهي تذكر نفس الرواية تقريباً عن تأسيس الجمعية في دمشق ولكنها ربما كانت مستندة الى مواد اقدم كذلك . واخيراً فان هذه القصة اعيدت مرة اخرى في المقال الذي كتب عن اتاتورك في دائرة المعارف التركية الاسلامية Islam Insiklopedisi (١٩٤٩) (وقد نشرت هذه المقالة بشكل كتاب مستقل تبلغ صفحاته ٨٨ صفحة) . والواقع ان المرء يميل الى الاحساس بالتلوين فيها لو لم تؤيدها رواية الجنرال امهوف المجردة :

General Imhoff, «Die Entstehung und der Zweck des Comités für Einheit und Fortschritt», Die Welt des Islams, I (1913), pp. 174-175.

وقد ذكرنا آنفاً ان امهوف جمع معلوماته عندما كانت جديدة وقبل ان يصبح اتاتورك بطلا قومياً بمدة كبيرة . وقصته المأخوذة من الضباط الاتراك تتفق عامة مع روايات من ذكرنا اعلاه .

(٦) في سنة ١٦٦٦ خير شبتاي سيفي بين الموت والاسلام لا بسبب تعصب ديني مفاجىء أظهره الاتراك ، بل لأن أحمد كوبرولو الصدر الاعظم شعر بانه كان يخلق كثيراً من الخلافات بين اليهود في تركية . وقد قبل شبتاي سيفي

الاسلام ، ثم اتبعه في عمله عدد من أتباعه الذين اعتقدوا أن لعمله غاية ما . أما كلمة « Donme » فمعناها « المبدل لدينه » ويبدو ان هناك أساساً للاعتقاد بان الدونمه ظلوا متمسكين بدينهم القديم في السر .

ويروي ابراهـــام غالانتي Abraham Galanté, Nouveaux Documents sur Sabbetai Sevi (Istanbul, 1935) pp. 73 ff. قصة غريبة وهي ان عبــد الحميد بلغه ان عدداً من الدونمه يسهمون في الحركة ضده ، غير انه خاف من اتخاذ تدابير ضدهم لخوفه الخرافي من تاريخهم الغريب . أنظر عن الدونمه عموماً : H. C. Lukach (Sir Harry Luke), The City of Dancing Dervishes and other Sketches and Studies from the Near East (London, 1914) chap. IX; Leon Sciaky, Farewell to Salonica: Portrait of an Era (New York, 1946) chap. IX; والمقال عن الدونمه في دائرة المعـــارف الاسلامية التركية ، Islam Ansiklopedisi

(٧) أنظر : A. Sarrou, La Jeune Turquie et la Révolution (Paris, 1912) p. 14.

(٨) Afet: «La Revolver Sacré», Belleten, I (July-Octaber 1937) pp. 611-612. وهي ترجمة المقالة التركية « مقدس طبنجة » التي نشرت في نفس العدد من المجلة ص ٦٠٥ – ٦١٠ .

أنظر ايضاً : Deny, «Moustafa Kemal Pascha», Revue du Monde Musulman»; LXIII (1926), p. 150.

(٩) جمال اويبادين الذي أصبح فيما بعد وزيراً للداخلية ونائباً عن تكرداغ.

(١٠) لقد ظهر كتاب طاهر بك المهم جداً « عثمانلي مؤلفلري » بعد هـذا الزمن في ثلاثة مجلدات ، طبع أولها خلال الحرب العالميـة وطبع الأخير بعد عشر سنوات ، وكان يعرف باسم بورصه لي (أي من بورصه) محمد طاهر لتمييزه عن كاتب آخر يدعى بوسنه لي (أي من البوسنه) محمد طاهر ، انظر Babinger, Geschichtsschreiber der Osmanen, pp.406-409; Hartmann, Unpolitische Briefe aus der Türkei, pp. 94 ff, 158, 173 ff., 217 f., 244.

(١١) آفت المصدر السابق ص ٦١٦ ؛ خسرو سامي قزل دوغان « وطن

وحريت = اتحاد وترقي » في Belletin العدد الأول تموز – تشرين الأول(يوليه – اكتوبر ١٩٣٧) ص ٦٢١ (وهذه المقالة بالتركية فقط) ؛ أمهوف المصدر السابق ص ١٧٤ . هناك اختلاف بين المصادر حول تكوين الاعضاء الاصليين لهذه الجماعة ، وآفت لا يذكر مصطفى نجيب ، وقزل دوغان يحذف اسمي طاهر واسماعيل ماهر ، أما امهوف فيبدو انه اخبر ان الجماعة الاصلية تكونت من مصطفى كمال واسماعيل ماهر وحقي بهاء وطاهر « وضابط خامس لم يذكر اسمه » . انظر ايضاً المقالة الغفل من اسم الكاتب :

«Die Türkei vor den beiden letzten Kriegen 1910/1911: Auszüge aus dem Tagebuch eines Diplomaten,» Deutsche Revue XXXVIII (April, May, June 1913), p. 49.

ويبدو ان هذه المقالة إعتمدت كثيراً على امهوف

(١٢) ان قزل دوغان (المصدر السابق ص ٦٢١ – ٦٢٢) يصف برواية ملونة جداً ، كيف ان الحاضرين كانوا يشعرون « بالقوة الخفية » لاتاتورك ، وهو يقول ان اتاتورك القى عليهم الخطاب التالي « ايها الاصدقاء . ان الغرض من اجتماعكم هنا هذا المساء هو : لا اريد ان اخبركم بانها لحظة حرجة في حياة البلاد، فكلكم تفهمون ذلك ، وان علينا واجباً مقدساً نحو هذه البلاد المنكودة الطالع، ان هدفنا الوحيد هو تحريرها . ان مكدونية مع جزء من الروملي تريد اليوم الانفصال من نير الوطن . كما ان قوة الاجنبي وتأثيره قد ... توغلت في البلاد . اما السلطان فهو شخص مكروه ، وضيع الاحساس، خائر القوى ، لا يتوانى عن عمل كل ما هو مخز . ان الامة قد شلها الظلم والطغيان ، ان الموت والتدمير الشامل نصيب كل بلد غير حر ، والحرية ام التقدم والخلاص . يضع التاريخ اليوم اعباءً ثقيلة على ابنائه . لقد اسست في سورية جمعية ، وبدأنا في صراعنا ضد الحكم المطلق ... انني ادعوكم الى واجبكم ، للرد على الحكم المطلق المستعبد بثورة وبازاحة الادارة العتيقة التي اصبحت بالية ، ولتصدروا حكماً ينفذ على هذه الامة – وبالاختصار لانقاذ الوطن » . ويقال ان عمر ناجي اجاب على ذلك « مصطفى كمال ! يا حامينا ، سوف نتبعك ، ولن يثنينا عن قرارنا الشنق

والاستشهاد ... » . ان مثل هذه الرواية التي اولي فيها مصطفى كمال الاحترام الذي اصبح يحاط به فيما بعد ، يصعب ان نصدق انها كان لها اثر في اثارة الثقة في شهادة قزل دوغان الصادقة ، رغم ان حقائقه العامة ايدها الآخرون .

(١٣) Deny ؛ المصدر السابق ص ١٥١ . ان مثل هذا الوضع لا يمكن ان يحدث الا في تركية حيث كانت السجلات توضع من غير تنظيم ، وحيث كانت اسماء الاسر لا تستعمل الا نادراً .

(١٤) رسالة لرحمي بك ، واخرى للدكتور عاقل مختار اوزدن .

(١٥) رسالة لرحمي بك .

(١٦) رسالة لفهمي جانر . أما قائمة جانر للاربعة الذين يزعم انهم اسسوا الجمعية فتشمل طلعت ورحمي وجمال وفتحي ، ولكن لما كان رحمي بك بلا شك هو احد الاربعة الاصليين ، فيبدو من الصواب قبول كلامه فقط عن تكوين الجماعة ، أما الباقون فلعلهم انضموا الى الاربعة الاول بعد الاجتماع بامد قليل .

(١٧) امهوف ، المصدر السابق ص ١٧٥ .

(١٨) من الصعب ان نعين بالضبط تاريخ بداية حركة سلانيك . فكوران في كتابه « انقلاب تاريخيميز واتحاد وترقي » ص ٢٠٧ — ٢٠٨ ، يعيد نشر اجزاء من رسالة صادرة من مقر قيادة الجمعية في باريس الى شخص لم تعين هويته في سلانيك ، مؤرخة ٦ آب (اغسطس) ١٩٠٦ وقد جاء فيها « ان اعظم ما نطلبه منك هو ان تنظم فرعاً في سلانيك بالعمل مع عدد قليل من الاصدقاء المعتمدين الذين لهم الافكار نفسها » . ويرى كوران ان هذا معناه عدم وجود منظمة قبل هذا التاريخ .

(١٩) ان هذه احدى النقاط التي لا يمكن ان نكون دقيقين عنها ، ولكن يبدو محتملاً ان الحالة كانت كما ذكرنا . ويقول باكستون، Charles Roden Buxton, Turkey in Revolution (London, 1909) p. 48. ان الجمعية اخذت عدة اشارات من IMRO ، ويؤيد هذا فهمي جانر .

(٢٠) « ان جذور اللجنة البلقانية يمكن ردها الى الشعور العام القلق، الذي ظهر في اواخر القرن التاسع عشر ، بان السياسة البريطانية مسؤولة بالدرجة الاولى عن الحالة المؤلمة لمسيحي البلقان ». L.S. Stavrianos, «The Balkan Committee», Queen's Quarterly XLVIII (1941), p. 258.

(٢١) Buxton, Turkey in Revolution, pp. 44-46 وهذا القسم كان يطلب أيضاً من الأعضاء الجدد الذين ينضمون الى IMRO ؛ أنظر Christ Anastasoff, The Tragic Peninsula (St. Louis, Mo., 1938) p. 45
أنظر ايضاً : J. Swires, Bulgarian Conspiracy (London, 1939) p. 76
يلاحظ انستاسوف كذلك (ص ١٣٩) ان نيازي بك الذي اصبح فيما بعد بارزاً في ثورة تركية الفتاة ، اصبح أكثر عطفاً على IMRO بعد سنة ١٩٠٥ .

(٢٢) رسالة لرحمي بك الذي يقول أنه أودع اليه وضع قواعد الجمعية ، وان هذا التناوب في الرئاسة هو من أفكاره أنظر ايضاً: E. F. Knight, Turkey: The Awakening of Turkey; The Turkish Revolution of 1908 (Boston, and Tokyo 1910), pp. 108-109

(٢٣) للحصول على حكم موزون على الماسونية السياسية الاوروبية ، انظر :
D. W. Brogan : «The Ruined Temple» in his «French Personalities and Problems», (New York, 1947).

(٢٤) Comte Am. de Persignac, «Les Gaités de la Censure en Turquie», La Revue, LXVII (April 1907) p. 390. ورغم الطابع الفكه الذي كتبت فيه هذه المقالة ، فان قائمته كاملة ومضبوطة بشكل يثير الدهشة ، فبعض الممنوعات التي قد تبدو لأول وهلة لا مبرر لها ، مستندة على مواضيع حساسة : فمثلاً مراد الخامس عزل في آب (أغسطس) ١٨٧٦ ، فأي ذكر لذلك الشهر يثير شكوك عبدالحميد. أنظر أيضاً : G. F. Abbott, The Tale of a Tour in Macedonia (London, 1903) pp. 1-4 وتقريباً أي كتاب من كتب الرحلات في تركية زمن عبد الحميد .

(٢٥) Nesta H. Webster, Secret Societies and Subversive Movements (London, 1928), p. 284.

(٢٦) Friederich Wichtl, Welt freimauerei: Welt revolution: Welt republic: Eine Untersuchung über Ursprung und Endziele des Weltkrieges (5th ed., Munich, 1920) p. 105. ويشير وختـل في مكان آخر من كتابه الى نقاط ولسن الأربع عشرة بمـا يلي : «Das freimauerische Friedensprogramm Wilsons» « أي برنامج ولسن الماسوني للسلم العـالمي » . ولعل من الجدير بالملاحظة ايضاً انه لم تكن في سنة ١٩٠٠ أيـــة حركة نشطة لتركية الفتاة ما عدا تلك التي كان يقوم بها المنفيون البعيدون .

(٢٧) The Cause of World Unrest, With an Introduction by the Editor of «The Morning Post» (London, 1920), p. 143. ان هـذا الكتاب الذي لا يذكر اسم مؤلفه يتكون من مقالات نشرت في الأصـــل في جريدة Morning Post مع مقالات أخرى بقلم نستا وبستر ، وقـد أخذ كثير منها من وختل . أما قيمة الكاتب فيمكن تقديرهـــا من السرور الذي داخله عندما يصل الى اسطورة « بروتوكول حكماء صهيون » .

(٢٨) انظر Wichtl المصدر السابق؛ Causes of World Unrest ص١٤٤؛ Lady Queenborough (Edith Star Miller), Occult Theocrasy (privately printed in France (1931 ?) Vol. II, P. 586. ويقتبس وختـل من المقالة كاظهرت في L'Acacia تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٨ ، ويبدو ان الآخرين اخذوها عنه .

(٢٩) Causes of World Unrest, p. 145. وهـو يقتبس عن Le Temps عدد ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٠٨ للبرهنة على اعتقاد المؤلف بان ثورة تركية الفتاة هي مؤامرة ماسونية ، وقد يبدو أن المؤلف الحالي يعطي اهتماماً زائداً لكتب متعصبة في هذا الموضوع ، غير ان المبالغة في دور الماسونية يدخل ، بين آونـة واخرى ، كما هو الحال في الوصف الروائي التالي لتاريخ حياة اتاتورك الذي الفه ارمسترونج Harold Armstrong (Grey Wolf: Mustafa Kemal; An Intimate Study of a Dictator [London 1932], p. 37).

« لقد ادخل مصطفى كمال أخاً في محفل فيداتا ، فوجد نفسه في محيط لم يحبه لان المحفل كان جزءاً من منظمة فوضوية عالمية ، وكان مليئاً برجال لا قومية لهم يتكلمون عن شرور روسية ، حيث كان اليهود مضطهدين ، وعن مباهج فينا ، حيث سمح لهم بالحصول على المال. لقد كانوا اناسا مرضى ولصوصاً مفعمين بالاسرار والكلام الغامض ، وقد كان مصطفى كمال يحس انه علق في حبائل منظمات مالية عالمية وتخريبية عالمية وسرية ، ولكن دون ان يعلم بالضبط ماهيتهم . انه لم يهتم قط بالاهداف العالمية او باضطرابات اليهود ، وكان اهتمامه اقل بالطقوس الماسونية التي كان يتحدث عنها بسخرية » . (حقاً ان اتاتورك منع بعدئذ الماسونية كما منع كافة الجمعيات السرية التي قد تكون مراكز للتذمر ، غير ان الدكتور ارنست ياك Ernest Jäckh اكد للكاتب في رسالة شخصية ان اتاتورك رأى انه من الجدير التأكيد على هذه الصلة التي قامت في سنة ١٩٠٩) . وحتى رجل معروف باطلاعه على الشرق الادنى مثل سيتون واطسن R. W. Seton — Watson حمل على القول : « ان الادمغة الحقيقية في الحركة كانت يهودية او يهودية – مسلمة ، وقد جاءت مساعداتها المالية من الدونمه الاغنياء ومن يهود سلانيك ، ومن الرأسماليين – العالميين او شبه العالميين – في فينا وبودابست وبرلين، وربما في باريس ولندن ايضاً» ، The Rise of Nationality in the Balkans (London, 1917) pp. 134-135) ولعل لتاريخ طبع الكتاب اثر في اقوال المؤلف هذه).

(٣٠) رسالة خاصة الى المؤلف من الدكتور ارنست ياك Ernest Jäckh مؤرخة ٥ شباط (فبراير) ١٩٤١ .

(٣١) رسالة شخصية الى المؤلف من الدكتور رضا توفيق مؤرخة ١٦ أيار (مايو) ١٩٤١ .

(٣٢) من أحسن الأمثلة على ذلك هي سيرة أمانويل كاراسو أفندي . لقد كان كاراسو ، وهو يهودي من سلانيك ، استاذاً أعظم في المحفل المعروف بـ «Macedonia Risorta» وينسب اليه بعض الفضل في أنه عني بفكرة استدعاء

اعضاء تركية الفتاة للاجتماع في المحافل الماسونية ('نظر رثاء عن كراسو نشر في صحيفة التايمس اللندنية في ٨ حزيران (يونيه) ١٩٣٤ ص١٩. أنظر أيضاً: N. Nicolaidés, Une Année de Constitution : 11/24 Juillet 1908 — 11/24 juilleet 1909 [Brussels, 1909] p. 155 ; Abraham Galanté, Turcs et Juifs: Etude historique, politique (Istanbul, 1932) p. 89. كان نيكولايدس لعدة سنوات محرراً لصحيفة L'Orient الاسبوعية المؤيدة لعبد الحميد ، والتي كانت تصدر في بروكسل ، وكان يبدو مقتنعاً ان الماسونية كانت في طريقها لاضعاف اسلامية الاتراك) ، أما كاراسو الذي أصبح فيما بعد بارزاً في جمعية الاتحاد والترقي ، فكان أحد أعضاء الوفد الذي نقل الى عبد الحميد نبأ خلعه سنة ١٩٠٩ ، وكان عضواً في البرلمان التركي ، وكان في البرلمان ، شأن بقية الاعضاء اليهود ، حريصاً على أن يكون تركياً بالدرجة الأولى وقبل كل شيء ، وهذا موقف تقليدي لليهود الاتراك . ويبدو انه ملأ جيوبه خلال هذه الفترة (انظر: Henry Wickham Steed, Through Thirty Years 1892-1922 (Garden City N.Y., 1925) vol. I, pp. 375-376. وفي هذا شاركه كثير من الاتراك الخلص . ولكنه كان يأخذ الوجهة التركية دائماً في كافة القضايا التي تتصل باليهود في الاملاك العثمانية . فقد أيد مثلاً حتى اقسى التدابير ضد الصهيونية . نظر في هذ الامر: S. M. Dubnow, Die Neueste Geschichte des Jüdischen Volkes (Berlin, 1920-1923) vol. III, pp. 540-541.

(٣٣) John Kingsley Birge, The Bektashi Order of Dervishes (London and Hartford, Conn. 1937) p. 16. ان هذه هي اكمل دراسة عن البكطاشية موجودة في أية لغة .

(٣٤) نفس المصدر ص ١٥ .

(٣٥) ان بحث دور البكطاشية في حركة تركية الفتاة مستمد معظمه من مقال للمؤلف نشر بعنوان : «The Bektashi Dervishes and the Young Turks», Moslim World, XXXII (January 1942), pp. 7-14. مع بعض الاضافات والتعديلات المستندة الى معلومات حصلت عليها منذ نشر المقال المذكور .

(٣٦) Birge ، المصدر السابق ص ٨٧ .

(٣٧) Richard Davy, The Sultan and his Subjects (New York), 1897), vol. I, p. 97 ولم تضف طبعة متأخرة (١٩٠٧) شيئاً الى معلوماتــه عن البكطاشية .

(٣٨) John P. Brown, The Darvishes (London, 1927), p. 64

(٣٩) نفس المصدر والصفحة .

(٤٠) George Young, Constantinople (London and New York, (1925-?), p. 198.

(٤١) Davey المصدر السابق ج ١ ص ١٥٦ ، أنظر أيضاً ص ٩٦ .

(٤٢) المصدر السابق ص ٦٧ و ص ١٥٩ .

(٤٣) « بكتاشيلق » طبعت في أربعين عدداً من ٢٦ كانون الثاني (يناير) الى ٨ آذار (مارس) سنة ١٩٣١ في جريدة يني كون التي تصدر في استانبول. وقد ذكرها برج ص ٢٠ .

(٤٤) من الصعب أن نحدد مدى اخلاصه ، فربما كان يقوم بخدمة الحكومة ويدافع عنها في اعلانه ان هذه الطريقة لم تعد ثمة علة لوجودها .

(٤٥) F. W. Haslhuck, Christianity and Islam under the Sultans, (Oxford, 1929), vol. I. p. 438).

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٤٣٨ هامش ٤ . « لقد اعتمدت في هــــذا على مصدر بكطاشي موثوق به » .

(٤٧) Hasluck ، المصدر السابق ج ١ ص ٥٩٥ ، ص ٦٢٠ .

(٤٨) رسالة من رضا توفيق اقتبسنا منها اعلاه ، ان هذه الرسالة الطريفــة جديرة بان يقتبس بعضها « والحق ان البكطاشيين هم أكثر الدراويش تحرراً من جميع الفرق السرية الباطنية الاخرى ، وكلهم معارضون لايلينون لمذهب الدولة وهو (السنية) ، لقد كانت هذه الفرقة معترفاً بها ومحترمة كغيرها ، منذ بداية الامبراطورية التركية ، فكان كل الانكشارية بكطاشيين ، وبعد ان انحطت

هذه المنظمة العسكرية المشهورة ، قضى عليهم السلطان محمود الثاني جميعاً بما فيهم الاعضاء المدنيون وشيوخ هذه الطريقة ، غير انه لا يزال عدد كبير منهم في تركية . ان الغالبية العظمى لشيوخ البكطاشية ودراويشهم اميون تماماً ، غير ان في استامبول ومراكز الثقافة الاخرى عدداً كبيراً من البكطاشية ذوي مكانة سامية وثقافية عالية . انني شخصياً اعرف بعض الوزراء ، ومشيراً وسفيراً وعدداً من القضاة والكتاب والشعراء ... الخ واثنين من شيوخ الاسلام على الاقل ، احدهما (موسى كاظم افندي) كان عضواً في وزارة طلعت باشا (زعيم لجنة الاتحاد والترقي) وكان مثلي ومثل طلعت باشا، بكطاشياً واستاذاً ماسونياً في نفس الوقت ، فمن الصواب اذا ان اصحاب الطريقة البكطاشية كانوا مستعدين عقلياً للترحيب باية ثورة سياسية واصلاح اجتماعي يؤيد الحرية التامة للعقيدة وتحسين الادارة في تركية . لقد كان بين اعضاء اللجنة الثوروية في استامبول بعض البكطاشية ، وقد ساعد كافة البكطاشيين تقريباً اللجنة على النجاح في تحقيق اهدافها » .

(٤٩) رسالة فهمي جانو .

(٥٠) أنظر الفصل الرابع أعلاه .

(٥١) Martin Hartmann, Unpolitische Briefe aus der Turkei, p. 178

(٥٢) Brown ، المصدر السابق ص ٦٤ و ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٥٣) رسالة لفهمي جانو . ان هذا الاخير ، هو نفس عاطف الذي اغتال شمسي باشا في تموز (يوليه) ١٩٠٨ ، وكانت هذه الحادثة من الاحداث التي ادت الى اعلان الثورة . أنظر رسالة لعمر فوزي ماردين . أما الرثاء الذي نشرته صحيفة La République الاستانبولية في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٩ فتنسب فيه رئاسة جماعة مناستر الى علي جطنكايا الذي كان في وقت ما وزير الاشغال العامة في عهد أتاتورك .

(٥٤) رسائل لعمر فوزي ماردين ورحمي بك وفهمي جانو .

(٥٥) Turkey in Europe (New edn., London, 1908), p. 93.

(٥٦) Viator,» «The Turkish Revolution,» Fortnightly Review, XC. (September, 1908) p. 365.

(٥٧) المصدر السابق ص ٩١ .

(٥٨) Wladimir Giesl, Zwei Jahrzehnte im Nahen Orient (Berlin, 1927),p. 49 f. وهو يروي كل القصة المبكية ، المضحكة لهذه الحادثة وكان غيسل ملحقاً عسكرياً لحكومة النمسة – المجر في القسطنطينية وفي عدد من العواصم البلقانية بضع سنوات .

(٥٩) يلاحظ غيسل (ص ٤٨ – ٤٩) ان المدربين الألمان لم يكن يسمح لهم بدخول الثكنات التركية ، حتى ولم يكونوا يستطيعون الرمي بالمدفعية التي يفترض ان يعلموا استعمالها ، ولم يعف من هذا حتى رئيس البعثة العسكرية البارون فون در غولتز ، ويروي غيسل قصة فحواها ان فون در غولتز عمل خريطة جديدة للقسطنطينية وما يجاورها ، ولكن البوليس سرعان ما اقتحم غرفته وأخذ تلك الخريطة .

(٦٠) Gustav Hubka, «Die Reformaktion in Mekedonien in den Jahren 1320-1324 (1904-1908)», Streffleurs Militärische Zeitschrift (June 1909), p. 924.

وانظر أيضاً كتاب :

G. Hubka, «Die Osterreichisch Ungarische Offiziersmission in Makedonia 1903-1909» (Vienna, 1910), pp. 95 ff.

(٦١) «Besonderen Reiz übte auf she auch der kameradschaftliche Verkehr der lândischen fremd Offiziere sowohl innerhalb der eigenen Staatsangehörigkeit als auch zwischen jenen verschiedenen Grossmächte aus, und she warren ausnahmslos aufrichtig erfreut wenn sie in den ausserdienstlichen Umgang einbezogen, Wurden» Hubka, «Die Reformaktion, etc». p. 924.

أمـــا :

Alfred Rappoport, Au Pays des Martyrs: Notes et Souvenirs d'un ancien Consul Général d'Autriche-Hongrie en Macédoine (1904-1909) (Paris, 1927) p. 97.

فانه يشير الى التباين بصورة جلية عندما يشير الى مدى الألم الذي كان يصيبه ويصيب غيسل عندما كانوا يرون كبار الضباط يخدمونهم اثناء تناول عشاءهم مع شمسي باشا وهو الجنرال الذي كان من القلائل الذين أصيبوا في الثورة . أنظر أيضاً : Neue Freie Presse (Vienna), July 21, 1908 p. 2.

(٦٢) Hubka, «Die Oesterreichisch-Ungarische Offiziersmission», p. 94.

وهو يلاحظ : « ان قائد الفرسان ، تورك ، ارسل من هناك (ولاية كوسوف) في أوائل حزيران (يونيه) يقول بان الضباط وبعض البارزين من سكان المدن المسلمين كانوا يقومون بمفاوضات سرية غايتها نسف الحكم القائم » .

غير انه لا يوجد أي دليل يشير الى ان معلوماته لفتت الانظار في فينا قط . وثمة رواية معاصرة اخرى ، ان ضابطاً انكليزياً كان « محبوباً جداً لدى الاتراك » ولم يعلم شيئاً عن المؤامرة حتى شهرين قبل الثورة ، حين أشار اليه ضابط تركي بان الامور ستحل قريباً بـ « اضراب يقوم به الجيش » ، وحتى آنذاك لم يأخذ الضابط الانكليزي ما قاله صديقه التركي مأخذ الجد .

(«The Story of the Young Turks», Blackwood's Magazine, CLXXXV (1909), p. 7).

(٦٣) ان دراسة ادلة الوثائق الرسمية الموجودة ، لا تظهر ان أي ضابط اوروبي – ما عدا الحالة التي اشرنا إليها في الهامش السابق – حذر حكومته مما كان يهيأ .

أنظر مثلاً :

Great Britain, Accounts and Papers. 1909, vol. CV. Cmd. 4529 Turkey No. 1 (1909), Correspondence respecting the Constitutional Movement in Turkey 1908; Soviet Russia: Tsentrarkhiv. A. Popov, «Turetskaia Revolutsia, 1908-1909, gg». Krasnyi Arkhiv, XLIII (1930), pp. 3-54; XLIV (1931) p. 3-39, XLV (1931) pp. 27 — 52;

(٦٤) « لقد كان الدفع يتأخر عن موعده باستمرار – وهذا يفسر ، ان لم يكن يبرر ، النهب الفظيع للقرى مما رأيت اثاره في مكدونية » .

Buxton, Turkey in Revolution, p. 30.

(٦٥) « قام احد اصدقائي ، وقد كان من وقت قريب قنصل بريطانية في

احد الموانيء التركية ، بدراسة دقيقة في منطقته الخاصة ، فوجد ان من بـــين الجنود الذين ارسلوا الى اليمن ، لم يعد منهم الى وطنهم اكثر من عشرين بالمائة ».

E. F. Knight, Turkey, p. 52; Richard Gottheil, «The Young Turks and Old Turkey», Forum, XL (December 1908), p. 524.

يقول انه بين سنة ١٩٠٣ وزمن الثورة فقد مائـة الف من الجنود الاتراك حياتهم في اليمن . انظر ايضاً قصة «The Leopard of the sea» في مجلد القصص القصيرة المشهور H. G. Dwight, Stamboul Nights (Garden City, N.Y., 1916(.

(٦٦) انظر اعلاه الفصل الثالث .

(٦٧) قزل دوغان ، المصدر السابق الذكر ص ٦٢٣ . كان طلعت آنذاك موظفاً في ادارة البريـــد والتلغراف في سلانيك ، فرأى التلغراف المكتوب بالشفرة حال وروده .

(٦٨) المصدر السابق ص ٦٢٤ .

(٦٩) رسالة لفهمي جانر .

(٧٠) قزل دوغان ، المصدر السابق الذكر .

(٧١) لقد خضع احمد رضا بعد تردد ، لانه حتى شباط (فبراير) ١٩٠٨ كان لا يقدم إلا تأييداً محدوداً للخطط الثورية .

(٧٢) رسالة لرحمي بك الذي يبدو متألماً وهو يوضح ان لجنة الاتحاد والترقي المتأخرة كانت منظمة مختلفة تمامـاً عن الاولى . ولا يذكر رحمي بك الامتزاج الواقعي بين جماعتي سلانيك وباريس، ولكنه يتكلم فقط عن تعريف ناظم بجمعية سلانيك وبدعوته للعمل معهم غير ان ناظم كان بالتأكيد عضواً في اللجنة الموجهة لجماعة باريس لما ذهب الى سلانيك وبدأ عمله في نشر الدعاية في الاناضول .

(٧٣) هنالك ثلاث طرق للتعبير عن أي تاريخ ، السنة القمرية الهجرية ، والسنة المالية التركية ، وهي تعديل للسابقة التي تستعمل السنة الشمسية دون القمرية ، وبذلك اخذت تنمو مستقلة عن السنة الهجرية ، والتاريخ المسيحي . وزيادة في التعقيد كانت السنة المالية التركية تبـدأ في اليوم الاول من آذار على النظام القديم . وزيادة في التشويش فان ٣٢٢ هو خطأ مطبعي — ل ٣٢٣ اي

(١٣٢٣) . وقد اعطي التاريخ بصورة صحيحة في نهاية الوثيقة .

(٧٤) هي ساعة بعد الغروب في النظام التركي القديم .

(٧٥) احمد بدوي كوران ، « انقلاب تاريخيميز واتحـــاد وترقي » ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

(٧٦) انظر: Dikran Mardiros Bedikian, «The Silent Revolution in Turkey», The World's Work, XVI (October 1908), p. 10827.

الذي يذكر انه بعد مزج الجمعيات الارمنية ، فوض مالوميان بالاتصال بالجمعيات التركية . امـا Melkon Krischtschian «Turken und Armenier» in «Vergangenheit and Gegenwart,» Der Orient, XI (March-April 1929), p. 73.

فيقول : «Es wird Kaum jemand Leugnen Könen, dass die zwei maligen Konferenzen (1903 (sic) und 1907) die den Zweck -- verfolgten, alle **(ottomanischen)** Parleien mit der jungtürkischen. Bewegung föderative zu verbinden, **auf die armenische Initiative und unermü dliche Arbeit zurückzufuhren waren».**

(ما وضع تحته خط مكتوب بالاصل بحروف مغايرة لجلب النظر الى اهميتها) . وهو بالطبع مخطىء عن المؤتمر الاول الذي كان من عمل الدامـــاد محمود باشا واولاده .

(٧٧) Pro-Armenia, VIII, (January 20, 1908), p. 1226. أما : Abraham Galanté, Turcs et Juifs, P. 38 فهو يذكر القائمة التالية للمنظمات التي اشتركت في المؤتمر :

(أ) لجنة الاتحاد والترقي العثمانية . ومطبوعاتها الرسميـة « شوراي امت » و « مشورت » .

(ب) الجمعيات الثوروية المتحدة لأرمنية (Tachnaksoutoun) مطبوعهـا الرسمي Trochak .

(ج) جمعية الابداع الخاص واللامركزية الدستورية . ومطبوعها «ترقي» .

(د) لجنة يهود مصر ، ومطبوعاتها الرسمية La Vara

(هـ) هيئة تحرير الصحيفة التركية العربية « خلافت » التي تصدر في لندن .

(و) هيئة تحرير صحيفة «Arménia» التي تصدر في مرسيليا .

(ز) هيئة تحرير الصحيفة الثورية «Razmik» التي تصدر في البلاد البلقانية .

(ح) هيئة تحرير الصحيفة الثورية «**Hayrenik**» التي تصدر في امريكا .

(ط) جمعية « العهد العثماني » المصرية .

وقد ذكرت صحيفة Pro-Armenia قائمة شبيهة بهذه القائمة في عدد ٥ كانون الثاني – يناير – ١٩٠٨ ص ١٢١٥ .

(٧٨) Fesch, Constantinople aux dernières jours d'Abdul-Hamid وفيه عرض كامل للمؤتمر الاول ، وقد طبع قبل انعقاد المؤتمر الثاني .

(٧٩) Pro-Armenia العدد الثامن (٥ كانون الثاني – يناير – ١٩٠٨) ص ١٢١٢ . قد يبدو غريباً ان ينشر قرار العمل بالسرية التامة ، ولعل هذا راجع الى انه كان يفترض ان يكون على البرنامج سرياً ، لأن أحمد رضا عنف الارمنيين بعد ذلك لتسرعهم في نشر المنهاج في الصحف (أنظر أدناه) غير ان Angus Hamilton, Problems of the Middle East (London 1909), p. 27. يقول انه في نهاية المؤتمر أشار « أعضاء تركية الفتاة المكلفون بالدعاية » علناً الى النجاح الذي يحرزونه في الجيش ، جاعلين السلطان بذلك على أهبة الاستعداد دائماً .

(٨٠) Pro-Armenia السابقة الذكر .

(٨١) نفس المصدر ؛ أنظر أيضاً Abraham Galanté المصدر السابق ، نفس المكان .

(٨٢) Pro-Armenia الآنفة الذكر .

(٨٣) Pro - Armenia ١٢٤١ – ١٢٤٢ وهي تقتبس عن « مشورت »

العدد الصادر في ١ شباط – فبراير – ١٩٠٨ .

(٨٤) نفس المصدر والصفحة .

(٨٥) Pro - Armenia ص ١٢٤١ – ١٢٤٢ .

(٨٦) احمد بدوي كوران ، « انقلاب تاريخيميز واتحاد وترقي » ص ٢٢٨ – ٢٢٩ وقد نشر رسالة مؤرخة في ١١ حزيران – يونيه – ١٩٠٧ من الدكتور بهاء الدين شاكر لشخص لا يذكر اسمه في القسطنطينية كان قـد استفسر عن سبب المعارضة العنيفة التي ابدتها لجنة الاتحاد والترقي لصباح الدين . وفي هذه الرسالة اتهم صباح الدين وابوه بانهما تركا القسطنطينية « لسرقة الخزينة العامـــة ولبيع البلاد للدول الاجنبية » . كما اتهم صباح الدين ايضاً بالتعاون مع الثورويين الارمن وبالرغبة في تأسيس دولة ارمنية في داخل الامبراطورية العثمانية . أما احمدرضافقد وصف ، من ناحية اخرى بانه « رجل امين ووطني» . انني اتفق تماماً مع كوران بان التهم التي وجهت الى صباح الدين بكونه عميلاً للاجانب غير صحيحة . لقد ذكرت هذه الرسالة لتوضيح عنف الشعور الذي كان سائداً فقط .

(٨٧) Pro-Armenia ص ١٢٢٦ .

(٨٨) نفس المصدر والصفحة .

(٨٩) رسائل الدكتور علي عثمان اونبولاك وفهمي جانر والدكتور عاقـــل مختار اوزدن وكلها تؤكد على ان الصلة الوحيدة بين لجنة الاتحاد والترقي وبـين بقية المنظمات الثوروية تمت خلال مؤتمرات باريس ، وانه لم يوجد اي اتصـــال بينهم في داخل الامبراطورية العثمانية .

(٩٠) « وقد حدث مرة في اواسط كانون الأول – ديسمبر – ١٩١٦ ان ذهب انور الى درجة ان وصم احمد رضا في مجلس الاعيـــان (بالكلب الذي لا يخجل) » .

Dr. Harry Stuermer, Two War Years in Constantinople: Sketches of German and Young Turkish Ethics and Politics (New York, 1917) p. 256.

(٩١) قالت Neue Freie Presse (Vienna) في ٢٣ تموز – يوليو – ١٩٠٨ **« في السنة السابقة حدث في كافة مناطق الجيش ، سبعة عشر عصيان كبير وثورة شملت فرق من الجيش او حاميات باكملها** ، وقد دام معظمها عـــدة ايام ، ولا يدخل ضمن هذه العصيانات الصغرى والمظاهرات التي لا حصر لها». لقد اكدت الوكالة بنفسها على الجملة التي وضعناها بحروف بارزة.

(٩٢) Aubrey Herbert, Ben Kendim: A Record of Eastern Travel (2nd edn.; London: n.d.), p. 257.

(٩٣) انظر Knight, Turkey ص ١٠٩ : « لم تحدث حادثة واحـدة خان فيها عضو من الجمعية اخوانــه » . ويقول Buxton: Turkey in Revolution ص ٤٨ : « لا يوجد اي برهان على خيانة واحدة قام بها اي عضو ».

(٩٤) قد يبدو من المحتمل ان لجنة سلانيك كانت قد وضعت في خططها ان تبدأ الثورة في خريف ١٩٠٨ وفي Richard Gottheil, «The Young Turks and Old Turkey», Forum, XL (December 1908), p. 525 يقـول الكاتب « يبدو ان الثورة العامة كانت قد وضعت خططها لتحدث في مكدونية في ١ ايلول — سبتمبر — سنة ١٩٠٨ وانه كان يتوقع أن يسفك دم كثير قبل ان يستسلم السلطان » . اما باكستون (Buxton) المصدر السابق ص ٥٣ فيقول : « ان تاريخ الثورة الموعودة كان قد حدد في عيد الفطر في الخريف القادم من سنة ١٩٠٨ » . ومن جهة اخرى يقول نايت (Knight) (المصدر الآنف الذكر ص ١١٨) الذي بدأ يكتب تاريخاً للثورة بعد ان نشبت بامد قصير « لقد قدر اعضاء تركيــة الفتاة ان الوقت لن يكون مختمراً لانقلابهم الكبير حتى خريف سنة ١٩٠٩ ، غير ان التهديد بتدخل اجنبي آخر في مكدونية ، والحملات الفعالة ضد اللجنة ، التي بدأها القصر في مطلع سنة ١٩٠٨ ادت الى اندلاع الثورة » . ويجب ان نلاحظ ، بالاشارة الى كتاب نايت ، ان التواريخ التي يذكرها غـير جديرة بالثقة مطلقاً حتى عن الحوادث التي جرت بالفعل ولم تكن في مجال التخيل. واخـيراً يقول ولفرد كاسل Wilfred T. F. Castle, Grand Turk (London,

New York, Melbourne, 1943?) p. 74. ان التاريخ قد حدد بـ ٣١ آب – اغسطس – وهو ذكرى ارتقاء عبد الحميد العرش . غير ان كتاب كاسل غير علمي ، وهو لا يشير الى المصدر الذي يستقي منه ما ذكر .

(٩٥) راجع « التقرير السنوي لسنة ١٩٠٨ » الذي قدمه السفير البريطاني في القسطنطينية (وهو آنذاك السر جيرارد لاوثر الذي وصل الى وظيفته الجديدة في ٣٠ حزيران – يونيه –١٩٠٨) وهو منشور في British Documents on the Origins of the War, 1898-1914, vol. V, p. 249 لم يكن مثل هذا التنبؤ غلطاً كبيراً ، لان انكلترة آنذاك كانت قد ادركت انه ليس لديها اي شيء تفقده في تركية حيث كان نفوذها في ادنى دركاته .

(٩٦) انظر Neue Freie Presse (Vienna), June 29, 1908

(٩٧) كما اقتبستها Neue Freie Presse July 2, 1908

(٩٨) Buxton المصدر السابق الذكر ص٥٧ ، وقد نقلت وكالة Neue Freie Presse أنباء الحادث في ٨ تموز – يوليه – ١٩٠٨ ، غير انها لم تر فيه الا اضطراباً محلياً صرفاً ، ورأت من المناسب ان تنبه قراءها الى ان كافة الاخبار عن نشاط تركية الفتاة ينبغي ان تؤخذ بحذر ، لان الجيش التركي عموماً الذي يكن للسلطان احتراماً كبيراً بوصفه قائداً أعلى للجيش لا يمكن ان يثور ضده .

(٩٩) رسالة من عمر فوزي ماردين .

(١٠٠) Buxton المصدر السابق ص ٤٨ .

(١٠١) Gotthard Jäschke, «Die Entwicklung des Osmanischen Verfassungsstaates von den Anfängen bis zur Gegenwart», Die Welt des Islams, V. (1917), p. 19.

وهو يشير الى ان الدستور لم يلغ رسمياً قط ، بل كان يطبع بانتظام كل سنة في كتاب الحكومة السنوي .

(١٠٢) تروي اسطورة ان السلطان لم يتخذ قراره الحاسم إلا بعد ان نصحه

بذلك منجمه ابو الهدى، وهناك رأي طريف أيضاً يرى ان عبد الحميد رحب بالفعل بثورة تركية الفتاة لانه « فضل الاستسلام لتركية – جديدة وقتية وحية على الفنـــاء في خرائب امبراطوريتـه » . (Wade Dewood David, European Diplomacy and Near East Question 1906-1909 [Urbana, Illinois, 1940] p. 64.) ويقتبس ديفيد مقتطفات تأييداً لرأيـــه ، من مذكرات تحسين باشا ، تشريفاتي عبد الحميد . (تحسين باشا : عبد الحميد ويلدز خاطر لري (استانبول ١٩٣١) ص ٢٩٣). يلاحظ تحسين باشا ان ريفال وضعت الامور نصب الاعين ، وهو يقول ايضاً ، ناظراً الى الماضي : « لو لم تحدث ثورة سنة ١٣٢٤ (١٩٠٨) كمعجزة سماوية لوجد الاتراك انفسهم مطرودين من الارض الاوروبيـة حتى في هذا الوقت » إلا انه لا يشير الى ان عبد الحميد رحب بالثورة ، حتى باعتبارها اهون الشرين . ثم ان مقتطفات ديفيد الاخرى مضطربة وغامضة ولا تقـــدم تأييداً لمدعاه ، والواقع ان مقتطفاته من غيسل Giesl's Zwei Jahrzehnte im Nahen Orient (وهي في ص ١٨٧ وليس في ص ٨٧ كما يذكر ديفيـــد) هي ترجمة مغلوطة تماماً وسوء فهم تام للقضية المبحوثة . امـا بيكر C. H. Becker, Islamstudien, II, p. 351 فيلاحظ ان اول رد فعـل للدبلوماسيين الفرنسيين هو ان الثورة هي انقلاب مسرحي مثله اعضاء تركية الفتاة وعبد الحميد معـــاً بسبب الوضع الدولي ، غير ان هذا الافتراض سرعان ما اهمل . اما انا فأرى ان عبد الحميد استسلم بعد تردد لانقاذ عرشه – وهي محاولة كان ناجحاً فيهـــا لسوء الحظ .

(١٠٣) (William Miller) The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, with an Appendix, 1927-1936 (Cambridge, 1936), p. 476.

لقد رأيت هذه الفقرة مقتبسة في عدة كتب عن تركية غير ان قلة من هذه الكتب كان اصحابها من النباهة بحيث يذكروا صاحبها الاصلي .

(١٠٤) انظر الفصل الرابع .

(١٠٥) Consul Samson to Mr. G. Barclay, Adrianople, July 29, 1908, Turkey No. 1 (1909), p. 985.

(١٠٦) Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Therapia, August 4,1908, ibid., p. 995.

(١٠٧) رسالة للدكتور عاقل مختار اوزدن .

(١٠٨) رسائل للدكتور علي عثمان اونبولاك وعمر فوزي ماردين وفهمي جانر .

(١٠٩) « لم يؤمن مديرو الاتحاد والترقي في اي زمن كان باخلاص عبدالحميد. وهذه النقطة اكيدة » . رسالة لفهمي جانر . انظر ايضـــاً صالح كرامت بك «The Young Turk Movement» in Eliot Grinell Mears, Modern Turkey (New York, 1924), p. 487.

(١) Arminius Vambéry, «Personal Recollections of Abdul Hamid and his Court», Nineteenth Century, LXVI (July, 1909), p. 81.

(٢) William L. Langer, The Diplomacy of Imperialism (New York,1935), vol. 1, pp. 195 ff.

(٣) Vambéry المصدر السابق .

(٤) « لقد سمعت من مصدر موثوق انه عندما تقدم ضباط السلطان ليهنئوه على دحره عدوته القديمة روسية (في سنة ١٩٠٥) اجاب بانه لا يعتبر باي حال نتيجة الحرب جديرة بالتهنئة، لأنه هو والقيصر الملكان الاوتوقراطيان الوحيدان في اوروبة ، وان دحر القيصر معناه ضربة لمبدأ الاوتوقراطية » . Sir Charles **Eliot, Turkey in Europe (New edn., London 1908), p. 426.**

(٥) **Giovanni Giolitti, Memoirs of My Life(London, 1923),p. 251**

(٦) انظر عن النقطة الاخيرة بصورة خاصة المناقشة في الفصل الثالث اعلاه.

(٧) عن المسألة الماسونية انظر الفصل الرابع اعلاه .

(٨) «Viator», «The Turkish Revolution», Fortnightly Review, XC (September 1908), pp. 357-358.

(٩) Die Grosse Politik der Europäischen Kabinette, 1871-1914, vol. XXV: 2, No. 8875 رسالة وكيل السفير في القسطنطينية الفون كيدرلن الى المستشار البرنس فون بيلوف ١٠ تموز (يوليه) ١٩٠٨ .

انظر ايضاً: Ernst Jäckh (ed.), Kiderlen-Wachter, der Staatsmann: und Mensch: **BriefWechsel** und Nachlass (Berlin and Leipzig, 1925), vol. I, pp. 267 ff.

وفي هـــذه ادلة اخرى على ان كيدرلن لم يكن يعرف مطلقاً ما كان سيحدث قريباً .

(١٠) Grosse Politik, XXV: 2, No. 8906 وهي تعليق للقيصر على مذكرة للكونت فون مترنيخ مؤرخة ١٤ آب (اغسطس) ١٩٠٨ .

(١١) ان الدكتور ارنست ياك ، الذي كان في منصب يساعده على الاطلاع ، ايد تماماً هذا التفسير برسالة شخصية مؤرخة ٥ شباط (فبراير) ١٩٤١ .

(١٢) D. S. Margoliouth, «Constantinople at the Declaration of the Constitution», Fortnightly Review XC (October 1908) p. 563.

(١٣) British Documents on the Origins of the war 1898-1914, vol. V, p. 263.

(١٤) انظر الفصل الرابع هامش ٦١ .

(١٥) رسالة شخصية الى المؤلف مؤرخة ١٦ أيار (مايو) ١٩٤١ ومن الطبيعي ان رضا توفيق في كلامه عن واجباته كان يشير الى فترة ما بعد اعلان الدستور .

(١٦) انظر الفصل الرابع .

(١٧) Das Zeitalter des Imperialismus 1884-1914 (Berlin, 1922), vol. II, p. 216.

(١٨) C. Freiherr v.d. Goltz, «Die Innerpolitische Umwälzung in der Türkei», Deutsche Rundschau, XXXV (January 1909), p. 10.

المصادر

ملاحظات حول المصادر

عند إعداد هذه الدراسة عن أصول حركة تركية الفتاة ، كان من الضروري غربلة كمية هائلة من المواد ، من كل شكل او نوع قد يتصورها الانسان . لقد كانت لجنة الاتحاد والترقي جمعية سرية ، ومن المفهوم انها لم تخلف وراءها سجلاً وافياً عن تكوينها وتنظيمها وبرنامجها ونشاطاتها . لذلك كان من الضروري ، لاعطاء صورة متماسكة عن الثورة التي طوحت بنظام عبد الحميد ، ان نجمعها من اشتات من المذكرات ومن التراجم ومن الكتب الثانوية المنوعة ومن الجرائد والمجلات التي نشرت إبان ثورة تركية الفتاة وبعدها بقليل . ولم يكن هذا المصدر الاخير أقلها أهمية .

وبالإضافة الى المواد المذكورة اعلاه ، فقد اسعف الحظ المؤلف بالحصول على عدد من الرسائل من اتراك اسهموا في ثورة سنة ١٩٠٨ ، ويبدو ضرورياً ان نوجز سرداً لها .

لقد كنت إبان سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ الدراسية اراسل صديقي الفاضل المرحوم الدكتور جون كنغسلي برج ، رئيس دائرة المطبوعات في المجلس الامريكي للارساليات الخارجية في استانبول ، وقد اعددت ، بناءاً على اقتراحه ، قائمة من الاسئلة عن حركة تركية الفتاة ، وارسلتها له ، فعرضها على المرحوم جامي بيكرت ، وزير الداخلية التركية السابق ، الذي اهتم بالموضوع حالاً ، وبناء

على اقتراحه ترجمت الاسئلة الى التركية ، ثم وزعت على عدد من معارفـه الذين كانوا في صباهم قد اسهموا بالثورة، وقد التمس منهم ان يجيبوا على الاسئلةلفائدة « استاذ امريكي » كان يقوم بدراسة عن ثورة تركية الفتاة .

وقد اجابوا حالا وبحماس ، وكانت معظم الردود اكثر من اجابات مقتضبة للاسئلة التي وجهت. وبواسطة هذه الرسائل اصبح ممكناً ملء عدد من الفراغات في المعلومات التي حصلنا عليها من مصادر أخرى ، وكذلك التوثق من المادةالتي اخذت من مثل هذه المصادر .

ان هذه الرسائل جاءت من رجال لم تكن خبراتهم متشابهة بشكل او بآخر ففضلي تونغ مثلا ، كان من الضباط الصغار الذين ابعدوا في سنة ١٨٩٧ عندما تخلى مراد بك عن الجمعية.أما رحمي بك فكان احد مؤسسي لجنة الاتحاد والترقي الجديدة في سلانيك . وعمر فوزي ماردين كان آمر مركز الجندرمة في جفجلي في مكدونية في سنة ١٩٠٨ . وهكذا استطاع كل منهم ان يروي خبراتهالخاصة بالاضافة الى مناقشة الاسئلة العامة التي وجهت اليه .

أما الدكتور ابراهيم تيمو فقد لبى طلب جامي بك للمعلومات بارسال نسخة من مذكراته التي طبعت حديثاً (انظر أدناه) ، كما ان جامي بك نفسه تلطف فزودني بنسخة مخطوطة من مذكراته غير المطبوعة .

أما رسالتا الفيلسوف والشاعر التركي العظيم المرحوم الدكتور رضا توفيق ، واللتين ذكرناهما في قائمة المصادر ، فقد حصلت عليها بمراسلة ذلك الرجل الشريف ، باقتراح من ابنته الآنسة سلمى رضا في نيويورك ، ثم اسعفني الحظ فيما بعد بالتحدث عدة مرات إلى رضا توفيق في تركية .

أما رسالة الدكتور ارنست ياك فكانت جواباً على رسالة من المؤلف. والواقع ان كلا من الرسالتين سجلت فقط النقاط العامة التي شملتها محادثتنا في نيويورك في سنة ١٩٤١ .

أما المطبوعات الرسمية للحكومات الاوروبية عن اصول الحرب العالمية ،

فكانت مفيدة لغرض هذه الدراسة عن طريق سلبي ، ولم ادخل قائمة مصادري منها إلا التي اشرت اليها في بحثي ، وهذه المطبوعات من حيث العموم تظهر فقط ان ثورة تركية الفتاة جاءت مفاجئة لحكومات اوروبة . غير انها مفيدة بشكل ثانوي لان تقارير الموظفين الدبلوماسيين والقنصليين بعد الثورة مباشرة كانت مليئة ، كما ان الصور التي يقدمونها عن الاشخاص والأحداث مفيدة جداً. غير ان قيمتها بوجه عام ليست اكثر ولا أقل من قيمة التقارير المسجلة للحوادث التي وضعها مراقبون آخرون .

أما المواد الداخلة في صنف « المذكرات ، والتراجم الشخصية » فهي لا تتكافأ في قيمتها ، وهذا امر منتظر . لقد حصلنا من كل منها على شيء ، ولكن في كثير من الاحوال ، كان هذا الشيء قليلاً جداً .

ان مذكرات الدكتور ابراهيم تيمو ، احد مؤسسي لجنة الاتحاد والترقي الاولى في مدرسة الطب العسكرية ، ينبغي ان تعتبر مصدراً اولياً من الطراز الاول ، وخاصة لاحداث سنة ١٨٩٠ ، وما كان قريباً منها . لقد نظم الدكتور تيمو مذكراته بعد تلك الاحداث بامد طويل ، وكانت في بعض الاحيان غير واضحة مطلقاً ، ولكن الكتاب ثمين بصورة خاصة لما يحتويه من رسائل .

أما كتاب تشارلس رودن باكستون Charles Roden Buxton: Turkey in Revolution فقد ظهر في وقت مبكر جداً بحيث صار مقصوراً على سرد للأحداث التي تلت اعلان الدستور في سنة ١٩٠٨ . لقد كان باكستون عضواً في لجنة البلقان ، واستطاع خلال زيارة رسمية لتركية بعد الثورة ، ان يرى بعض الحقائق عن اساس تلك الحركة ، ولكن كما اشار بنفسه ، كانت لجنة الاتحاد والترقي في هذا الوقت لا تزال تحرص على اسرارها بدقة .

وكتاب مارتن هارتمان Unpolitische Briefe aus der Türkei فهو كتاب لمستشرق الماني نابه زار تركية بعد الثورة وسجل انطباعاته ومقابلاته لمختلف الناس ، وهو كتاب ينبغي ان ينبش فيه المرء وينقب عن المعلومات ، غير انه بلا ريب جدير بالدراسة . ومن حسن الحظ ان فيه فهرستاً يسهل البحث .

أمـــا كتب جوستاف هوبكا Die Osterreichisch-Ungarische Offiziers Mission in Makedonia 1903-1909 فهو طريف من ناحية سلبية ، شأن المطبوعات الرسمية التي ذكرناها اعلاه ، وذلك لانه يظهر ان النمساويين فوجئوا ايضاً بقيام الثورة . ومهما يكن فان كتاب هوبكا يلقي ضوءاً جانبياً طريفاً على العلاقات بين الضباط الاتراك والاجانب قبيل حدوث الثورة .

والكتاب الآخر الوحيد الذي ينبغي فرزه من صنف المذكرات هو مذكرات اسماعيل كمال بك . وقد اعرنا هذه المذكرات اهتماماً كافياً عند بحثنا (انظر الفصل الثالث) . واهمية الكتاب العامة هي في وصفه المؤامرة الفاشلة لخلع عبد الحميد في سنة ١٩٠٣ .

أما كتب التراجم فيمكن المرور بهـا بسرعة ، إذ لم يكتب الى اليوم حتى ولا تقدير كاف نسبياً ، لعبد الحميد في اية لغة ، فاحدث ترجمة « للسلطان الاحمر » هي التي كتبتها الما واتلن **Alma Wittlin, Abdul Hamid, the Shadow of God** وهي ليست سوى محاولة لتحليل نفسية هذا الرجل عن طريق دراسة المؤلفات القليلة المتوفرة . أما فيما يتعلق باتاتورك فقد كتبت له عدة تراجم ، غير انه ليست هناك واحدة منها يمكن اعتبارهـــا ذات قيمة عن الفترة التي سبقت الحرب العالمية [الاولى] .

لقد ذكرنا تحت عنوان « كتب عامة » ما يزيد عن المائة كتاب ، ولكن من الواضح ايضاً انها ليست جميعها ذات اهمية او حتى قيمة كبيرة .

ولعل من الخير ان نقدم لملاحظاتنا على هذا الصنف بالاشارة الى انـه لم تجر حتى الآن دراسة جدية لاصول ثورة تركية الفتاة في اية لغة ، لقـد الفت عدة كتب توحي عناوينها بان المرء قد يجد فيها دراسة معتمدة للموضوع ، غير انها في الغالب خداعة فكتاب فكتور بيرارد Victor Bérard, La Révolution Turque دراسة للعلاقات الدوليـة ، وكتاب يوسف فهمي « الثورة العثمانية (١٩٠٨ — ١٩١٠) » لا يبحث عن اصول الثورة ، أمـــا كتاب فلادان جورجيفتش Vladan Georgevitch, Die Türkische Revolution und ihre Aussichten

فيمثل بالدرجة الاولى وجهـــة نظر صربية . وكتاب نايت E. F. Knight, Turkey: The Awakening of Turkey: The Turkish Revolution of 1908 فهو وصف صحفي كتب بعد الاحداث التي يصفها بامد قصير ، ومع ذلك ففائدته مثل الفائدة العائدة من كتاب باكستون (Buxton, Turkey in Revolution) اما كتاب جراف ادالبرت ستينبرغ Graf Adalbert Sternberg, Die Türkische Revolution فقد وصفه مارتن هارتمن بحق عندما قال عنه «انه مثل في السلبية»[1].

أما في اللغة التركية فثمة سيل من الكتب عن ثورة تركية الفتاة ، غير أن معظمها ذو قيمة ضئيلة إذ لا توجد دراسة واحدة دقيقة عن الموضوع . واكثر الكتب الموجودة فائدة هي كتب احمد بدوي كوران ، غير انهـا مجموعة مواد اولية مكدسة مع بعضها اكثر منها دراسة تحليلية .

هناك كتابان آخران يبحثان مباشرة عن ثورة تركية الفتاة ولكني لم أرهما ، اولها هو كتـاب كوتشباخ A. Kutschbach, Die Tuerkische Revolution ولعـله من صنف كتاب ستينبرج ، والثاني هو كتاب خ . ز . كابدولين Kh. Z. Gabidullin, Mladoturetskaia Revolutsiia غير اني لا أعرف عنه شيئاً .

ولعـل أهم كتاب من هذا الصنف هو كتاب بول فيش Paul Fesch, Constantinople aux Derniers Jours d'Abdul-Hamid

لقد طبع هذا الكتاب بباريس في سنة ١٩٠٧ غير ان عنوانـه الذي يشم منه رائحة التنبؤ لا يعني ان المؤلف كان له علم سابق بثورة سنة ١٩٠٨ . لقـد كان الاعتقاد سائداً بان عبد الحميد كان في طريقه الى الموت ، وعلى أساس هـذا وضع فيش العنوان السابق لكتابه . لقد اشرت في دراستي هذه الى هـــذا الكتاب عدة مرات وذلك لان فيه كمية كبيرة من المعلومات عن أعضاء تركية الفتاة في باريس ، وعن الصراع بين احمد رضا وصباح الدين حول القيادة . ان فيش ، وهو قسيس فرنسي ، اهتم بصباح الدين ، ولا شك ان كتابه فيه تحيز

---

(1) «Die neuere Literatur zum türkischen Problem», Zeitschrift für Politik, III (1909), 175.

لصباح الدين ، غير ان تحيزه من حسن الحظ يتجلى في التأكيد والتفسير ، لا في تشويه الحقائق .

لقد ارتأى مارتن هارتمن ان المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب هو صباح الدين[1] ومما يدعم هذه النظرية ان الكتاب فيه مادة كثيرة لها صفة الوثائق فضلاً عن انها تظهر عطفاً كبيراً على صباح الدين . غير ان الكتاب من جهة أخرى ، فيه كثير مما لا يتعلق بحركة تركية الفتاة ، ويبدو ان واقع الامر هو ان فيش كتب فصل « تركية الفتاة » من ملاحظات قدمها فضلي تونغ (احمد فضلي بك) الذي كان اخا صباح الدين بالرضاعة ، وكان قد هرب مؤخراً من طرابلس . هذا على الاقل ما اخبرني به المرحوم فضلي تونغ بواسطة جامي بيكرت .

وهناك كتاب آخر فيه مادة وفيرة هي من نوع الوثائق ،وهو كتاب جوزيف ديني Joseph Denais, La Turquie Nouvelle et L'Ancien Régime لقد كان ديني سكرتير فيش ، غير انه يبدو ان اعتدال فيش وانصافه غير متوفرين فيه ، لان كتابه تمجيد وتعظيم لصباح الدين واقذاع عنيف بخصوم صباح الدين. ان المرء يشعر ان ديني قد شعر بثقل دينه لارتباطه « بالملكية » في شخص صباح الدين . ومع هذا فان الكتاب مفيد رغم انه يكرر بعض مواد كتاب فيش .

اما عن الفترة الاولى لحركة تركية الفتاة ، فان مقالة ك.سوسهايم عن « عبد الله جودت » في ملحق دائرة المعارف الاسلامية (١٩٣٨) مكمل مفيد جداً لمذكرات الدكتور تيمو ولمجموعة الرسائل التركية التي اشرنا اليها اعلاه . ولا بد ان سوسهايم اخذ مادته من مصادر شخصية ، لان كثيراً من المعلومات في مقالته لم تظهر في أي كتاب مطبوع آخر على ما أعلم .

---

(١) انظر : **Unpolitische Briefe aus der Türkei** ص١٤ حيث يشير هارتمان الى:
«[das grosse Werk] Sabaheddins, das er durch... Fesch veröffentlichen liess».

ومما يدل على اهتمام بقية العالم بظاهرة ثورة تركية الفتاة ، هو عدد المقالات التي ظهرت عنها في المجلات الاوروبية والامريكية ابان السنوات القليلة التي تلتها، اذ يظهر ان كل من كان له أقل علم بتركية ، اراد ان يدون اراءه . وكان كثير من المقالات في هذا السيل من المادة ، ذا اهمية ضئيلة ، ولكن بينها بعض المقالات الطريفة والمفيدة .

ان ابرز اسهام في هذا المضمار هو الذي قام به الجنرال امهوف في مقاله الذي نشره في العدد الاول من مجلة Die Welt des Islams سنة ١٩١٣ وعنوانه «Die Entstehung und der Zweck des Comités für Einheit und Fortschritt» ان المؤرخين مدينون للجنرال امهوف لتقديمه بصبر واناة كافة ما سمعه عن أصول لجنة الاتحاد والترقي ، وذلك خلال جولته التي قام بها كقسم عن واجبه في تركية ، ولنشره ما وجد دون تعليق سوى الامل الذي عبر عنه بان تكون ذات فائدة لمن يؤرخ للحركة في المستقبل . فمقالته اذاً هي صنف قائم بذاته لانها تقرير دقيق غير متحيز عما حصل عليه أمهوف من اخبار من الضباط الاتراك وغيرهم ممن كان في مركز يؤهله لمعرفة الحقائق عندما كان الموضوع لا يزال جديداً في اذهانهم . ولما جمع أمهوف الروايات المتضاربة عن القصة الواحدة ، نشرها جميعاً دون ان يحاول تقرير أي الروايات أصح .

ومما له صفة الوثائق أيضاً مقالات عافت (Afet) وخسرو سامي قزل دوغان التي ظهرت في سنة ١٩٣٧ في النشرة التي تطبعها الجمعية التاريخية التركية التي تأسست في تلك السنة . ولا أضيف شيئاً على ما قلته في هوامش الفصل الرابع عن هذه المقالات او عن مقالات جينديني (Jean Deny) في مجلة Revue du Monde Musulmane ومجلة Revue des Etudes Islamiques .

ونجد دراسات مفيدة جدا عن الجيش التركي والثورة في مقالة فيليس دي شوران دي سانت يوستاش Felice de Chaurand de St-Eustache, «L'Esercito nel Movimento Costituzionale della Turchia» , Rivista d'Italia, XI (1908) ومقالة أ. ج. ديلون E. J. Dillon, «A Clue to the Turkish Tangle»,

ومقالة اللفتننت كولونيـــل ماليتير Contemporary Review, XCV (1909)
Lieutenant-Colonel Malleterre, «L'Armée Jeune-Turque», Revue des Sciences Politiques, XXVI (1911).

ويجدر ايضا ان نذكر المقالات التالية التي كان لها بعض القيمة :

Richard Gottheil, «The Young Turks and old Turkey», Forum, XL (1908).
Gustav Hubka, «Die Reformaktion in Makedonien in den Jahren 1320-1324 (1904-1908)», Streffleurs Militärische Zeitschrift, (1909)
وهي تكمل كتابه الذي ذكرناه اعلاه :

(Die Osterreichisch-Ungarische Offiziermission in Makedonia); «Viator», «The Turkish Revolution», Fortnightly Review, XC (1908),

والمقالات التي نشرها عن صباح الدين Demetra Vaka في مجلة « اسية » بالرغم من شدة تحيزها (Demetra Vaka, Asia, 1924) .

المصادر والمراجع

المنشورات الرسمية

Germany. Auswärtiges Amt. **Die Grosse Politik der Europäischen Kabinette, 1871-1914. Sammlung der Diplomatischen Akten des Auswärtigen Amtes** (Berlin, 1922-1926). 40 vols.

Great Britain. **Accounts and Papers.** vol. cv (1909). Cmd. 4529. **Turkey.** No. 1 (1909). **Correspondence Respecting the Constitutional Movement in Turkey,** 1908.

Great Britain. Foreign Office. **British Documents on the Origins of the War,** 1898-1914 (London, 1926 ff.) 12 vols.

Soviet Russia. Tsentrarkhiv. A. Popov, **«Turetskaia Revolutsiia 1908-1909 gg.,» Krasnyi Arkhiv.** XLIII (1930), 3-54; XLIV (1931), 3-39; XLV (1931), 27-52.

مراجع مخطوطة

Baykurt, Jami (Cami Bey). Chapter from unpublished memoirs (in Turkish).

Jäckh, Dr. Ernst. Letter to the author dated February 5, 1941 (in German).

Janer (Caner), Fehmi. Letter to Jami Baykurt dated March 25, 1941 (in Turkish).

Kervan, Nahit. Letter to Jami Baykurt, undated (in Turkish).

Mardin, Omer Fevzi. Letter to Jami Baykurt dated March 4, 1941 (in Turkish).

Onbulak, Dr. Ali Osman, Letter to Jamil Baykurt dated March 20, 1941 (in Turkish).

Ozden, Dr. Akil Muhtar. Letter to Jami Baykurt dated May 4, 1941

(in Turkish).
Rahmi Bey. Letter to Jami Baykurt dated March 9, 1941 (in Turkish).
Riza Tevfik Bey. Letter to the author dated May 16, 1941 (in English).
——— Letter to the author dated May 24, 1942 (in English).
Tung, Fazli. Letter to Jami Baykurt dated May 20, 1941 (in Turkish).

مذكرات وسير ذاتية ويوميات وروايات، الخ

Abbott, G. F. **The Tale of a Tour in Macedonia** (London: Edward Arnold, 1903). 343 pp.
Aflalo, F. G. **Regilding the Crescent** (London: Martin Secker, 1911). 310 pp.
Bolayir, Enver (ed.) **Talât Pasa'nin Hatiralari** [Memoirs of Talat Pasha] (Istanbul: Güven Basimevi, 1946), 149 pp.
Bonsal, Stephen. **Heyday in a Vanished World** (New York: W.W. Norton, 1937). 445 pp.
Buxton, Charles Roden. **Turkey inRevolution** (London: T. Fisxher Unwin, 1909). 285 pp.
Dukagin-Zadeh Basri-Bey. **Le Monde Oriental et l'avenir de la Paix** (4th edn.; Paris: Perrin, 1920). 320 pp.
Edib, Halidé. **Memoirs of Halidé Edib** (New York & London: Century, n.d.). 472 pp.
Farkas, Paul. **Staatsstreich und Gegenrevolution in der Türkei** (Berlin: Puttkammer & Mühlbrecht, 1909). 110 pp.
Fraser, David. **Persia and Turkey in Revolt** (Edinburgh & London: William Blackwood & Sons, 1910). 440 pp.
Fidel, Camille. **Les Premiers Jours de la Turquie Libre : Lettres d'un Témoin** (Partis: Société Général d'Imprimerie, 1909). 77 pp.
Giesl, Wladimir. **Zwei Jahrzehnte im Nahen Orient: Aufzeichnungen des Generals der Kavallerie Baron Wladimir Giesl. Ed.** by General-major Ritter v. Steinitz. (Berlin: Verlag für Kulturpolitik, 1927). 331 pp.
Giolitti, Giovanni, **Memoirs of My Life** (London & Sydney: Chap-

man & Dodd, 1923). 472 pp.

Hartmann, Martin. **Unpolitische Briefe aus der Türkei.** vol. III of **Der Islamische Orient: Berichte und Forschungen** (Leipzig. Rudolf Haupt, 1910). 262 pp.

Hepworth, Geo. H. **Through Armenia on Horseback** (New York: E. P. Dutton, 1898). 355 pp.

Herbert, Aubrey. **Ben Kendim: A Record of Eastern Travel** (2nd edn.; London: Hutchinson, n.d.) 380 pp.

Hubka, Gustav. **Die Osterreichisch-Ungarische Offiziersmission in Makedonia 1903-1909.** Im Auftrage des letzten Ku.K. Militäradjoints, Oberst im Generals tabkorps August Urbanski von Ostrymiecz und mit Genehmigung des K.u.K. Reichskriegsministerium bearbeitet von Gustav Hubka (Vienna: F. Tempsky, 1910). 154 pp.

Ismail Kemal Bey. **The Memoirs of Ismail Kemal Bey.** Ed. by Sommerville Story (London: Constable, 1920). 410 pp.

Izzet Pascha. Denkvürdigkeiten des Marschalls Izzet Pascha; ein kritisher Beitrag zur Kriegsschuldfrage. Ed. & tr. by Karl Klinghardt (Leipzig: K. F. Koehler, 1927). 309 pp.

Jäckh, Ernst. **Der Aufsteigende Halbmond: Beitrage zur Türkischen Renaissance** (Berlin: Buchverlag der «Hilfe», 1911). 197 pp.

——— (ed.) **Kiderlen-Wächter, der Staatsmann und Mensch: Briefweechsel und Nachlass** (Berlin & Leipzig: Deutsche Verlags-Anstalt Stuttgart, 1925). 2 vols.

——— **The Rising Crescent; Turkey Yesterday, Today, and Tomorrow** (New York & Toronto: Farrar & Rinehart, 1944). 278 pp.

Kutschbach, A. **Der Brandherd Europas: 50 Jahre Balkan-Erinnerungen** (Leipzig: E. Haberland, 1929). 455 pp.

Mayakon, Ismail Müstak. **Yildizda Neler Gordum? [What did I see at Yildiz?].** (Istanbul: Sertel Matbaasi, 1940). 200 pp.

Midhat, Ali Haydar. **Souvenir de mon Exil Volontaire** (Geneva: Imprimerie Internationale, 1905). 222 pp. plus 34 pp. in Turkish.

Mithat, Ali Haydar. **Hatiralarim, 1872-1946 [My Memories, 1872-1946].** (Istanbul: Mithat Akçit Yayini, 1946). 366 pp.

Moore, Arthur. **The Orient Express** (London: Constable, 1914).

308 pp.

Niyazi, Kolagasi (Major) Resnali Ahmet. **Hatirati Niyazi, yahut Tarihçei-Inkilab-i-Kebir-i-Osmaniden bir Sahife [The Memoirs of Niyazi, or a Page from the History of the Great Ottoman Revolution]**. (Istanbul: Sabah Matbaasi, 1326 [1908- 1909]). 240 pp.

Patrick, Mary Mills. **Under Five Sultans** (New York & London: Century, 1929). 357 pp.

Pears, Sir Edwin. **Forty Years in Constantinople** (New York: Appleton, 1916). 390 pp.

Pomiankowski, Joseph. **Der Zusammenbruch des Ottomanischen Reiches: Erinnerungen an die Türkei aus der Zeit des Weltkrieges** (Zurich, Leipzig, Vienna: Amalthea Verlag, 1928). 444 pp.

Poynter, Mary A. **When Turkey was Turkey: In and Around Constantinople** (London: Routledge; New York: Dutton, 1921). 197 pp.

Rambert, Louis. **Notes et Impressions de Turquie: L'Empire Ottoman sous Abdul-Hamid 1895-1905** (Geneva & Paris: Edition Atar, 1926). 355 pp.

Rappoport, Alfred. **Au Pays des Martyrs: Notes et Souvenirs d'un ancien Consul-Général d'Autriche-Hongrie en Macédoine** (1904-1909) (Paris: J. Gamber, 1927). 137 pp.

Sciaky, Leon **Farewell to Salonica: Portrait of an Era** (New York: Current Books; A. A. Wyn, 1946). 241 pp.

Steed, Henry Wickham. **Through Thirty Years 1892-1922; A Personal Narrative** (Garden City, N.Y.: Doubleday Page, 1925). 2 vols.

Stuermer, Dr. Harry. **Two War Years in Constantinople: Sketches of German and Young Turkish Ethics and Politics** (New York: G. H. Doran, 1917). 292 pp.

Tahsin Pasa. **Abdülhamit ve Yildiz Hatiralari [Abdul Hamid and Memories of Yildiz]** (Istanbul: Ahmet Halit Kitaphanesi, 1931). 297 pp.

Temo, Dr. Ibrahim. **Ittihad ve Terakki Cemiyetinin Tesekkü lü ve Hidemati Vataniye ve Inkilabi Milliye Dair Hatiratim** [The Formation of the Society of Union and Progress and my Memories respecting Services to the Fatherland and the National Revolution] (Medjidia, Romania, n.p., 1939). 303 pp.

Upward, Allen. **The East End of Europe: The Report of an Unofficial Mission to the European Provinces of Turkey on the Eve of the Revolution** (London: John Murray, 1908). 368 pp.

Vambéry, Arminius. **The Story of My Struggles: The Memoirs of**

Arminius Vambéry (New York: E.P. Dutton, 1904). 2 vols.

Whitman, Sidney. **Turkish Memories (London: Wm. Heinemann, 1914).** 305 pp.

Woods, Sir Henry F. **Spunyarn from the Strands of a Sailor's Life Afloat and Ashore: Forty-seven Years under the Ensigns of Great Britain and Turkey** (London: Hutchinson, 1924). 2 vols.

سير

Armstrong, H. C. **Grey Wolf: Mustafa Kemal, an Intimate Study of a Dictator** (London: Arthur Barker, 1932). 352 pp.

Deny, Jean (ed.) **Souvenirs du Gâzi Moustafa Kemâl Pacha (Paris: Librarie Orientaliste Paul Geuthner, 1927), pp.** 117-221; 459-463. Extracted from the Revue des Etudes Islamiques (1927).

Djemaleddin Bey. **Sultan Murad V: The Turkish Dynastic Mistery 1876-1895** (London: Kegan Paul, Trench, Trübner, 1895). 266 pp.

Dorys (Adossidès), Georges. **The Private Life of the Sultan of Turkey** (New York: D. Appleton, 1902). 277 pp.

Elmaleh, Abraham. **Le Professeur Abraham Galante: Sa Vie et ses Œuvres** (Istanbul: n.p., 1946). 104 pp.

Froembgen, Hamms. **Kemal Ataturk: A Biography.** Tr. by Kirkness (London: Jarrolds, 1937). 286 pp.

Gentizon, Paul. **Mustopha Kemal ou l'Orient en Marche** (Paris: Bossard, 1929). 350 pp.

Heyd, Uriel. **Foundations of Turkish Nationalism: The Life and Teachings of Ziya Gokalp** (London: Luzac & Co., & the Harvill Press, 1950). 174 pp.

Hidayette. **Abdul Hamid Révolutionnaire, ou ce qu'on ne peu pas dire en Turquie** (n.p., n.d.) 269 pp.

Ikbal Ali Shah. **Kamal: Maker of Modern Turkey** (London: Herbert Joseph, 1934). 297 pp.

Léouzon le Duc, L. **Midhat Pacha** (Paris: E. Dentin, 1877). 227 pp.

Lusignan, Princess Annie de. **The Twelve Years' Reign of his Imperial Majesty Abdul Hamid II, Sultan of Turkey** (London: Sampson Low, Marston, Searle, & Rivington, 1889). 270 pp.

Midhat, Ali Haydar. **The Life of Midhat Pasha: a Record of his**

Services, Political Reforms, Banishment, and Judicial Murder (London): John Murray, 1905). 292 pp.

Mikusch, Dagobert von. **Mustapha Kemal: Between Europe and Asia; a Biography.** Tr. by John Linton (Garden City, N.Y.: Doubleday, Doran, 1931). 380 pp.

Sark Kitaphanesi, 1933). 139 plus 251 pp.

Nüzhet, Sadettin, Namik Kemal: **Hayati ve Siirleri** (Istanbul: Yeni

Pakalin, Mehmed Zeki. **Midhat Pasa** (Istanbul: Ahmet Sait Matbaasi, 1940). 259 pp.

Pears, Sir Edwin. **Life of Abdul Hamid** (New York: Henry Holt, 1917). 365 pp.

Rizas, G. **Abdul Hamid: Sa Vie Politique et Intime; 33 Ans de Tyrannie; Tous les Secrets de la Camarilla dévoilés; Prodigeux Efforts, du Parti Jeune Turc; publié par G. Riza d'après les Meilleurs Ecrivains et Biographes d'Abdul Hamid** (Constantinople: Imprimerie E. Pallamary, 1909). 496 pp.

Roy, Gilles. **Abdul-Hamid, le Sultan Rouge** (Paris: Payot, 1936). 243 pp.

Sapolyo, Enver Behnan. **Ziya Gökalp: Ittihat ve Terakki ve Mesrutiyet Tarihi (Ziya Gökalp History of Union and Progress and the Constitution)** (Istanbul: Güven Basimevi, 1943). 270 pp.

Tongas, **Gérard. Atatürk and the True Nature of Modern Turkey.** Tr. by Major F. F. Rynd (London: Luzac, 1939). 79 pp.

Wittlin, Alma. **Abdul Hamid, the Shadow of God. Tr.** from the German by Norman Denny (London: John Lane, 1940). 296 pp.

Wortham, H. E. Mustapha Kemal of Turkey (Boston: Litle, Brown, 1931). 251 pp.

كتب عامة

Abott, G. F. **Turkey in Transition** (London: Edward Arnold 1909). 370 pp.

Abelous, Frédéric. **L'Evolution de la Turquie dans ses Rapports avec les Etrangers** (Toulouse: Imprimerie du Sud-Ouest, 1928). 297 pp.

Ahmet Riza. **La Crise de l'Orient** (Paris, 1907).

Ahmet Riza. La Faillite Morale de la Politique Occidentale en Orient (Paris : Picart, 1922). 207 pp.

——— **Tolérance Musulmane** (Paris, 1897).

Aischin, Mohamed. **Die Freiheitsbewegung in der Türkei (Ein Versuch historischer Forchung**). Einzig autorisierte Uebersetzung von A.J. Ramm (Berlin: J. Ladyschnikow, 1908). 91 pp.

Allen, Henry Elisha. **The Turkish Transformation: A Study in Social and Religious Development** (Chicago: University of Chicago Press, 1935). 251 pp.

Allen, W. E. D. **The Turks in Europe; a Sketch-Study** (New York: Scribner's 1920). 256 pp.

Anastasoff, Christ. **The Tragic Peninsula: A History of the Macedonian Movement for Independence since 1878** (St. Louis, Mo.: Blackwell Wielandy Co., 1938). 369 pp.

Ancel, Jacques. **Manuel Historique de la Question d'Orient** (1792-1926) (3rd ed.; Paris: Librairie Delagrave, 1927). 340 pp.

pè,)!2j p fir5cee ela6R Lpp ARAOîFGFGFHHHHHH

Antonius, George. **The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement** (Philadelphia, New York, Toronto: Lippincott, 1939). 471 pp.

Babinger, Franz. **Die Geschichtsschreiber der Osmanen und ihre Werke** (Leipzig: Otto Harrassowitz, 1927). 477 pp.

Baker B. Granville. **The Passing of the Turkish Empire in Europe** (London: Seeley, Service, & Co., 1913). 335 pp.

Bareilles, Bertrand. **Les Turcs, ce que fut leur Empire, leurs Comédies Politiques** (Paris: Perrin, 1917). 313 pp.

Becker, Carl Heinrich. **Islamstudien: Vom Werden und Wesen der Islamischen Welt** (Leipzig: Quelle & Meyer, 1932). 2 vols.

Bérard, Victor. **La Mort de Stamboul: Considérations sur le Gouvernement des Jeunes-Turcs** (Paris: Colin, 1913). 418 pp.

——— **La Révolution Turque** (Paris: Armand Colin, 1909). 352 pp.

Birge, John Kingsley. **The Bektashi Order of Dervishes** (London: Luzac; Hartford, Conn.: Hartford Seminary Press, 1937). 291 pp.

Blaisdell, Donald C. **European Financial Control in the Ottoman Empire: A Study of the Establishment, Activities, and Significance of the Administration of the Ottoman Public Debt** (New York: Columbia University Press, 1929). 243 pp.

Brockelmann, Carl. **Geschichte der Islamischen Völker und Staaten**

(Munich & Berlin: R. Oldenbourg, 1939). 495 pp.

Brown, John P. **The Dervishes, or Oriental Spiritualism.** Ed. with introduction and notes by H.A. Rose (London: Humphrey Milford, 1927). 496 pp.

Carra de Vaux, Baron. **Les Penseurs de l'Islam** (Paris: Paul Geuthner, 1921-1926). 5 vols.

Castle, Wilfred T. F. **Grand Turk: An Historical Outline of Life and Events, of Culture and Politics, of Trade and Travel during the Last Years of the Ottoman Empire and the First Years of the Turkish Republic** (London, New York, Melbourne; Hutchinson & Co., n.d. [1943?]) 170 pp.

The Cause of World Unrest, With an Introduction by the Editor of «The Morning Post» (London: Grant Richards Ltd., 1920). 269 pp.

Cohen, M. [arcel Samuel Raphael] («Tekin Alp»). **Türkismus und Pantürkismus.** Vol. 2 of Deutsche Orient-Bücherei, ed. by Ernst Jäckh (Weimar: Verlag Gustav Kiepenheuer, 1915). 112 pp.

Davey, Richard. **The Sultan and his Subjects** (New York: E. P. Dutton, 1897). 2 vols.

David, Wade Dewood. **European Diplomacy in the Near Eastern Question, 1906-1909,** Illinois Studies in the Social Sciences, vol. XXV, No. 4 (Urbana, Ill: University of Ilinois Press, 1940). 124 pp.

Denais, Joseph. **La Turquie Nouvelle et l'Ancien Régime** (Paris: Librairie des Sciences Politiques et Sociales; Marcel Rivière, 1909). 96 pp.

Diamantopulo, Hercule. **Le Réveil de la Turquie: Études et Croquis Historiques** (Alexandria, Egypt: I. Della Rocca, n.d. [1909?]) 300 pp.

Dubnow, S. M. **Die Neueste Geschichte des Jüdischen Volkes** (Berlin: Jüdischer Verlag, 1920-1923). 3 vols.

Durand, Alfred. **Jeune Turquie Vieille France** (Paris : Fournier, 1909). 355 pp.

Edib, Halide, **Turkey Faces West: A Turkish View of Recent Changes and their Origin** (New Haven: Yale University Press, 1930). 273 pp.

Eliot, Sir Charles («Odysseus»). **Turkey in Europe** (New edn.; London: Edward Arnold, 1908). 459 pp.

Emin, Ahmed. **The Development of Modern Turkey as Measured by**

its Press, Studies in History, Economics and Public Law edited by the Faculty of Political Science of Columbia University, vol. LIX, No. 1 (New York: Columbia University, 1914). 143 pp:

——— **Die Turkei,** Vol. 5 of Perthes' Kleine Völker — und Länderkunde zum Gebrauch im praktischen Leben (Gotha : Perthes, 1918). 95 pp.

Endres, Franz Carl. **Die Türkei: Eine Einführung in das Verständnis von Land und Volk** (4th ed.; Munich: Oskar Beck, 1918). 325 pp.

Fazy, Edmond. **Les Turcs d'aujourd'hui ou le grand Karaghuez** (Paris: Paul Ollendorf, 1898). 284 pp.

Fehmi, Youssouf. **La Révolution Ottomane** (1908-1910) (Paris : V. Giard & E. Brière, 1911). 282 pp.

——— **Tablettes Révolutionnaires d'un Jeune Turc** (Paris: A. Michalon, 1903). 69 pp.

——— **Les Turcs de Paris: Espionnage et Contre-Police** (Paris : André Lequesne, 1908). 46 pp.

Fesch, Paul. **Constantinople aux Derniers Jours d'Abdul-Hamid** (Paris: Marcel Rivière, 1907). 673 pp.

Friedjung, Heinrich. **Das Zeitalter des Imperialismus 1884-1914** (Berlin: Neufeld & Henius, 1922). 2 vols.

Fua, Albert. **Abdul-Hamid II et Mourad V: Masque de Fer** (Paris: A. Michalon, 1909). 76 pp.

——— **Le Comité Union et Progrès Contre la Constitution** (Paris: Emile Noury, n.d. [1912?]). 107 pp.

Fua, Albert, and Refik-Nevzad, Dr. **La Trahison du Gouvernement Turc** (Comité Union et Progrès) (Paris: Michel, 1914). 31 pp.

Gabidullin, Kh. Z. **Mladoturetskaia Revolutsiia** (Moscow: Istoricheskie Ocherki, 1936). 227 pp.

Galanté, Abraham. **Nouveaux Documents sur Sabbetai Sevi: Organisation et Us et Coutumes de ses Adeptes** (Istanbul: Fratelli Haim, 1935). 125 pp.

——— **Turcs et Juifs: Etude Historique, Politique** (Istanbul: Haim, Rozio & Co., 1932). 160 pp.

——— **Appendice à l'ouvrage Turcs et Juifs** (Istanbul: M. Babok, 1937). 40 pp.

Garcia, Louis. **The Great Powers and the Macedonian Question, 1902-1908** (umpublished M.A. thesis, University of California, 1934). 117 numbered leaves.

Georgevitch, T.-R. **La Macédoine** (Paris: Grasset, 1919). 273 pp.

Georgevitch, Vladan. **Die Türkische Revolution und ihre Aussichten** (Leipzig: S. Hirzel, 1908). 102 pp.

Georgiades, Demetrius. **Is the Regeneration of Turkey Possible?** (London: Kegan Paul, Trench, Trübner, 1910). 163 pp.

Ghersi, Emanuele. **I Movimenti Nazionalistici nel Mondo Musulmano** (Padova: Cedam, 1932). 336 pp.

Gibb, E. J. W. **A History of Ottoman Poetry** (London: Luzac, 1900-1909). 6 vols.

des Godins de Souhesmes, G. **Au Pays des Osmanlis** (2nd edn.; Paris: Victor-Havard, 1894). 400 pp.

Goltz, Freiherr von der. **Der Jungen Türkei Niederlage und die Möglichkeit ihrer Wiedererhebung** (Berlin: Verlag von Gebrüder Paetel, 1913). 70 pp.

Graves, Philip P. **Brinton and Turk** (London & Melbourne: Hutchinson, 1941). 260 pp.

Hamilton, Angus. **Problems of the Middle East** (London: Evleigh Nash, 1909). 484 pp.

Hasluck, F. W. **Christianity and Islam under the Sultans.** Ed. by Margaret M. Hasluck (Oxford: Clarendon Press, 1929). 2 vols.

Hecquard, Charles. **La Turquie sous Abdul-Hamid II: Exposé Fidèle de la Gérance d'un Empire pendant un quart de Siècle (31 Août 1876, 1er Septembre 1900)** (Brussels: Henri Lamertin, 1901). 468 pp.

Helfferich, Karl. **Die Deutsche Türkenpolitik** (Berlin: Vossische Verlag, 1921). 31 pp.

Imbert, Paul. **La Renovation de l'Empire Ottoman: Affaires de Turquie** (Paris: Perrin, 1909). 311 pp.

Jarman, T. L. **Turkey** (Bristol: Arrowsmith, 1935). 132 pp.

Jung, Eugene. **La Révolte Arabe** (Paris: C. Bohrer, 1924-1925). 2 vols.

Knight, E. F. **Turkey: The Awakening of Turkey: The Turkish Revolution of 1908** (Boston & Tokyo: J. B. Millet Co., 1910). 324 pp.

Kohn, Hans. **A History of Nationalism in the East** (New York: Harcourt, Brace ,1929). 476 pp.

Kuran, Ahmed Bedevi. **Inkilâp Tarihimiz ve Ittihad ve Terakki [The History of our Revolution and Union and Progress]** (Istanbul: Tan Matbaasi, 1948). 319 pp.

Kuran, Ahmed Bedevi, **Inkilâp Tarihimiz ve «Jön Turkler»** [The

History of Our Revolution and the «Young Turks»] (Istanbul : Tan Matbaasi, 1945). 378 pp.

Kutschbach, A. **Die Tuerkische Revolution** (Halle, 1908).

La Jonquiere, Vicomte de. **Histoire de l'Empire Ottoman depuis les Origines jusqu'à nos jours** (Nouvelle ed.; Paris: Librairie Hachette, 1914). 2 vols.

Lamouche, Colonel, **Histoire de la Turquie depuis les Origines jusqu'à nos jours** (Paris: Payot, 1934). 427 pp.

——— Quinze Ans d'Histoire Balkanique (1904-1918) (Paris: Payot, 1928). 234 pp.

Langer, William L. **The Diplomacy of Imperialism 1890-1902** (New York: Alfred A. Knopf, 1935). 2 vols.

Lévy, Sam. **Le Déclin du Croissant** (Paris: Bernard Grasset, 1913). 231 pp.

Loutfi, I. **L'Etat Politique de la Turquie et le Parti Libéral** (Paris: Imprimerie d'Ouvriers Sourds-Muets, 1903). 32 pp.

Lukach, Harry Charles (Sir Harry Luke). **The City of Dancing Derviches and other Sketches and Studies from the Near East** (London : Macmillan, 1914). 257 pp.

Luke, Sir Harry. **The Making of Modern Turkey; from Byzantium to Angora** (London: Macmillan, 1936). 246 pp.

McCullagh, Francis. **The Fall of Abd-ul-Hamid** (London: Methuen, 1910). 316 pp.

Macdonald, John. **Turkey and the Eastern Question** (London: T. C. & E. C. Jack, 1913). 92 pp.

Mandelstam, André. **Le Sort de l'Empire Ottoman** (Lausanne & Paris: Payot, 1917). 631 pp.

Mantegazza, Vico. **La Turchia Liberale e le Questioni Balchaniche** (Milano: Fratelli Treves, 1908). 424 pp.

Mears, Eliot Grinnell. **Modern Turkey: A Politico-Economic Interpretation with selected chapers by Representative Authorities** (New York: Macmillan, 1924). 779 pp.

Midhat, Kemal. **La Turquie Nouvelle** (Geneva: Edition Atar, n.d.). 16 pp.

Miller, William. **The Ottoman Empire and its Successors, 1801-1927, with an appendix, 1927-1936** (Rev. and enlarged ed.; Cambridge: At the University Press, 1936). 644 pp.

Moulin, René. **Force et Faiblesse de la Jeune-Turquie** (Paris: Plon-Mourrit, 1910). 87 pp.

Mourad-bey (Murat Bey). **La Force et la Faiblesse de la Turquie: Les Coupables et les Innocents** (Geneva: J. Mouille, 1897). 59 pp.

——— **Le Palais de Yildiz et la Sublime Porte: Le Véritable Mal d'Orient** (Paris: Chaix, 1895). 47 pp.

Muhiddin, Ahmet, **Die Kulturbewegung im Modernen Türkentum** (Leipzig: J. M. Gebhardt, 1921). 72 pp.

Nicolaïdès, N. **Sa Majesté Impériale, Abd-Ul-Hamid Khan II, Sultan, Réformateur et Réorganisateur de l'Empire Ottoman** (Brussels: Th. Dewarichet, 1907). 110 pp.

——— **Une Année de Constitution : 11/24 Juillet 1908-11/24 Juillet 1909** (Brussels: Th. Dewarichet, 1909). 262 pp.

Nouri, Ali. **Unter dem Scepter des Sultans** (Berlin: E. A. Schwetschke, 1905). 216 pp.

Pinon, René. **L'Europe et l'Empire Ottoman** (Paris: Perrin, 1917). 603 pp.

——— **L'Europe et la Jeune Turquie** (Paris: Perrin, 1911). 500 pp.

Queenborough, Lady (Edith Star Miller). **Occult Theocrasy** (Privately printed: n.p., n.d.). 2 vols.

Risal, P. **La Ville Convoitée: Salonique** (Paris: Perrin, 1914). 368 pp.

Riza, Ahmet. See Ahmet Riza.

Rousseau, Louis. **L'Effort Ottoman** (Paris: F. R. de Rudeval, 1908). 355 pp.

Ruchti, Jacob. **Die Reformaktion Osterreich-Ungarns und Russlands in Mazedonien 1903-1908; die Durchführung der Reformen** (Gotha: Perthes, 1918). 104 pp.

Salmoné, H. Anthony. **The Fall and the Resurrection of Turkey** (London: Methuen, 1896). 271 pp.

Sarrou, A. **La Jeune Turquie et la Révolution** (Paris : Berger-Levrault, 1912). 268 pp.

Sax, Carl Ritter von. **Geschichte des Machtverfalls der Türkei bis Ende des 19. Jahrhunderts, und die Phasen der «Orientalischen Frage» bis auf die Gegenwart** (Vienna: Manz, 1913). 654 pp.

Seignobosc, H. **Turcs et Turquie** (Paris: Payot, 1920). 249 pp.

Seton-Watson, R. W. **The Rise of Nationality in the Balkans** (London: Constable, 1917). 308 pp.

Stern, Bernhard. **Abdul Hamid II: Seine Familie und sein Hofstaat: Nach eigenen Ermittelungen** (Budapest: Sigmund Deutsch, 1901). 234 pp.

——— **Jungtürken und Verschwörer : Die Innere Lage der**

Türkei unter Abdul Hamid II: Nach eigenen Ermittelungen und Mittheilungen Osmanischer Parteiführer (2nd edn.; Leipzig : Grübel & Sommerlatte, 1901). 263 pp.

——— **Der Sultan und seine Politik: Erinnerungen und Beobachtungen eines Jornalisten** (Leipzig: B. Elischer Nachfolger, 1906). 240 pp.

Sternberg, Graf Adalbert. **Die Türkische Revolution** (Berlin: Georg Stillke, 1909). 118 pp.

Süssheim, K. «Abd Allâh Djewdet», **Encyclopedia of Islam, Supplement** (1938), pp. 55-60.

——— **«Der Zusammenbruch des Türkischen Reiches in Europa,»** in **Die Balkanfrage,** Heft 3 of Veröffentlichungen der Handelshochschule (München & Leipzig: Dunker & Humblot, 1914), pp. 69-107.

Swire, J. **Bulgarian Conspiracy** (London: Robert Hale, 1939). 356 pp.

Sykes, Sir Mark. The Caliph's Last Heritage: A Short History of the Turkish Empire (London: Macmillan, 1915). 638 pp.

Toynbee, Arnold J., and Kirkwood, Kenneth P. **Turkey** (New York: Scribner's 1927). 329 pp.

Ular, Alexander, and Insabato, Enrico. **Der Erlöschende Halbmond: Türkische Enthüllungen** (Frankfurt a. M.: Rütten & Loening, 1909). 343 pp.

Valyi, Felix. **Spiritual and Political Revolutions in Islam** (London: Kegan Paul, Trench, Trubner, 1925). 236 pp.

Vambéry, Hermann (Arminius). **Der Islam im Neunzenchnten Jahrhundert: Eine Culturgeschichtliche Studie (Leipzig:** F.A. Brockhaus, 1875). 321 pp.

——— **Western Culture in Eastern Lands: A Comparison of the Methods Adopted by England and Russia in the Middle East** (New York: E. P. Dutton, 1906). 410 pp.

Vivian, Herbert. **Secret Societies Old and New** (London: T. Butterworth, 1927). 306 pp.

Waugh, Sir Telford **Turkey Yesterday, Today, and Tomorrow** (London: Chapman & Hall, 1930). 305 pp.

Webster, Nesta H. **Secret Societies and Subversive Movements** (London: Boswell, 1928). 419 pp.

White, Wilbur W. **The Process of Change in the Ottoman Empire** (Chicago: University of Chicago Press, 1937). 315 pp.

Wichtl, Friederich. **Weltfreimauerei: Weltrevolution: Weltrepublik: Eine Untersuchung über Ursprung und Endziele des Weltkrieges**

(5th edn.; Munich: J. F. Lehmanns Verlag, 1920). 280 pp.

Williams, Talcott. **Turkey, a World Problem of Today** (Garden City, N.Y.: Doubleday, Page, 1921). 336 pp.

Wilson, Samuel Graham. **Modern Movements among Moslems** (New York & London: Fleming H. Revell Co., 1916). 305 pp.

Young, George. **Constantinople** (London: Methuen; New York: G.H. Doran, n.d. [1925 ?]). 310 pp.

Zimmerer, Heirich. «Die Europäische Türkei und Armenien,» **Part III of Helmolt's Weltgeschichte,** vol. v, pp. 117-212 (Leipzig & Vienna: Bibliographisches Institut, 1905).

مجلات

«Abdul Hamid, Sultan and Khalif, and the Pan-Islamic Movement,» **Blackwood's Magazine,** CLXXX (Sept., 1906), 291-310.

«Abdul Hamid: The Man, his Character, and his Entourage,» **Pall Mall Magazine,** XXX (May-Aug., 1903), 261-270.

Afet. «Le Revolver Sacré,» **Belleten,** I (July-Oct., 1937), 611-617.

——— «La Société 'Patrie et Liberté',» **Belleten,** I (April, 1937), 299-309.

d'Agostino, Charles. «La Littérature turque contemporaine,» **Revue Encyclopédique,** V (Sept., 1895), 345-350.

Ahmet Riza. «Le Calife et ses Devoirs», **Revue Occidentale,** 2nd séries, XII (July, 1896), 93-98.

———«Der Fatalismus», **Das Freie Wort,** VIII (Aug., 1908), 352-355.

——— «L'Inaction des Jeunes-Turcs»,» **Revue Occidentale,** 2nd series, XXVII (Jan., 1903), 91-98.

——— «Tolerance Musulmane», **Revue Occidentale,** 2nd series, XII (Nov., 1896), 304-317.

«The Armenians and the Young Turks,'» **Armenia,** III (May-June, 1907, 24-28.

Babin, Gustave. «La Révolution Turque,» **L'Illustration,** LXVI (Aug., 1908), 141-144.

Bedikian, Dikran Mardiros. « The Silent Revolution in Turkey », **The World's Work,** XVI (Oct., 1908), 10825-10829.

Beesly, E. S. «The Turkish Revolution,» **The Positivist Review,** XVI (Sept., 1908), 201-205.

Bilinski, Rustem Bey de. «The Situation in Turkey,» **Fortnightly Review,** LXXVIII (Feb., 1902), 86-102.

——— «The Turkish Army,» **Contemporary Review,** XCII (Sept., 1907), 403-409.

——— «The Turkish Revolution,» **Nineteenth Century,** LXIV (Sept., 1908), 353-372.

Blind, Karl. «The Prorogued Turkish Parliament,» **North American Review,** CLXXV (July, 1902), 42-52.

——— «Young Turkey», **Fortnightly Review,** LXVI (Dec., 1896), 830-843.

Bruno de Paris, Fr. «Choses d'Orient: La Révolution en Turquie,» **Etudes Franciscaines,** XXI (Jan.-Feb., 1909), 5-20; 146-162.

Buxton Noel. «The Young Turks,» **Nineteenth Century,** LXV (Jan., 1909), 16-24.

C. E. B. «Notes sur le Panislamisme,» **Questions Diplomatiques et Coloniales,** XXVIII (1909), 641-656; 729-742.

Charlton, Zeeneb. «Six Osmanli Patriots,» **Nineteenth Century,** LXXIV (Dec., 1913), 1220-1229.

de Chaurand de St-Eustache, Felice. «L'Esercito nel Movimento Costituzionale della Turchia,» **Rivista d'Italia,** XI (Oct., 1908), 513-532.

Choublier, Max. «Les Bektachis et la Roumélie,» **Revue des Etudes Islamiques,** I (1927), 427-453.

«The Committee of Union and Progress,» **The Spectator,** CI (Dec., 1908), 1087-1088.

«The Diary of a Turk,» **Athenaeum,** I (193), 814-815.

Dillon, E. J. «A Clue to the Turkish Tangle,» **Contemporary Review,** XCV (1909), 743-756.

——— «The Reforming Turk,» **Quarterly Review,** CCX (Jan., 1909), 231-253.

——— «The Unforeseen Happens as Usual,» **Contemporary Review,** XCIV (Sept., 1908), 364-384.

«The Doctrine of Ascendancy,» **The Round Table,** V (1914-1915), 70-102.

Dorobantz, Jacques. «La Crise Turque,» **Questions Diplomatiques et Coloniales,** XXVI (Aug., 1908), 205-214.

——— «Les Jeunes-Turcs et la Macédoine,» **Questions Diplomati-**

ques et Coloniales, XXVI (Sept., 1908), 279-288.

Elliott, Sir Henry. «The Death of Abdul Aziz and of Turkish Reform,» **Nineteenth Century,** XXIII (Feb., 1888), 276-296.

Faik Selânikli. «Die Geschichte der Freiheit und die Gedanken des Padischah; ein Beitrag zu den Entwickelungsphasen der Türkischen Freiheitsbewegung; nach dem in Konstantinopel 1324 (Finanzjahr = 1326h = 1908D) bei Karabet gedruckten Texte in Deutsche übersetzt von Theodor Menzel — Odessa,» **Orientalis—ches Archiv,** I (Oct., 1910; Jan., 1911), 8-11; 60-69.

Fidel, Camille. «Le Comité Ottoman 'Union et Progrès',» **Questions Diplomatiques et Coloniales,** XXVII (Apr., 1909), 438-446.

——— «L'Organisation de la Victoire Jeune-Turque: Le Comité 'Union et Progrès,'» **Questions Diplomatiques et Coloniales,** XXVII (June, 1909), 784-792.

Friedjung, Heinrich, «Die Türkische Revolution,» **Die Woche,** X (Aug. I, 1908), 1323-1325.

Fua, Albert, «Histoire du Comité Union et Progrès,» **Mecheroutiette,** V (July, 1913), 37-45.

Gambier, James William. «The Life of Midhat Pasha,» **Nineteenth** Century, II (Jan., 1878), 71-96.

——— «Macedonian Intrigues and their Fruits,» **Fortnightly Review,** LXXVIII (Nov., 1902), 747-758.

Gates, C. Frank. «Turkey Under the New Régime,» **Outlook,** XC (Nov., 1908), 531-533.

von der Goltz, Generalfeldmarschall C. Freiherr. «Die innerpolitische Umwâlzung in der Türkei,» **Deutsche Rundschau,** XXXV (Jan., 1909), 1-17.

——— «Die Politische Natur der heutigen Türkei,» **Asiatisches Jahrbuch** (1912), 11-21.

Gottheil, Richard. «The Young Turks and Old Turkey,» **Forum,** XL (Dec., 1908), 522-536.

Hachtmann, O. «Abdullah Dschewdet als Ubersetzer,» **Islamische Welt,** I (1917), 526-529.

——— «Die Neuere und Neueste Türkische Literatur: Eine Einleitung zu ihrem Studium,5 **Die Welt des Islams,** V (1917), 57-77.

——— «Türkische Ubersetzungen aus Europäischen Literaturen: Ein Bibliographischer Versuch, » **Die Welt des Islams,** VI (1918), 1-23.

Halid, Halil. «The Origin of the Revolt in Turkey,» **Nineteenth Century**, LXV (1909), 755-760.

Hamilton, Angus. «Turkey: The old Régime and the New,» **Fortnightly Review**, XC (Sept., 1908), 369-382.

Hammer, S. C. «Den Tyrkiske Revolution,» **Samtiden** (1909), 295-304.

Harrison, Frederic, «The Turkish Reform,» **Tde Positivist Review**, XVII (Feb., 1909), 42-43.

Hartmann, Martin. «Abdulhamid,» **Das Freie Wort**, IX (May, 1909), 121-130.

——— «Der Islam 1908,» **Mitteilungen des Seminars für Orientalische Sprachen zu Berlin**, XII: 2. Abt. (1909), 33-108.

——— «Die neuere Literatur zum Türkischen Problem,» **Zeitschrift für Politik**. III (1909), 159-189.

Herbert, Aubrey. «Talaat Pasha», **Blackwood's Magazine**, CCXIII (April, 1923), 425-440.

von Herbert, F. W. «Kamal Pasha and the Succession in Turkey,» **Fortnightly Review**, XC (Sept., 1908), 419-429.

Huart, Cl., «Les Derviches Bektachis,» **Revue du Monde Musulman**, IX (Oct., 1909), 235-246.

Hubka, Gustav. «Die Reformaktion in Makedonien in den Jahren 1320-1324 (1904-1908)», **Streffleurs Militärische Zeitschrift** (June, 1909), 913-926.

Imhoff, Generalmajor z. D. «Die Entstehung und der Zweck des Comites für Einheit und Fortschritt», **Die Welt des Islams**, I (1913), 167-177.

«L'Italia e la Nuova Turchia,» **Nuova Antologia**, CXXXVII (Sept., 1908), 141-148.

Izzet Fuad- Pascha, General «Türkische Streiflichter aus der Aera Abd ul Hamid,» Deutsche Revue, XXXVIII (Aug., 1913), 129-144.

Jacob, Georg. «Die Bektaschijje in ihrem Verhältnis zu verwandten Erscheinungen,» **Abhandlungen der Philosophisch-Philologischen Klasse der Königlich Bayrischen Akademie der Wissenschaften**, XXIV: 3. Abt. (1909), 1-53.

Jäschke, Gotthard. «Die Entwicklung des osmanischen Verfarssungsstaates von den Anfängen bis zur Gegenwart,» **Die Welt des Islams**, V (1917), 5-56.

Jäschke, Gotthard. «Die Entwicklung des osmanischen Verfassungs-1918), 297-306.

Kizildogan, Hüsrev Sami. «Vatan ve Hürryat = Ittihat ve Terakki [Fatherland and Liberty = Union and Progress],» **Belleten,** 1 (July-Oct., 1937), 619-625.

Kohn, Hans. **«Der Arabische Nationalismus,» Zeitschrift für Politik, XVII** (1927), 26-46.

Krischtschian, Melkin. «Türken und Armenier in Vergangenheit und Gegenwart,» **Der Orient,** XI: 2 & 3 (March-April & May-June, 1929), 37-46; 67-79.

Lang, Sir R. Hamilton. «The New Régime in Turkey,» **Proceedings of the Central Asian Society,** XXVIII (1910).

LeChatelier, A. «Politique Ottoman,» **Revue du Monde Musulman,** X (Jan., 1910), 93-103.

——— «Politique Musulmane : Lettre à un Conseiller d'Etat,» **Revue du Monde Musulman,** XII (Sept., 1910), 1-165.

——— «Révolutions d'Orient,» **Revue Politique et Littéraire : Revue Bleue, 5th Series, X** (Aug., 1908), 193-199.

Malleterre, Lieutenant-Colonel. «L'Armée Jeune-Turque,» **Revue des Sciences Politiques, XXVI** (Sept., 1911), 734-755.

Marchand, H. «La Turquie et les Pays Arabes,» **Questions Diplomatiques et Coloniales, XXIX** (May, 1910), 553-564.

——— «Réflexions sur la Crise Turque,» **Questions Diplomatiques et Coloniales, XXVII** (May, 1909), 569-580.

Margoliouth, D. S. «Constantinople at the Declaration of the Constitution», **Fortnightly Review,** XC (Oct., 1908), 563-570.

Marillier, L. «La Maladie du Sultan,» **Pro-Armenia,** 1 (10 April, 1901), 73-76.

[Midhat Bey, Ali Haydar]. «Die Aktion der Jungtürken: Eine Unterredung mit Ali Haydar Midhat Bey, Sohn Midhat Paschas,» **Das Freie Wort, VIII** (Aug., 1908), 368-371.

Mälinen, Dr. E. Graf von. «Türken und Araber: Eine Historische Skizze,» **Deutsche Revue,** XXXIII (Dec., 1908), 283-299.

Mundji Bey. «The New Constitution in Turkey,» **The Independent** LXV (Aug., 1908), 361-364.

——— «The Regenerated Ottoman Empire,» **North American Review,** CLXXXVIII (Sept., 1908), 395-403.

«La Nuova Turchia,» **Nuova Antologia,** CXXXVI (Aug., 1908), 652-662.

«L'Oeuvre de la 'Jeune Turquie'. **Notes de Constantinople,» Etudes,** CXVIII (Jan., 1909), 119-235.

Pears, Edwin. «The Crisis in Turkey,» **Contemporary Review,** XCV May), 1909), 511-526).

——— «The Turkish Revolution,» **Contemporary Review,** XCIV (Sept., 1908), 286-300.

Persignac, Comte Am. de. «Les Gaités de la Censure en Turquie,» **La Revue,** IXVII (April, 1907), 384-393! 521-537.

Pfeiffer, Maximilian. «Abdul Hamid,» **Südost,** V (Aug., 1918), 319-348.

Pinon, René. «La Turquie Nouvelle,» **Revue des Deux Mondes,** 5th period, XLVII (Sept., 1908), 125-158.

«Pro-Islamite.» «Turkish Revelations,» **Wesminster Review,** CLXXII (Aug., 1909), 117-129.

Riggs, C. T. «The New Era in Turkey,» **Edinburgh Review,** CCVIII (Oct., 1908), 487-526.

Risal, P. «La Presse Turque,» **La Revue,** LIX (Dec., 1905), 373-384.

Riza, Ahmet. See Ahmet Riza.

Rolfsen, Halvar B. «Brev fra Konstantinopel,» **Samtiden** (1908), 581-586.

Rossier, Ed. «Trente-trois ans de règne; le Sultan Abdul-Hamid II,» **Bibliothèque Universelle et Revue Suisse,** LIV (June, 1909), 570-601.

Rouire, Dr. «La Jeune-Turquie et l'avenir du Panislamime,» **Questions Diplomatiques et Coloniales,** XXVIII (Sept., 1909), 257-270.

Sakasow, Janko. **«Die Türkische Revolution,» Sozialistische Monatschefte,** XIV (Aug., 1908), 1037-1040.

«The Secret of the Turkish Revolution,» **The Spectator,** CI (Aug., 1908), 254-256.

S. [lousch], N. «Les Deumeh, une Secte Judéo-Musulmane de Salonique,» **Revue du Monde Musulman,** VI (Nov., 1908), 483-495.

Slousch, N. «Le Nouveau Régime Turc et Tripoli,» **Revue du Monde Musulman,** VI (Sept., 1908), 52-57.

Snouck Hurgronje, C. «Jong-Turkije; Herinneringen uit Stambol, 25 Juli-23 September 1908,» **De Gids,** 4th series, XXVII (1909), 63-96.

Stavrianos, L. S. «The Balkan Committee, » **Queen's Quarterly,** XLVIII (Autumn, 1941), 258-267.

Stead, Alfred. «Great Britain and Turkey; a Plea for a Sane Policy,» **Fortnightly Review,** LXXXIX (March, 1908), 417-427.

«The Story of the Young Turks,» **Blackwood's Magazine,** CLXXXV

(Jan., 1909), 1-12.

Sussnitzki, Alphons J. «Das Postwesen in der Türkei,» **Das Freie Wort,** VIII (Feb., 1909), 830-834.

Temperley, Harold. «Reform Movement in the Turkish Empire and Republic during the 19th and 20th Centuries,» **Chinese Social and Political Science Review,** XX (1937), 449-460.

«Die Türkei vor den beiden letzten Kriegen 1910-1911; Auszüge aus den Aufzeichnugen und dem Tagebuch eines Diplomaten,» **Deutsche Revue,** Jhrg. XXXVIII: 2 & 3 (April-Sept., 1913), 43-53; 221-231; 298-312; 15-29; 202-212; 334-342.

«Die Türkische Armee,» **Streffeurs Militârische Zeitschrift** (March, 1909), 487-504.

Vaka, Demetra. «An Imperial Enemy of Turkish Despotism; how the young Prince Sabaheddine outwitted the Spy of 'Abdul the Damned,» **Asia,** XXIV (Jan., 1924), 32-36; 72-73.

——— «Prince Sabaheddine as a Free-Lance Liberal; how he brokewith the Young Turks of Paris Boulevards and Cafés and of Official Stamboul,» **Asia,** XXIV (Feb., 1924), 120-123; 150-151.

——— (Brown, Demetra Kenneth). «Women in the Young Turks Movement,» **Atlantic Monthly,** CIII (May, 1909), 696-701.

la Valette St. George, Freiherr von. «Aus der Alten und Jungen Türkei,» **Deutsche Revue,** XLI: 3 (July, Aug., 1916), 54-67; 225-233.

Vambéry, Arminius, «Europe and the Turkish Constitution,» **Nineteenth Century,** LXIV (Aug., 1908), 224-229.

——— «Freiheitliche Bestrebungen im Moslimischen Asien,» **Deutsche Rundschau,** XX (Oct., 1893), 63-75.

——— «The Future of Constitutional Turkey,» **Nineteenth Century,** LXV (March, 1909), 361-374.

——— «Personal Recollections of Abdul Hamid and his Court,» **Nineteenth Century,** LXV (June, 1909), 980-993; LXVI (July, 1909), 69-88.

«Viator.» «The Turkish Revolution,» **Fortnightly Review,** XC (Sept., 1908), 353-368.

Walther, Andreas. «Renaissance der Türkei,» **Preussische Jahrbucher,** CLXXIII (Aug., 1918), 158-170.

Winfrid, Ferdinand. «Armenier und Türken,» **Preussische Jahrbucher,** CLXXVI (June, 1919), 373-392.

Zander, Kurt. «Türkei; Ruckblicke und Ausblicke», **Deutsche Revue,** XXXIV: 4 (Oct., Nov., 1909), 26-33; 205-212.

فهرس الاعلام والصحف

— ا —

- ج -

- ح -

– ش –

– ص –

– ض –

– ط –

– ع –

– ل –

– م –

— ن —

– و –

– ي –

فهرس المحتويات